

أبو عمر الزاهد

غلام ثعلب الحفظة اللغوي المحدث

نفع لالسلين في متصف القرن الثالث من الهجرة علماً من كبار الأعلام
و رحلتان عليها المعمول عند الاختلاف والمفرع في الخلاف . فأخذ طلاب
العلم يهربون إليها من كل صقع وينسلون من كل حدب . وما حملوا لواء
العربية ببغداد ومتى أهلها . وعليها اتتهت رياضة العربية وإليها كان مرجع
علاء المصريين (البصرة والكوفة) في تحقيق المسائل وتقيد الروايات كما قال :

أيا طالب العلم لا تجهلني
وعذ بالمبред أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى
فلاتك كالجمل الأجرب

فخرج لهم من جهابذة التلامذة من ملأوا الآفاق وبيتوا فيها من كل
ما رقة وراق . وكان القرن الثالث للإسلام هو الذهي من جهة استقرار
الخلافة وتوطد الإمامة في قرارتها في أنحاء المعور التاسعة ثم أخذ ظلها
الوارف يتقلص عن الأطراف وينضوي إلى ما استطع من مراكز الخلافة
غير أن بذور العلم التي نثروها وأشجار الحضارة العربية التي غرسوها لم تكن
لتذوي أو تذبل بعد ماسقوها من ينابيع عنايةهم الجارية وفيوضها الهامية
المتوالية فضررت وزهرت بما لم يختصر في الحبان والظنون وأنثرت وأينعت
على هناء هناك وشجون .

فمن تخرج على المبرد الزجاج وابن السراج وأبو علي الطوماري
وأبو بكر ابن أبي الأزمر وابن درستويه وأبو علي الصفار وأبو جعفر
الصفار .

ومن أخذ عن ثعلب ابن الأبارى وأبو عمر الزاهد غلامه وأبو موسى
الحامض كبير أصحابه وابراهيم الحربي وأبو عبد الله اليزيدي وابن مقسى .
ومن أخذ عنها أو خلط بين المذهبين أبو حسن الأخفش ثالث
الأخافش وأصغرهم ونقطويه وابن كيسان والصولى وابن المعز .

ثم برع طؤلام من التلامذة من فاقروا عليهم وتصدرواللرئاسة وآتافوا وبرزوا
وطار لهم دوى في أكنااف البسيطة كأبى على الفارسى والسيراف والزجاجى
وابى الطيب اللنوى وابن خالویه والرمانى وابن فارس والأزهرى إلى غيرهم .
ولكن ما لا يستهان به في مثل هذا المقام أن أبا عمر الزاهد مع
شهرته لم يطبع إلى الآن شيئاً من تأليفه الخطيرة التي هي مادة اللغة وينبع عنها
الصاف ، ولا عُرف بالبقاء منها غير فائت الفصح عند بعض متاحلى العلم
بدھلی وغير العشرات بخزانة برلين وغير هذا الكتاب الذي نحن بصدده مع
أن ثلاثة منها غير هذه كانت توجد إلى آخر المائة الحادية عشرة كما تراه في
الثبت . وهذه النسخة فريدة فيها بلغه عامي وأحاطه نظرى توجد بخزانة رامپور
(المند) في ١٣ صفحة وهي حدیثة غير مضبوطة^١ ولا عارية عن الأغلاظ
بخطا وسط ولم يثبت عليها تاريخ نسخها غير أن أقدر نظراً إلى نوع خطها
وورقها أن تكون كتبت في آخر المائة الثانية عشرة للهجرة نسختها في
جلستي الصباح والمساء في بعض أيام شوال سنة ١٣٤٦ هـ (٢٣ ابريل سنة ١٩٢٨م) .
وثبت على النسخة ترجمته (بكتاب المذاخلات) والمجمع عليه (المداخل)
انظر فهرستى النديم وابن خير والوفيات وكشف الظنون وأبا العلام^٢ وما إليه
عن الغفاران ومعجم الأدباء وغيرها . قال خليفة : إنه مختصر في اللغة
وعليه (زيادات) ودو أحد وثلاثون باباً ، سبعة منها زيادات عليه . قال العاجز :

(١) والذي يظهر أن أصلها كان مصححاً .

(٢) المبني : أبو العلاء . وما إبه ص ٦٤ .

الماوجود في نسختا وحاشاها من الخرم الحادث ثلاثة نسخ فقط. فلعل خالية غلت في الحساب أو يكون أصل نسخة رامپور مقتضا.

وهذه الزيادات لم يذكرها أحد من ترجم لأبي عمر. نعم ذكرها له عليه كتابا آخر رسمه عند ابن النديم (حل المداخل) وعند ياقوت (حل المداخل) وفي ارفقات (حل المداخل). وليس في نسختا علامه تدل على إفراز الزيادات عن الأصل.

ولأبي الطيب عبد الواحد بن علي الأغوي صاحب «مراتب النحوين»، كتاب في مثل هذا المعنى سماه «شجر الدر»، ذكر أبو العلاء المعري^(١) أنه سلك فيه مسلك أبي عمر في المدخل ترى فصلا منه با آخر هذه الطبعة. وهذا النوع يسمى الشجر، وهو يسهل على الأبناء حفظ اللغة ويناظره من علم الحديث المسلسل. وقد سمي أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي^(٢) صاحب المقامات اللزويمية^(٣) المتوفى سنة ٥٣٨ كتابه المسلسل في اللغة الذي يوجد منه نسخة عتيقة مكتوبة سنة ٥٥٦٥ في الخزانة المصرية. قال ابن خير وهو في معنى المدخل.

وهذا إسناد الكتاب^(٤) لابن خير الاشبيلي إلى المؤلف قال: حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المزحجي رحمه الله، قال حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي رحمه الله قال

(١) أيضًا.

(٢) ترجم له ابن بشكوال رقم ١١٧٥ وابن الأبارق مسيم أصحاب الصدق رقم ١٢٤ وصاحب البنية ص ١٢٠.

(٣) يقع منها نسخة بدير الاسكوريال ونسختان بجامع اللالهى بالقسطنطينية وصناها بالزهرا، ص ٤٠٢ سنة ١٢٤٥، وذكرت المقامات في تكملة ابن الأبار رقم ١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر، وفي المعجم المذكور تحت ٢٦٦ والمعاهد ٢: ١٠٦.

(٤) ص ٣٥٨.

حدثني به أبي رحمة الله وأبو الحسن علي بن أبي الحسين وأبو بكر محمد بن خشخاش وأبوبالحسن الزهرى المفسر قراءة منه عليهما قالوا كلاماً حدثنا به أبو سليمان^١ عبد السلام بن السمح قراءة عليه قال قرأته باليمن على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن بريه العباسى قال قرأته على أبي عمر المطرز رحمة الله. قال أبو بكر المصحفى قال لي أبي رحمة الله كانت قراءتى له على أبي سليمان بالمدينة الزهراء سنة ٥٣٧هـ. قال أبو بكر المصحفى: وأبوبالحسن هذا من أهل مورور هوارى النسب ، رحل إلى المشرق وأقام بها مدة طويلة وحج ولتقى جماعة من أهل العلم وتفقه وكان حفظه لمذهب الشافعى أغلب عليه فعرف وأحكم قراءة القرآن على القراء وروى كتاباً كثيرة. فلما انصرف من المشرق أنزله الحكم بالزهراء ووسع عليه فصار زهراويياً مستوطناً بها إلى أن مات ، وفيها قرأ الناس عليه وأخذوا عنه ، وكان يروى عن المطرز نفسه كتبه ما خلا المداخل فإنه لم يدرك قراءته عليه فقرأه باليمن عند انصرافه عن العراق على ابن بريه من آئمه جامع بغداد. قال الوزير أبو بكر المصحفى: كنت أقرأ المداخل على ابن خشخاش وصاعد اللغوى حاضر إذا كان جارنا يبيت بلد (كذا) وكنت أتحط في ذلك الوقت عن القراءة عليه لصغر سنى فكان جدى رحمة الله يشير على ابن خشخاش بأن تكون قراءتى عليه وقت حضور صاعداً. فربما يردّ علىّ فيما أقرأه ويسبقنى إلى قراءة بعضه وكان صاعد قرأ «المدخل» بمصر على الوزير أبي الفضل^٢ جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى ابن الفرات المعروف (بابن) حزابة عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز قراءة عليه بغداد ، وكان

(١) ترجم له ابن الترسى رقم ٨٥٥ قال: توفي سنة ٥٣٨هـ.

(٢) وهو الذى أسلم الشبيه إلهي إذ قال:
بها نبطى من أهل السداد يدرس أنساب أهل تنلا

ابن حنّابة لا يفارق صاعداً يسامره.

وحدثني به أيضاً إجازة الشيخ الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف رحمه الله قال أخبرني به... أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبّاني قرامة عليه عن أبي بكر فضل... بن محمد بن فضل الكاتب عن أبي سليمان عبد السلام بن السمح الزهراءوي الشافعى عن أبي عبد الله الحسن^١ ابن أحمد بن بريمة لقيه باليمن عن أبي عمر (الزاهد) رحمه الله.

[...] وحدثني به أيضاً غير واحد من شيوخنا رحهم الله منهم أبو الحسن علي بن عبد الله بن موهب وأبو عبد الله محمد بن سليمان النفرى رحهم الله عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى ثم الدلائى قال حدثني به أبو بكر محمد بن سعيد بن سخويه الاسفراطى قال حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن بندار البارع الضرير باسفرانى سنة ٣٧١هـ قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد المطرز الزاهد المعروف بغلام ثعلب مؤلفه رحمه الله ٥١هـ.

قال العاجز: وأبو عبد الله العباسى هو راوى نسختنا عن أبي عمر، جاء ذكره في الباب الثامن عشر.

ترجمة أبي عمر ٢٦١-٥٣٤٥: عن فهرست ابن التديم ٧٦ و ٧٧، وزهرة الآباء للكمال ابن الأنبارى (٣٤٥-٣٥٤) ومعجم الأدباء (٧: ٢٦-٣٠) ووفيات الأعيان سنة ١٢١٥هـ (١: ٥٠٠، ٥٠١) وذكرة الحفاظ للذهبي (٣: ٨٤-٨٦) وطبقات الشافية لابن السبكي (٢: ١٧١) ولسان الميزان لابن حجر (٥: ٢٦٨) وبغية الوعاة (٦٩) وغيرها.

اسمه ونسبة ولده: هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم الباوردى المطرز الزاهد غلام ثعلب. لم يزد أحد من مترجميه شيئاً على هذا

(١) ونبأ تقدم «الحسين»، ولم أقف على ترجمته.

وهو بغدادي المنشأ. قال النديم: وكان ينزل في سكة أبي العنبر، وجاء عنده بعد أسطر (منه أبي العنبر) ولم يذكرهما ياقوت في معجمه. وباورد الذي نسب إليه هو بلدة خراسان أبورد التي منها أبو المظفر الأبوردي الشاعر. وكانت صناعة أبي عمر تطريز الثياب فسمى من أجل ذلك المطرّز وأبو عمرو بالواز والمطرّز ياء النسبة على ما جاء في خزانة البغدادي تصحيفان. ولم يذكره السمعاني في ترجمة المطرّز من أنسابه. قال ابن خلkan: ولكن ذكره في ترجمة غلام ثعلب. أقول: ولكن لم أجده في طبعة الأنساب لا في غلام ثعلب ولا في الباوردي أيضاً. وأما تسميه بالزهد فما أدرى ما وجهه غير أن أباً بكر بن خير الإشيل روى بسته إلى أبي ذر المحرمي أنه قال: أبو عمر المطرّز الزاهد زاهد في الدنيا والآخرة. ولعله كما قال أبو نصر المنازي^١ وقد شكا إليه أبو العلاء حسد الناس وكذبهم عليه «على ماذا حسدوك؟ فقد تركت لهم الدنيا والآخرة». فقال أبو العلاء: والآخرة !!! وجعل يكررها، أى أنه نبذ أبا عمر وآذاه بالطعن.

شيوخه وتلامذته: صحب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلباً زماناً طويلاً وأكثر من الفقـل عنه ولذلك سمي غلام ثعلب، ويظهر من الواقـيت أنه أخذ عنـ المبرد أيضاً. وقال النديم^٢ في كتاب الألفاظ لكتوم بن عمرو العتابي: إنه رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد، قال: وهذا طريء.. وسمع الحديث من موسى بن سهل الوشاء ومحمد بن يونس الكديني وأحمد بن عيد الله الترسـي وابراهيم بن الهيثم البلـدي وأحمد بن سعيد الجمال وبشر بن موسى الأـسى وجماعة غيرـهم. روـي ابن القارـح^٣ عن شيخه أبي الطـيب اللـنوـي

(١) انظر أبـر العـلاـمـ وـما إـلـيـهـ صـ ٢٢٣ـ .

(٢) صـ ١٢١ـ .

(٣) رسـالـةـ سـنةـ ١٤٣١ـ صـ ٢١١ـ .

قال : قرأت على أبي عمر «الفصيح»، و«إصلاح المنطق»، حفظاً ، وقال لي أبو عمر : كنت أعلم اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها قال الذهبي : ولا أعلم رحل .

أخذ عنه أبو علي الحاتمي الأديب من علماء حضرة سيف الدولة وصاحب الرسالة الموضحة لكتاب مساوى النبي وأبو القاسم ابن برهان (فتح الباهر) وأبو علي القالي وأبن خالويه وأبو اسحاق^١ الطبرى وهو غلام^٢ أبي عمر الزاهد وأبو عيد الله المرزبانى صاحب «الموشح» وأبو الفضل ابن حنزاقة المحدث وزير كافور وأبو عبد الله الحسين^٣ بن أحمد ابن بريه العباسى راوى نسختا من «المداخل» عن أبي عمر وأبو سيمان عبد السلام بن السمح المورورى الشافعى راوى تأليف أبي عمر عنه ما خلا «المداخل» فإنه أخذه عن أبي عبد الله العباسى عن أبي عمر وهو الذى أدخلها الاندلس وأبو الفتح عيد الله بن أحمد النحوى جنوجون صاحب ابن دريد وراوى جهرته وأبو محمد الصفار وأبو محمد ابن سعد القطرانى وأبو محمد العجازى (ولعله وهب) وأبو الطيب اللغوى وآخرون و Jacqueline بن محمد بن جعفر الطیالی صاحب «المکاثرة عند المذاکرة» وأبو بكر أحمد بن ابراهیم المقری الجلائى^(٤) وأبو الحسين بن بشران .

وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقون^٥ والحاكم وأبن منده والقاضى أبو القاسم بن المنذر وأبو الحسين بن بشران وعلى بن أحد الرزاز

(١) لعله هو الذى سماه ابن خير كما مر أبا اسحاق ابراهيم بن بندار البارع الضربى .

(٢) التوخي : نثار الحاضرة : ١٤٤ .

(٣) من عند ابن خير وجاء عنه أخرى الحسن .

(٤) وفي بعض الكتب بتدمير الرأى وفي بعضها رزق .

وأبو علي بن شاذان وهو آخر من حديثه ومحمد بن أحمد بن القاسم^١ المحاملي.

قال الذهبي : قرأت على أبي المعال أحمد بن اسحاق المؤيدى أخبركم
ظفر بن سالم يغداد أخبرنا هبة الله بن أحمد الشلى سنة ٥٥٧ أخبرنا
أبو الغاثم محمد بن علي بن الحسن سنة ٤٧٨ أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم
المحاملي سنة ٤٠٧ أخبرنا أبو عمر الزاهد أخبرنا موسى ابن سهل الوشاء
أخبرنا اسحاق الأزرق أخبرنا سفيان عن عاصم ابن عبيد الله عن سالم عن
ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : لا يصور عبد صورة إلا قيل له يوم القيمة
أحي ما خلقت .

قال الخطيب : سمعت غير واحد يحكى أن الأشراف والكتاب وأهل
الأدب كانوا يحضرون عند أبي عمر الزاهد لسماعه منه كتب ثعلب وغيرها
وكان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن أحداً من الساع من
حتى يتدنى بقراءة ذلك الجزء . قال ابن حجر :رأيته وفيه أشياء كثيرة
موضوعة والآفة فيها عن غيره . ولكن النديم غالى لتشيعه في الطعن عليه
قال « كان نهاية في النصب والميل على على عليه السلام ، وكان يقول انه
شاعر مع عاميته فن شعره :

إذا ما الرافض الثامى تمت
معايه تخشم في يمينه
فاما ان أتاك بسمت وجه
فإن الرفض باد في جينه
ويكفيه جلا هذا الشعر». أقول : إن جمع فضائل معاوية ليس من النصب
في شيء غير أن النديم قد صرخ محضه عن زبده وأبدى بما عنده ، والبيتين
أذانهما من حولين لضعف بنيتها ولأن الرفض والتخشم باليمين لم يكونا مخصوصين بالشام
وهو الذي عانى المتابع حتى بعد وفاته كما سيأتي على أيدي رواض الكرخ .
وتراه في الباب الأول يسمى عليا بأمير المؤمنين ، وفي الباب التاسع عشر

(١) كما عند الذهبي وعبد ابن البكر أحمد بن عبد الله المحاملي .

بولي الله وحبيه . ويأتيك بيت لأبي عمر يدل على أنه وإن لم يكن شاعراً إلا أنه لم يكن بلغ هذا المبلغ على أن هذه الشكاوة كما قبل : «وتلك شكاوة ظاهر عنك عارها» .

فلا يُبي عمر أسوة بخيار علماء العربية المبوزين بذلك ، قال أبو علي التنوخي^١ : أكثر رواة العرب فيها بلغى عنهم إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي حاتم سهل السجستاني وفلان وفلان وعدّد جماعة ومنهم أبو خليفة الجحوي وياقوت الحموي . وقال ابن حجر بعد أن نقل بعض قول النديم : قلت هذا أوضح الأدلة على أن النديم رافض لأن هذه طریقتهم یسمون أهل السنة عاممة وأهل الرفض خاصة . وقال في ترجمة النديم انه غير موثوق به ، ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالاعتزال والزريغ ، نسأل الله السلام . ونقل عن تاريخ الإسلام للذهبي أنه معتزل شيعي ، ثم قال : لما طالعت كتابه ظهر لي أنه رافض معنزي فانه یسمى أهل السنة الحشوية ويسمى الأشاعرة المجزرة ويسمى كل من لم يكن شيئاً عامياً ، ثم ذكر جملة من افتراضاته واقتضياته .

كرمه مع ضيق ذات يده : قالوا إن اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد

منعه عن اكتساب الرزق والتحيل له ، فلم يزل مضيقاً عليه يتجرع غصص الحياة النكداة ويلتصق بالدقعاء على نجار كريم وطيب عنصر وخيم . حدث عباس بن محمد الكلواذاني قال : سمعت أبي عمر الزاهد يقول : ترك قضاة حقوق الإنسان مذلة ، وفي قضايتها رفع ، فاحمدو الله تعالى على ذلك وسارعوا في قضايا حواناتهم ومسارهم تكافروا عليه . وقال تلميذه الباجاتي : اعتلت فتأخرت عن مجلس أبي عمر الزاهد ، قال فسأل عن ما تراخت الأيام ، فقيل له إنه كان عليلا ، فنجامي من الغد يودني فاتفق أني كنت قد

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (٦ : ١٤٠) .

خرجت من دارى إلى الحمام فكتب بخطه على بابي باسفيداج:
وأعجب شيئاً سمعنا به عليل يعاد فلا يوجد

قال واليت له . وقال أبو الحسن المرزباني : انه كان ابن ماسى ينفذ
إلى أبي عمر الزاهد وقتاً بوقت كفایته ققطع ذلك عنه مدة لعذر ثم اقذ
إليه جملة ما كان في راتبه وكتب إليه رقعة يعتذر إليه من تأخير ذلك فرده
وأمر بعض من كان عنده من أصحابه أن يكتب على ظهر رقعته :

أكرمتا فلكتا وتركتا فارتتا

رأيم الله إن هذا هو الغنى ، ولكن الذبي قال : إنه وإن كان الأمر
كما قال لكنه لم يحسن الرد إذ كان تملكه بالإحسان التديم فا تغير التملك ،
وأما الناخير فجبره المحسن بتكميله وباعتذاره . قلت : ولكنك انتهز فرصة
فكاك الرق فقد أحسن إلى نفسه إذ لم يحسن إلى غيره . قال الخطيب :
وابن ماسى لا شك انه ابراهيم بن أبوبالد أبو محمد .

سعة حفظه وسلام ذهنه بحيث جرّ له همة التزييد والاختلاق وبعض فضائله :

عده أبو بكر^١ الزيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين الكوفيين . قالوا
إنه كان أكثر ما يهلي تصانيفه يلقها بلسانه من غير صحيف ، وكان كما
قال^٢ على ابن أبي علي عن أبي ، ومن الرواة الذين لم ير قط أحذظ منهم أبو عمر
ال Zahid أبى من حفظه ملايين ألف ورقه في اللغة فيما بلغنى ، وكان لسعة حفظه يضعن عليه
بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة حتى قال عبيد الله ابن أبي الفتح

(١) مختصر طبقاته المطبوع برومة ص ١٤٧ .

(٢) في التزدة والأدباء أبو علي ابن أبي علي ، وفي الحفاظ على بن علي ، وكله تصحيف ، وهو تقاضى الشوخ
الأشعر أبو القاسم على بن تقاضى الشوخى الأوسط أبى على الحسن (بكر ابن الشددى) ابن تقاضى
الشوخى الكبير الشاعر أبى تقاضى على . وأوسط هو صاحب الشوار واقرخ بعد الشدة والسباد ،
رابع ترجمب وأخبارهم أبو عبد الله ، وما إليه ص ١٣٤-١٣٥ .

(أو الأزهر كا هو في لسان الميزان) لو طار طائر في الجو لقال أبو عمر الزاهد حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويدرك في معنى ذلك شيئاً . قال ابن خلكان : وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها ، وأكثر ما نقل أبو محمد بن السيد البصري في « كتاب المثلث » عنه ، وحكي عنه غرائب . وقال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد الحموي أشدها أبو العباس الشكري في مجلس أبي عمر محمد بن عبد الواحد يمدحه :

يزلّ مساميه ويردى مطاوله بأن لم ير الراؤون حبراً يعادله فأعجب بهنوزول سهان فضائله تغيب على من لجّ فيه سواحله تفجر حتى قات هندي أوائله	أبو عمر يسمى من العلم مرافق فلو أنتي أقمت ما كنت حاتماً هو الشخت جها والسمين فضيلة تضمن من دون الجناحين زاخراً إذا قلت شارفاً أو اخر عليه
---	---

وقال التديم لسوه رأيه في معتقده : سمعت جماعة من العلماء يضعون حكاياته وانتسبوا به إلى التزيّد ولا غرو أن صاحبنا كان منبوذاً بذلك فهذا شيخ المرة يقول في لزومه :

توخّ نقل أبي زيد وكتب أبي عمرو وخلّ كلاماً في أبي عمر وها أنا إذا أنقل ثلاث حكايات في ذلك ثم أجيئ عنها . قالوا وكان يسأل عن الشيء الذي يقدر السائل أنه قد وضعه فيجيب عنه ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب ويروى :	عمرو وخلّ كلاماً في أبي عمر وهو أصلح له القنطرة وأسأله عنها فتنظر ماذا يجيب . فلما صرنا بين يديه قال له : أهلاً الشيخ ما المطرنق عند العرب ؟ فقال كذا وكذا وذكر شيئاً فصالحه الجماعة وانصرفوا فلما كان بعد شهر أرسلوا إليه شخصاً آخر فسأله عن المطرنق فقال أليس قد سئلت عن هذه المسألة
--	--

(١) ان جماعة من أهل بغداد اجتازوا على قطرة الصرارة وتذاكروا كذبه فقال بعضهم أنا أصح له القنطرة وأسأله عنها فتنظر ماذا يجيب . فلما صرنا بين يديه قال له : أهلاً الشيخ ما المطرنق عند العرب ؟ فقال كذا وكذا وذكر شيئاً فصالحه الجماعة وانصرفوا فلما كان بعد شهر أرسلوا إليه شخصاً آخر فسأله عن المطرنق فقال أليس قد سئلت عن هذه المسألة

منذ كذا وكذا ثم قال هو كذا وكذا كما أجاب أولاً. قال القوم فاندرى من أى الأمرين نعجب: فمن حفظه إن كان علماً أم من ذكائه إن كان كذلك؟ فإن كان علماً فهو اتساع عجيب، وإن كان كذلك فكيف تاول ذكاوه المسألة وتذكر الوقت بعد أن مر عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه اه.

(٢) قال الخطيب: وكان معز الدولة قد قلد شرطة بغداد غلاماً تركياً يدعى خواجه أبا عمر الراشد وكان يحمل كتاب الياقوتة في اللغة فقال للجماعية في مجلس الإبلاماء أكتبوا ياقوتة خواجه الخواج في أصل اللغة الجوع، ثم فرع على هذا باباً باباً وأملأه عليهم فاستعظم الناس كذبه وتبعوه اه.

(٣) حكى رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن عن حدته أن أبا عمر كان متذهب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في اللغة وذكر غريبها وختها بيتهين من الشعر وحضر أبو بكر ابن دريد وأبو بكر بن الأنباري وأبو بكر ابن مقدم العطار المقرئ عند القاضي فعرض عليهم تلك المسائل فا عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعرف قال لهم القاضي ما تقولون فيها؟ فقال ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف «مشكل القرآن»، ولست أقول شيئاً. وقال ابن مقدم مثل ذلك واعتذر باشغاله بالقراءات (وفي بعض الكتب بالقرآن) وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ولا أصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا. بلغ ذلك أبا عمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المسائل ثم قال ودanan اليتان أنشدهما ثعلب بحضور القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلافي فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين على ظهره كما ذكر أبو عمر واتهت القصة إلى ابن دريد فلم يذكر

أبا عمر بلفظة إلى أن مات اهـ.

فأنت ترى أنه لم يأخذ أحد على أبي عمر كلة لم يعرف لها مستدا من كلام العرب.. ولتن كان كذب أبي عمر يروج على مثل هؤلاء الجماعة فما أكابرها إذا وما أضعف منزلتهم. وقد قالوا إن من حفظ حجةً على من لم يحفظ وإن زراعة الثقة مقبولة فلم يبق إلا أمر العجب وحيرة الناس في ذكائه.. فاما النديم فقد عرفت ما قاله حافظا الحديث في شأن تحريه وأماته، وأما جنجلخ فإنه وإن كان من تلامذة أبي عمر فإنه من خصوصي أصحاب ابن دريد وهو راوي جمهوره وحامل علمه وكان ابن دريد يطعن على أبي عمر كما قد عرف فلعل هذا الداء سرى إليه من شيخه ولعل إعجابه به حله على تسليم رأيه في معاصر له، وقد تقرر عند المحدثين وهم أصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان أن المعاصرين والأقران لا يعبأ بقول بعضهم في بعض، ولتن جنحتا لذلك لم يسلم لنا أحد ولا أبو بكر بن دريد نفسه فهذا نقطويه وصاحبها أبو منصور الأزهري^(١) يرمي ابن بكر بكل سوأة سوآه وحسب أبي عمر بتوثيق^(٢) أصحاب الحديث له بلا خلاف فقد رووا أن المحدثين كانوا يوثقونه. وقال الخطيب البغدادي : رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدقونه :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أتعجبني رضاها

وأما أصل الخواج^(٣) فقال أبو علي الحاتمي : أخرجنا في أمال (أبي موسى) الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي الخواج الجوع. ونقل الذهبي عن

(١) قال في مقدمة تهذيه (الأدباء ٦: ٤٨٦ والمهر ١: ١٥٨) ومن ألف الكتب في زماننا فرمى بانتفال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر بن دريد وقد سأله إبراهيم بن عرفة يعني نقطويه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته إلخ.

(٢) قال ابن جن في الحصانص (المهر ٢: ٢٦٢) والله أبو العباس أحد بن يحيى وقدمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة وأمانة وعصمة ومحنة ومعلم عيار هذا الشأن وأساس هذا البيان.

(٣) الكلمة أغفلها صاحبا اللسان والتابع ثالثة تلتدرك عليهما .

رئيس الرؤساء قال قد رأيت أشياء كثيرة على أبي عمر ونسب إلى الكذب فيها مدونة في كتب أئمة العلم وخاصة في «غريب المصنف» لابي عبيد أو كما قال. والأصل في ذلك أن رواة الكوفة معروفون بسرعة الاطلاع وغزارة المادة ووفرة الرواية وبالتساع في أمر التحفظ خلافاً للبصريين الذين قاتلوا روايهم لثباتهم وعدم مساحتهم قد صدق ما قاله تلميذه أبي عمر أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسود فيه: «لم يتكلم في اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد».

وفاته: ولد بلا خلاف سنة ٢٦١ هـ وعن ابن رزقيه تلميذه أنه توفي سنة ٥٣٤ هـ. قال الخطيب: وال الصحيح أنه توفي يوم الأحد (و دفن يوم الاثنين) ثلاثة عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٥٣٥ هـ وذلك في خلافة المطیع و دفن في الصفة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق، ولعل سبب إبطائهم بعشته إلى اليوم التالي هو ما نقلناه عن تاريخ ابن الوردي في كتابنا على أبي الملا^١ عن أبي العلاء أن البغداديين حدثوه بها أنه لما عبرت السنة (أهل السنة) بأبي عمر (الزاهد) في الكرخ وهم شيعة بغداد و حوله التكبير والتهليل قال قائل هذا والله لا يكمن دفت ليلاً يعني فاطمة عليها السلام قار أهل الكرخ و قتل بينهم جماعة و طرح أبو عمر عن العرش و جرح جراحًا كثيرة.

ثبت تأييده مرتبة على حروف المعجم :

- (١) كتاب اليوع
- (٢) كتاب الفاحة
- (٣) كتاب تفسير أسماء الشعراء كما عند النديم . وفي الأدباء «التراجم» وفي الكشف «أسماء الشعراء».

(١) أبو الملا، وما ذكره ص ٤٩ .

- (٤) جزو كذا في الكشف (ولعله الذي في فضائل معاوية المار ذكره)
- (٥) حل المداخل ، من ذكره
- (٦) كتاب الساعات
- (٧) كتاب السريع
- (٨) شرح الفصيح
- (٩) كتاب الشورى
- (١٠) كتاب العشرات ، أحال عليه ياقوت في بلدانه كثيراً ، وقد بقى منه نسخة بخزانة برلين ، انظر فهرستها رقم ٧٠١٤ وأوله «حدثنا ابن خالويه ...» هذا كتاب العشرات لأبي عمر الزاهد ألفها للحضرمي (كذا مشكولا) صاحب أبي عمر القاضي خاصة وكان أبو عمر يعارض بكتبه ويزلف له فاعتقل أبو عمر فأرسل إليه أن أقفل إلى أجراة شهر فإني على إلخ ، وهو في ٨٧ ورقة .
- (١١) غريب الحديث ، صنفه على مسنده أحمد بن حنبل ، قال التديم^١ : هو للحضرمي (كذا وطبعة الفهرست «صفحة للنهاية») أله عن أبي عمر الزاهد . قال ابن خلكان : وكان يستحسن جداً . وذكره ابن الأثير في مقدمة نهايةه أيضاً .
- (١٢) فائت الجمرة والرد على ابن دريد ، وقف عليه البغدادي وأحال عليه^٢
- (١٣) فائت العين
- (١٤) فائت الفصيح ، جزو لطيف كنت رأيت منه نسخة قبل خمسة أو سبع سنوات من يختكره . وفي فهرست ابن خير^٣ حدثني به أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي عن أبي مروان عبد الملك بن سراج (كتاب) عن أبي القاسم ابن الإيليلي عن أبي عمر بن أبي العجائب عن أبي علي البغدادي عن أبي عمر الزاهد
-
- (١) الفهرست ص ٨٨ .
- (٢) الخزانة (٣ : ٤٢١) .
- (٣) ص ٣٣٩ .

— وهو في كراسة.

(١٥) فات المستحسن الآتي

(١٦) كتاب القبائل

(١٧) كتاب الجرجانى

(١٨) الكتاب، الحصرى (الأدباء: الحضرى) كتاب على الكلمات عمله للحصرى به وأنحله إياه.

(١٩) ما أنكره الاعراب على أبي عيد فيها رواه أو صنفه، كذا عند النديم وغيره وفي الأدباء والبغية أبي عيدة ولعله تصحيف.

(٢٠) كتاب المداخل، هو الذي نعرضه على الانظار ومر وصفه وذكر زيادات له عليه والحل أيضا.

(٢١) كتاب المرجان.

(٢٢) كتاب المستحسن في اللغة ، ومر فاته .

(٢٣) معجم الشعراء ، في الكشف فقط.

(٢٤) كتاب المكتون والمكتوم .

(٢٥) كتاب الموشح ، وفي الوفيات فقط الموضع

(٢٦) كتاب النوادر ، لا أدرى هل هو كتاب له أو هو نوادر أبي شبل العقيلي الذي قال فيه النديم^١ رأيته بخط عتيق باصلاح أبي عمر الزاهد.

(٢٧) كتاب اليواقت أو الياقوتة ، وقف عليه صاحب الخزانة^٢ ، وقال ابن خير الاشبيلي^٣: حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن

(١) الفهرست ص ٤٦ .

(٢) انظر حوالاته (١: ١١ - ٢: ١٦٥ - ٣: ٥٢٥ - ٤٢٩).

(٣) ص ٣٥٧ - وفي ص ٦٠ إسناد ياقوتة الصراط في غريب القرآن عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم انقرى عن أبي عمر ، وعن أبي الحسين بن بشران عنه . ومن ذلك يذهب أنهم كانوا يفرزون هذه الياقوتة من جلة البراقين .

ابن معمر رحمه الله قال حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام بن محمد المصنعي قال حدثني به أبي رحمة الله وأبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين قراءة مني عليهما و قالا معاًقرأناه على أبي سليمان عبد السلام ابن السمح الموروري الشافعى قال قرأته يغداد على أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز الزاهد غلام ثعلب وذلك في شهرى ربيع من سنة ٥٣٤هـ . وذكر النديم خبر هذا الكتاب وكيف صحيحة قال قرأت بمخطوطة أبي الفتح عيد الله بن أحمد التحوى عليه وكان صدوقاً بحاثاً منقراً وكان أبو عمر ابتدأ باملاه هذا الكتاب يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ٥٣٦هـ في جامع المدينة مدينة أبي جعفر ارتحالاً من غير كتاب ولا دستور فضي في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره وكتبت ما أملأه مجلساً ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعاف ما أملأ وارتجل يواقيت آخر واختص بهذه الزيادة أبو محمد الصفار ملازمته وتقرير قراءته لهذا الكتاب على أبي عمر فأخذت الزيادة منه . ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبرى له وسمى هذه القراءة الفذلكرة فقرأ عليه وسمعه الناس ثم زاد فيه بعد ذلك بجمعت أنا في كتابي الزيادات كلها وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء ثلاثة بقين من ذى القعدة سنة ٥٣٩هـ إلى أن فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة ٥٣١هـ وحضرت النسخ كلها عند قرائي نسخة أبي إسحاق الطبرى ونسخة أبي محمد الصفار ونسخة أبي محمد بن نعيم القطري ونسخة أبي محمد الحجازى وزاد لي في قرائي عليه أشياء . فنواتنا في الكتاب كلها من أوله إلى آخره ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت آخر وزيادات في أضعاف الكتاب واختص بهذه الزيادات أبو محمد وهب ملزمه . ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق عليه هذا الكتاب وتكون آخر عرضة يتقرير عليها الكتاب فلا يكون بعدها زيادة ، وسمى هذه العرضة البحرينية ، واجتمع الناس يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة

خات من جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ في نزله بحضره (من له أبي الغبر)
فأمي على الناس ما نسخه:

قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد هذه العرضة هي التي تفرد بها
أبو إسحاق الطبرى آخر عرضة أسمها بعده (بعدها) فن روى عنى في هذه
العرضة حرف ، أحدا ليس من قولى فهو كذاب على ، وهى من الساعة ...
إلى الساعة ... من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس وأنا أسمها حرف حرفاء .
قال أبو الفتح وبدأ بهذه العرضة يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من
جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ . على طوله .

أقول : والله من قال :

كما قر علينا بالإيماء بالمسافر

قال العاجز : وقت بخزانة رامبور على نسخة مضبوطة صحيحة من شرح
الفصيح تأليف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحيم الأصفهانى وقد بقى في
ملك الشيخ محمد الشيبى فاتح بيت الله الاجرام . وثبت على الصفحة الأولى منه
فصل من اليوقايت سطا عليه المجلد وهذا نصه وفصمه : قال الفراء^(١) : كلام
الفصحاء من العرب أحبته فهو محظوظ على غير القياس إلا أن عنترة جاء به
على القياس وقال :

ولقد نزلت فلا تظني غيره

مني بمنزلة الحب المكرم
ومن العرب من يقول : حبيته أحبه . ومنهم من يقول : إحبه ، قال :
وأنشدني أبو ثروان :

إحب لحبها السودان حتى

إحب لحبها سود الكلاب
قال الفراء : فكسر الألف وفتح الباء . وسلطان « حتى » أن ترفع
وتتصب وتختض على ما تص . . . من الإعراب ، تقول من ذلك : أكلت

(١) حكى مثله الأزمرى عن الفراء أيضا كما في اللسان .

السمكة حتى رأسها حتى رأسها ، قال : وأشدهى الكسائي^١ :
 ألقى الصحفة كى يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها
 ونعله ونعله . وسلطانها على الما(ستقبل) ... فتصبه وترفعه ، فنصبه على بابه
 (أى بإضمار أن) ورفعه على أن يكون في معنى الماضي . قال وقرأت القراء
 «وزلزلوا حتى يقول الرسول» و«حتى يقول الرسول» أى حتى قال . وسمعت
 المبرد يقول وقد سُئل عنها فقال إذا رفع ... فعنده وزلزلوا حتى الرسول
 قائل . وأشده^٢ ثعلب والمبرد جيعا :

مطوط بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما تقاص بأرسان
 أى حتى كلت مطيهم . قال القراء : وأخبرني الكسائي أنه سمع العرب
 ... سرت حتى أدخلها وحتى أدخلها وما زلت أسير حتى أدخلها وحتى أدخلها
 ولا أزال أسير حتى أدخلها إلخ من كتاب الياوافت^٣ لابي عمر الزاهد .
 (٢٨) كتاب يوم وليلة ، وتمام اسمه عند البغدادي في خزاناته وقد^٤ وقف
 عليه «كتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر» .

على گزه (المند)

عبد العزيز الميمني

(١) لابي مروان التحوى أو لاتلس .

(٢) لامری القبس .

(٣) قالوا إنه أمل في آخر كتابه الياوافت في اللنة قوله :

لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورت العين وفض الجهرة
 ووقف الفصيح عند الفطرة
 يزيد بالجوهرة كتاب الياقونة .

(٤) راجع حوالاته في الخزانة (١: ١١ - ٢٩١ : ٣ - ٤٨٣ و ٤٨٤) .

حياة على محمود طه

إن شاعرنا الذي نكتب عنه شاعر معاصر لم يفارق الحياة إلا منذ نحو أربعة أعوام، ولم يشغل أحد من الكتاب نفسه بالكتابة عن حياة الشاعر كأنما يحسون أنهم يعرفون عنها القدر الكافي من أنه كان مهندساً هو الشعر وأخرج فيه عدة دواوين. أو كأنما يعني أن يمضى على الشاعر عهد طويل تطمس فيه معالم تاريخه قبل أن يحاول أحد أن يكتب عن حياته راجعاً في ذلك إلى تف الأخبار التي يجمعها من بين ثناياها من يكونون قد أشاروا إليه في كتاباتهم على مر الزمن.

وإن التقاديم في رسالتى هذه بفصل عن حياة الشاعر أمر لا بد منه لفهم شعره وتقديره في ضوء تلك الحياة من جهة، ولأنني أكون مقصراً إذا كنت أول من يكتب بحثاً علياً جامعاً عنه من غير أن أجمع أقصى ما يمكن جمعه عن حياته.

ففي هذا الفصل أتناول تلك الحياة بقدر ما سمحت به الظروف، ولقد لقيت كثيراً من الصعوبات في جمع ما جمعته عن تلك الحياة فقد أرشدني أستاذى الدكتور مهدي علام إلى عدد من كانوا يعرفون الشاعر من أدهله وأصدقائه فقابلتهم وتحدثت إليهم عن النقط التي أريد أن أعرفها عنه كما سافرت عدة مرات إلى المنصورة مديتها التي نشأ فيها، وأنا مدین بالفضل على الخصوص إلى السيد سعد الدين طه بديوان المحاسبة شقيق الشاعر، وقد زودني بقدر عظيم من المعلومات عن حياة الشاعر - كما أنني اطلعت على مجموعة الكتب العربية التي كان يملكتها الشاعر والتي أهدتها أسرته بعد وفاته إلى مكتبة البلدية بالمنصورة، وقد ينت جزءاً مما كتبه عن حياة الشاعر على استنتاجات وصلت إليها من ملاحظات لاحظتها على هذه المجموعة.

ولقد كان من الممكن أن أستفيد كثيراً من مذكرات الشاعر ولكن أسرته رأت الاحتفاظ بتلك المذكرات لأنها شخصية، ولا بد أن ينقضى وقت طويل قبل أن تصبح هذه المذكرات في يد الكتاب وحتى ذلك العين لا مفر لنا من الاكتفاء بالقدر الذي وصلنا إليه تاركين للمستقبل أن يقدرنا على زيادة ما نعرفه عن حياة الشاعر أو على تصحيح ما قد يكون الاستنتاج فيه قد أخطأ.

هناك على ضفاف النيل في بلدة المنصورة إحدى عواصم الوجه البحري يختلط جمال الريف وبداؤته بجمال الحضر ومدنية وتنفس الطبيعة مظهرها الصامت الرائع ويألف الناس حياتهم ويطمسون إليها تحكم فيهم عادات وتقاليد ورثوها عن آبائهم وأجدادهم وتركزت تلك العادات حتى أصبحت فلسفه للحياة اليومية في الريف لا يكاد يحرق واحد من الناس على الخروج عليها. وفي هذه البلدة ولد الشاعر – وللنصورة شهرة تاريخية فقد شهدت انهزام لويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد إحدى الحملات الصليبية على مصر – وشهدت في دار ابن لقان.

لقد كتب علي محمود طه بعد أعوام كثيرة من مولده أن الأرض تزين وأن الخمايل تصفق نشوى وأن الفجر يزهو بميلاد الشاعر وأن صور الحسن تسامل قائلة :

منْ تُرِي ذَلِكَ الْوَلِيدُ الَّذِي هَـ	شَـ لِهِ الْكَوْنُ مِنْ جَمَاد وَحْيٍ ؟
مِنْ تُرَاهُ ؟ فَرْنُ صَوْتُ هَـ	مَـ وَرَاءِ الْحَيَاةِ شَاجِي الدَّوَىـ
إِنْ مَا تَشَهِدونَ مِيلَادُ شَاعِرٍ .	

ترى أكان علي محمود طه يقصد نفسه عند نظم قصيدته تلك لعبر عن فرح الدنيا بميلاد شاعر ، أم ترى كان يقصد المعنى العام الذي ينطوي عليه

(١) الملاج الثاني صفحه ٩ الطبيعة الخامسة .

ميلاد أى شاعر !

على آية حال فقد كان ميلاده في سبتمبر سنة ١٩٠١ كأنا أراد أن يشهد مطلع القرن العشرين الذي بدأت فيه الحياة تأخذ لوناً جديداً في مصر، والذي شهد من التطور والتغير في نواحي تلك الحياة الشئ الكثير في السياسة وفي العلوم وفي المجتمع ذاته، فكان ميلاد الشاعر في تلك الحقبة إذاناً بأنه سيشهد بلاده وهي تمر بفترة انتقال تغير فيها القيم والموازين وتختفي فيها عادات تحل محلها عادات أخرى، فمن نزع للحجاب إلى دخول المرأة الجامعية إلى السفور التام إلى التشبه بأوربا في العادات والأوضاع الاجتماعية. ومن يقظة في الوعي القومي والسعى إلى التحرر من نير الاستعمار وطلب الحياة الديمقراطية وخلق الحياة النيابية الجديدة إلى غير ذلك من الاهزات التي تتاثب المجتمع المصري، ولا يزال يعيش فيها.

وقد أثرت تلك الأحداث في شعره فكثيراً ما نظم قصيدة كانت أبياتها صدى للحوادث السياسية الجارية في زمانه؛ وكثيراً ما عبر عن روح العصر من خلال شعره.

ولقد سلم على محمود طه في حياته من الفاقة ومساواتها كما سلم من الترف الذي يميت الحس ويقتل الشعور، فقد ولد في أسرة متوسطة، لا هي بالملفرطة في الفنى ولا بالمنحدرة إلى الفاقة، كان أبوه تاجرًا في المنصورة وولد بين أربعة إخوة وأختين فكانت تلك الأسرة الكبيرة كفيلة بأن يجد فيها الشاعر الروابط العائلية من يوم مولده إلى يوم عاته.

دخل الشاعر مدرسة الرشاد الابتدائية بالمنصورة، وقضى فيها سن الدراسة الأولى، وظهر عنده الميل إلى قول الشعر في تلك السن المبكرة، كما ظهر مدى تقديره للجمال في شتى صوره، فظل بعد ذلك طول حياته باحثاً عنه منقباً في ربوع أوربا عن الحسان اللوائى يلبين الشاعرية في نفسه

فلا عجب إن قال^١ :

حياتي قصة بدأت بـكأس طا غنيت وأمسأة جيلة

نذكر في هذا المقام أنه كان هناك صاحب مهنى يوتنى في المنصورة وكانت له ابنة تميزت بنوع منفرد من المجال، فوجد الشاعر في سنة المبكرة ما يلهمه قول الشعر، وكان كثيراً ما يذهب إلى المقهى متبعلاً بشتى العلل ليراهما^٢
يقول الأستاذ الزيات: «عرفت علياً منذ سبع وعشرين سنة على الصفاخ الحضر من مدينة المنصورة، وكان حين عرفه شاباً منصور الطلعة مسجور العاطفة مسحور المخيلة لا يصر غير المجال ولا ينشد غير الجلب ولا يطلب غير اللذة ولا يحس الوجود إلا قصيدة من الغزل السهاوي ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك»^٣.

ونحن نعرف أن الأستاذ الزيات كان من أعرف الناس بشاعرنا، فإذا صدر عنه مثل ذلك الكلام فإنما هو تصوير لحقيقة الشاعر وكيف أن ميله لل المجال يكاد يكون ميلاً غريزياً عرف فيه منذ الصبا وظل معه أيام الشباب والرحلة فقد تطورت تلك الميول الغريزية حتى أصبحت طباعاً تأصلت في نفسه، وصار كلها تنقل من مكان إلى مكان في أوروبا يبحث عن المجال أول ما يبحث.

ولند أخبرنا الأستاذ أحمد حسن الهاكع المراقب السابق لمنطقة المنصورة التعليمية عند زيارته له بالمنصورة أن على محمود طه كان مولعاً حقاً بال مجال كما كان يهوى الموسيقى ويجيد العزف على البيانو.

كل هذا يدل على الطبع الفني في الشاعر ويضيف دليلاً إلى ما نقول.

(١) الشوق العائد صفحة ٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥).

(٢) هذه النبذة نقلناها عن ثقيق الشاعر الأستاذ سعد الدين طه.

(٣) الرسالة، فرنسا، ١٩٤٩.

لبث الشاعر في المدرسة الابتدائية حتى نال شهادتها ودخل المدرسة الثانوية ومكث فيها عامين ، ولكن يبدو أن الدراسة الثانوية لم تصادف في نفسه هو قرئها ودخل مدرسة الفنون والصناعات الخديوية وتخرج فيها عام ١٩٢٢ مهندساً معمارياً ، كيف اختار على محمود طه تلك الدراسة؟ وكيف استطاع أن يجتاز مراحلها ، تلك فترة من حياته لا نعلم عنها الكثير ، وإنما الأمر الذي نلاحظه أنه اخذه من حرفه شعراً يضعه بعد اسمه ، فصار يعرف باسم على محمود طه المهندس ، وصار ذلك اللقب علماً عليه . وتحير كثير من الناس ما الذي يدفع بصاحب الفرجار واللوحة إلى ميدان الشعر ، ولكن أليس الشعر في حد ذاته يبين دقة تنظيم الكون وبديع هندسته؟ أليس في ذلك الكون ما يدعو المهندس إلى التأمل وقول الشعر؟

دخل على محمود طه بعد حصوله على شهادته في خدمة الحكومة بمصلحة المباني الأميرية – ونحن نعرف حياة الموظفين وتشابه أيامها ورتابة نظامها – وتنتقل الشاعر بين أسيوط والمنصورة ، ثم استقر به المقام في القاهرة في سنة ١٩٣١ حيث انتقل إلى وزارة التجارة والصناعة مفتاحاً للباني والمعارض .

هذه الوظيفة ونوع العمل فيها ليست مما يميز إنساناً أو يعلى من شأنه بحيث يكتسب الشهرة ، فقد كان من الممكن أن يتقلب الشاعر في سلك الوظائف حتى يحال إلى المعاش ف تكون حياته بذلك صورة من آلاف الصور التي نراها في حياة الموظفين المصريين ، ولكن على محمود طه تميزت حياته بعنصر مهمين آخر جاه من تلك الدائرة إلى أفق أوسع وحياة أكثر حيوية وأكثر نشاطاً ، وهذا العنصران هما قوله للشعر ورحلاته إلى أوروبا .

أما قوله للشعر فنحن سنعرض له فيما يلي من الكلام : وأما رحلاته إلى أوروبا فقد بدأت في سنة ١٩٣٨ حين ذهب لقضاء فصل الصيف هناك فكانت تلك الرحلة مرحلة جديدة في حياته وفيها رأى حياة أهل أوروبا التي تختلف

تماماً عن حياة المصريين ، رأى فيها انطلاق الناس وتحررهم من أثر التقاليد والقيود التي تفرض على الحياة في مصر فأحدث ذلك في نفسه أثراً لا يمحى وصار تغنيه فيها بعد تلك الرحلة بأوربا أمراً مشهوراً وظاهره يتبين في شعره . ثم زار أوربا مرتين بعد ذلك وكانت الزيارة الثانية في عام ١٩٣٩ وهي رحلة دراسية لمعارض أوربا ، ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها رحل إلى أوربا مرة ثالثة في عام ١٩٤٩ للنزهة .

لقد تعرف في أوربا على فتيات كثيرات منهن من ذكر صراحة في شعره ومنهن من أجمل الكلام عنهن ، وقد أرسل إلى صديق له بعد عودته من رحلته الأولى في عام ١٩٣٨ إذ يقول : عزيزى عثمان بك ! تحياتي وأشواق الزائدة إليك ، تلقيت كتابك ساعة وصولي إلى القاهرة ، فتلويه شاكراً لك مبادرتك بالسؤال وليس بين الأصدقاء تكليف يا أبا عفان ، فقد علمت بمشغولتك في الامتحان .

كانت الرحلة موقعة جداً ، وكانت أسعد مخلوق وقد اكتفت حياتي ظروف غريبة فقد كنت غرض العيون النواعن في أربع مدن من عواصم أوربا وتخلصت — والحمد لله — منهم جميعاً ، ولكن أبي القدر إلا أن يسوق إلى حمامه ظريفة تحت أحجار الأكروبول وهي في مصر الآن تؤدي عملها في اليكادلي ولم يمر يوم إلى الآن دون مقابلة .

سترأقي أهرام الفد أو بعد الفد أول المقطوعات . الشعريات التي أفضى : على وحي أوربا وهي قصيدة عن بحيرة كومو أهديت إلى السائحة الأمريكية مزر رويدال التي صحبته في ميلانو وكومو . تحياتي لك وأشواق .

على محمود طه

ونحو نرى قصيده « أغنية الجندول » التي نظمها في وصف مشاهد أوروبية يتحدث فيها عن :

ذهبُ الشعر، شرقُ السبات مرح الأعطاف حل اللفقات^١

ولا يقول لنا من هي تلك الشقراء.

ثم نراه في قصيدة بحيرة كومو يهدى كلامه للأدبية الأمريكية التي ذكرها في خطابه السالف وقد ذكرها صراحة، وكتب عنها في مقدمة القصيدة وعند ما يقول :

يا ابنة العالم الجديد صل عالماً غبره^٢

أما قصيدة حمرة نهر الرين فقد أهدتها إلى فناة برن التي كتب عنها فصلاً كاملاً في كتابه «أرواح شاردة»، حيث قال عنها : «ولاح لي في هذه اللحظة خيال كارين الشابة الحسناه التي تفوق العذارى رقة وخضرا، إنها في الثانية والعشرين من عمرها ، تؤمن بالسحر المصرى القديم وتتكلف بمحدث الحريم في الشرق وتنشق بطوالع النجوم ، وتصدق قرامة الكف ، وتسأل عن المستقبل ، وتبث عن الحب والرجل المنتظر. إنها تتق بآرائى وتدفع في حاسة إلى حديث الفن بلهجة إنجليزية حلوة جذابة قلما سمعت موسيقاها من أفواه الإنجلزيات أنفسهن»^٣.

ثم نرى قصيدة «ألحان وأشعار في منزل رتشارد فاجرز» قد كتب في مقدمتها أنه زار ذلك المنزل بصحة فناة اسكندنافية تدعى «دوريس» (Doris) وأتبع تلك القصيدة بقصيدة أخرى يصف يوماً لها قضياه في الغابة.

من هنا نرى أن الشاعر تنقل في أوربا من مكان إلى مكان كما تنقل من فناة إلى أخرى وصحبه إحداهم إلى مصر ثم رحلت بعد أن كاد يتزوجها^٤.

(١) يالى الملاح الناته صفحه ٥

(٢) نفس المرجع صفحه ٥٢

(٣) أرواح شاردة ص ١١٢ (الطبعة الرابعة)

(٤) نقل عن شقيق الشاعر الأستاذ سعد الدين طه .

وعاش على محمود طه طوال حياته لم يتزوج ، ولم تكن له علاقة ثابتة بأمرأة بعينها ، وإنما آثر أن ينتقل بين مختلف النساء كلما انتقل من مكان إلى مكان . قد تكون تلك التصرفات دليلاً على غرابة أطواره ، ولكن أى الشعراه لا غرابة في أطواره ؟ إن الشذوذ عن مألوف حياة الناس يكاد يكون قريباً للشعر ، ونحن نذكر هنا طرفاً من أطواره الغريبة تلك ، فقد كان يذهب في صباحه إلى الجسر المقام على النيل ليجلس هناك ، وقد أرسل ساقيه في الماء ، يجلس ليراقب الماء وهو يمر ، وفي تلك الأثناء يكون قد نظم قصيدة أو أكثر كما نذكر أنه جلس في ليلة بمعه بالقاهرة في مكان مكشوف ، ثم أمطرت السماء فظل جالساً في مكانه ورفض أن يغادر ، وظل يحتسى أقداحه غير عابٍ بالملط حتى أصابه مرض الزمه الفراش عدة أسابيع^١ .

لقد كان الشاعر طوال المدة التي قضتها في القاهرة في أول حياته يتردد على قهوة الآداب في الخلية حيث كانت تعقد في المساء ندوة أدبية قوامها بعض الشعراء كالأستاذ أحمد الزيني والأستاذ الهراوي ، ولا شك في أن تلك الجلسات كانت تساعد الشاعر على صقل موهبته ، وربما كان يعرض عليهم طرفاً من شعره وال المجالس الأدبية أمرها مشهور في الجيل الماضي في مصر ، لقد كان حافظ إبراهيم يتخذ مجلسه في بار اللواه ، وكان شوقى يجعل من كرمه ابن هانى ندوة مختارة ، وهكذا كلّاً أن تجد شاعراً في مصر لم يتردد على أمثال تلك الندوات لسماع فيها كلّ جدّ ، وتكون عنوانه على الاتصال بالحركة الأدبية من حوله ، وربما كان من أهم ما أثر في على محمود طه حركة النقد الموجهة إلى شوقى فهو كان على صلة وثيقة بهذا الشاعر ، ولا شك في أنه كان على علم تام بتطورات تلك الحركة .

وفي أخباريات حياته كان يجلس في ندوة الأهرام حيث تعرف على كثير

(١) نقلًا عن شقيق الشاعر الأستاذ سعد الدين طه .

من الأدباء والشعراء الذين يحتلون مكانة مرموقة في الحياة الأدبية في مصر. دخل على محمود طه خدمة الحكومة وبلغ مجموع مدة خدمته ٧ أيام ٤ أشهر ٢٤ سنة وكان قد طلب إحالته على المعاش في ١٠/١ ١٩٤٤ وظل خارج خدمة الحكومة حتى أعيد إليها في ١٩٤٩/٤/١٨ في وظيفة وكيل دار الكتب ولبث في تلك الوظيفة حتى وفاته الأجل في ١٧/١١ ١٩٤٩^١. وكانت وفاة الشاعر لمرض بقلبه وقد كتب الأستاذ عباس خضر في بذلة «الرسالة» فقال: «كان الفقيد الكريم طوال الصيف الماضي يعاني مرضًا شديداً خف عنه أولاً، ثم اتکس فعاودت قلبه العلة، وكان يعالج أخيراً في المستشفى الإيطالي، وقد تماثل وتقدم نحو الشفاء حتى عين يوم الخميس الماضي (١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩) لخروجه، وفي هذا اليوم المعين ليس ثيابه وتأهب لمغادرة المستشفى، وإذا هو يسقط صريعاً بين أيدي من أتوا لمرافقته إلى منزله».

مكتبة على محمود طه

إن كل أديب في العصور الحديثة لابد أن يقتني مكتبة تتسع فيها الكتب وتختلف على حسب قدرته المالية والعقلية لأن من الطبيعي أن تكون حصيلته في الثقافة نتيجة لقراءاته المتوعة بل إنه من الممكن أن نفترض إلى حد ما بعض اتجاهاته الفكرية إذا تمكننا من معرفة الكتب التي قرأها وأثرت فيه، ومن الأمثلة على ما نقول ما نراه في اتجاه ه. ج. ويلز الكاتب الإنجليزي الذي درس العلوم في بداية حياته فكان إنتاجه الأدبي متاثراً إلى حد كبير بدراساته العلمية البحتة، وكان على محمود طه من يحرصون على اقتناء الكتب، ويتجلى ذلك في العدد الضخم من الكتب الذي تحويه مكتبه التي أهديت إلى مكتبة البلدية بالمنصورة، وبالرجوع إلى سجلات هذه المكتبة اتضح أن عدد

(١) نقل عن ملف خدمة الشاعر في إدارة المعاشات

(٢) مجلة الرسالة عدد ٣٨ (نوفمبر سنة ١٩٤٩) صفحة ١٦٦٢

الكتب العربية حوالي أربعين وخمسين كتاباً باللغة العربية، ومانعة وستين كتاباً بالفرنسية والإنجليزية.

لقد كان من الممكن أن نعرف إلى حد ما إذا كان الشاعر قد قرأ كتاباً إذا وجدنا على الأقل أنه قد فتح أوراقه، ولكن لسنا بحاجة بذلك لأن فتح هذه الأوراق لا يعني بصفة مؤكدة أن الشاعر قد قرأ الكتاب، وإنما من المؤكد أن الكتاب الذي لم تفتح أوراقه لم يقرأه الشاعر، كان من الممكن أن نقوم بهذا الإحصاء لو لا أن مكتبة الشاعر قد أهدت إلى مكتبة عامة، وجاءت الكتب وفتحت أوراقها وتدارلتها الأيدي، فلم يعد من المستطاع الاتفاع من هذه الاتجاه، ثم إنه يجب علينا من ناحية أخرى أن ندخل في تقديرنا أن على محمود طه شاعر عربي نشأ في بيته عربية مصرية وعلى هذا الأساس علينا أن تتوقع وجود بعض الكتب التي ليس لها دلالة على اتجاه فكري خاص لأن جميع من يؤسسون مكتبة عربية تكون لديهم هذه الكتب وإن لم ينتفعوا بها اتفاقاً كلياً، وكذلك جرت العادة في المجتمع العربي أن مؤلف الكتاب يهدى نسخاً منه للشخصيات الأدبية البارزة المعاصرة له، ومن هنا يصبح وجود هذه الكتب المهداة لا يدل دلالة واضحة على ميول الشاعر الفكرية، ونحن نجد في مكتبة على محمود طه مجموعة كبيرة من الكتب المهداة ويتبيّن لنا ذلك في اختلاف موضوعات الكتب الموجودة بالمكتبة ووجود بعض منها يبحث في موضوعات لا تتصور أن الشاعر كان حريضاً على قرائتها، وعلى كل حال فتنوع الموضوعات واختلافها إنما يدل على أن الشاعر كان واسع الاطلاع، وأن ميوله الفكرية كانت متوجهة إلى استيعاب المعلومات في مختلف النواحي، والذى نفهم به في هذه المجموعة هو كتب الشعر أو الكتب التي تبحث في الشعر، ونحاول أن نقسم هذه المجموعة إلى دواوين شعر، وكتب عن الشعر، ومن هنا يتبيّن لنا مقدار ثقافة الشاعر عن الشعر

القديم والحديث والأثر الذي يدو خلال ما ينظمه نتيجة هذه الثقافة ، وإنه كان من الواجب علينا أن تأخذ جانب الحذر فيما نصدر من أحكام نتيجة هذه التقييمات ، وأن نمحض النتائج التي نصل إليها لأننا نعرف أن هذه مجرد محاولات من جانبنا لنلق ضوء على ما نظم على محمود طه ونستخلص من ذلك ما نريد ، ولكتنا نعلم في الوقت ذاته أن الميل إلى قول الشعر يبدأ في سن مبكرة قبل أن تاح للشاعر فرصة كبيرة للحصول على الكتب ، وإنما يتأثر في هذه السن المبكرة بما يدرسه أو يحفظه في المدرسة .

ولكن لعل اقتناه لكتب خاصة بعد ما تقدمت به السن يبين لنا بعض اتجاهاته ، ولنقسام الآن الكتب الموجودة في المجموعة العربية من كتبه إلى شعر ، وكتب عن الشعر ، وغير ذلك فنجد أولاً كتب الشعر :

رباعيات عمر الخيام : ترجمة محمد السابعي . ديوان مهيار الديلمي : طبعة دار الكتب . ديوان المذلين : طبعة دار الكتب . أغاني الكوخ : محمود حسن إسماعيل . الأوتار المتقطعة : رياض معلوف . ديوان أبي نواس : محمود كامل . ديوان زكي مبارك : زكي مبارك . مصرع كليو باترة : أحمد شوقى . نهج البردة ، أحمد شوقى . شرح ديوان حسان بن ثابت : عبد الرحمن البرقوقي . شرح ديوان جرير : محمد إسماعيل الصاوي . اللزوميات لأبي العلام المعري . شرح ديوان الفرزدق : عبد الله الصاوي . ديوان حافظ إبراهيم : حافظ إبراهيم . روابط الفكر والروح : إلياس أبو شبلة . الأبد : إلياس أبو شبلة . ديوان عباس العقاد : عباس العقاد . أنا حائرة : عزيز أباذهلة . قيس ولبني : عزيز أباذهلة . شرح ديوان أمرى القيس : حسن السندي . ديوان عمر ابن أبي ربيعة : بشير عمود . ديوان عبد المطلب : محمد المراوى . الأوشا : جيل صدقى الزهاوى . الشوقيات : أحمد شوقى . جهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد . شرح ديوان المنبي : عبد الرحمن البرقوقي . ديوان إسماعيل صبرى : إسماعيل صبرى . ديوان

زهير: الأعلم الشتمري. أسرار الحافة: سيد المرصفي. ديوان الحافة:
أبو تمام الطافى. ديوان البحترى: رشيد عطية.

من هذه المجموعة من كتب الشعر، يتبيّن لنا أن الدواوين القديمة هي
الغالبة، وأن اقتناه هذه الدواوين أمر يعتبره كل شاعر عربي من الضروريات
في فهم الشعر وفي قراءة، فهذه الدواوين بمثابة الأساس الذي يبني عليه كل
جديد في الشعر، وربما كان بعض القصائد الوارددة فيها أمثلة فنية يحتذى بها
الشاعر في بداية الأمر مما أشرنا إليه عند الحديث عن المعارضات في الشعر
العربي، فدواوين امرئ القيس وزهير وعمر ابن أبي ربيعة من الجاھلین
وصدر الإسلام، ودواوين مهیار الديلى والفرزدق وجرير وديوان الحافة
فيها تلا ذلك من العصور، وربما كان شوق باتاجه الضخم من الشعر وأثره
الكبير في الأوساط الأدبية جعله صاحب أكبر مجموعة من كتب الشعر الحديث
في تلك المكتبة.

أما الكتب عن الشعر فتبيّن لنا فيما يلي:

أهمية الشاعر: سيد قطب. شاعرات العرب: بشير يموت. الذود عن
الشعر: هازلت. أنتم الشعراء: أمين الرحىنى. طبقات الشعراء: محمد بن سلام.
عقربية الشريف الرضى: ذکى مبارك. الوساطة: القاضى الجرجانى. شعراء
مصر ويناثهم في الجيل الماضى: عباس العقاد. ذكرى أبي الطيب: عبد الوهاب عزام.
رواد الشعر الحديث: مختار الوكيل.

ونرى هنا بعض الكتب التي قلنا عنها إن كل من يؤلف مكتبة عربية
يتجه ذهنه إلى اقتناها بصرف النظر عن الاتفاع بها اتفاماً كلياً. ومثال
ذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه
الأندلسى، والمستطرف في كل فن مستطرف للشيخ شهاب الدين، والرسالة
الصفراء لابراهيم ابن المدبر، ومقامات بديع الزمان الهمدانى، ومقامات الحريري،

وكليلة ودمنة ، وطوق الحامة لابن حزم ، ومقدمة ابن خلدون ، ورسالة الفرقان . وهناك خلاف ما تقدم ذكره بجموعة كبيرة أخرى من الكتب بين قصص وتاريخ وسياسة وتفسير ودليل آثار وتاريخ حياة أشخاص وهي الموضوعات المتنوعة التي أشرنا إليها يقولنا إنها ليست مما كان يمكن أن يحرض الشاعر على قرامتها ، وقد كان من الممكن أيضاً أن تصفح هذه الكتب لنرى بعض ما خط الشاعر عليها ، أو نرى عبارات الإهاداء التي كتبها أصحابها عند إهدائهم الكتب إلى علي محمود طه لو لا أن هذه المكتبة أصبحت جزءاً من المكتبة العامة ، وليس من اليسير علينا أن نطلع عليها ، فضلاً من أنا نرجح أن على محمود طه لم تكن لديه عادة التعليق على هواش الكتب ، أو كتابة شيء بين سطورها نظراً لأننا طلبنا بعض هذه الكتب فلم نجد عليها أي دليل يشير إلى أن الشاعر كان يخطط عليها ما يتراوح له من الأفكار .

أما المجموعة الأفرنجية فهي في الواقع التي يمكن أن تبين من استعراض الكتب الموجودة فيها بعض اتجاهات الشاعر في القراءة في الآداب الغربية . فالقارئ العربي لا يقتني كتاباً باللغات الأجنبية إلا إذا كان مهمتها موضوعه وإنما كان حريضاً على قرامته نظراً لأنه هو الذي يسعى لشراء الكتب وليس مما يهدى كما يحدث في الكتب العربية . هذا كقاعدة عامة وإن كانت بعض الكتب الأفرنجية يجوز أن يورثها إليه صديق مثلاً ، ولكن تاله حالات نادرة وبالرغم من ذلك فإنه يجب علينا أن نلزم جانب الحرص أيضاً عند استنباط أحكامنا من هذه المجموعة من حيث أن الشاعر الذي يريد أن يؤلف مكتبة يجوز أن يقتني الكتاب باسم مؤلفه ، ثم إنه ليس من الضروري أن يكون قد قرأه فربما اصطلح على بعض العوامل التي جعله يمرض عن قراءة بعض هذه الكتب لصعوبة النأليف ولصعوبة فهم اللغات الأجنبية إلى غير ذلك من العوامل ولكن الذي نجزم به أن الشاعر لا بد وأن يكون قد سعى

شراء الجزء الأكبر من هذه الكتب وأنه اشتراها لأنه أحس بضرورة قرامتها واقتانها، وهذا الإحساس لا يوجد في النفس إلا بعد أن تكمل المقومات الذهنية للشخص ويتحدد اتجاهه نحو الآداب بعض الشئ خصوصا وإن امكانيات الموظفين المادية لا تتيح لهم شراء هذه الكتب إلا بعد اتساع قدرتهم المالية واللغوية، ولعل هناك بعض الكتب في هذه المجموعة الأفرنجية لا دخل لها بميل الشاعر مثل كتاب *Women and the new age of colonz* ونحن نحاول هنا أن نتخرج من المجموعة الأفرنجية كل ما ليس له علاقة بالشعر، فجده أن الشاعر قد اتقى مجموعة كبيرة من مؤلفات جورج برناردشو مما يؤكد اهتمام الشاعر بدراسة هذا الأديب المعاصر الكبير، وما يدل على أن ثقافته في اللغة الإنجليزية كانت قد بلغت المرحلة التي تتيح له تفهم ما يكتبه برناردشو. وما نجد في هذه المجموعة دواوين الشعراء تحدث عنهم على محمود طه كثيرا عند ما كتب «أرواح شاردة» مثل بوداير وفرلين، كما تجد رباعيات عمر الخيام في الترجمة الإنجليزية لفتجرالد.

نستخلص من ذلك أن الشاعر لا بد وأن يكون قد تأثر إلى حد كبير بهذه القراءات خصوصا ما يتبعنا في ديوان «أرواح وأشباح» من رسم شخصيات خرافية إغريقية كتب عنها الشعراء الفرنسيون في العصر الروماني، وكذلك ما نراه من اتجاه على محمود طه نحو الأدب الروماني عامه، وليس من الضروري أن يكون أثر هذه القراءات ظاهرا بصورة مباشرة دائما كما نراه في ترجمة بعض القصائد لشيل وبدمير وفرلين، بل ربما يظهر بشكل غير مباشر في التعبيرات وفي التشبيهات ذاتها فإن ذهن الشاعر يستقبل المعلومات فيتمثلها ثم يخرجها بصورة جديدة.

وعلى أية حال فإن هذه المكتبة تدلنا بصورة قاطعة على أن على محمود طه كان واسع الاطلاع في الآداب الأوربية، وسواء كان تأثيره بهذه الآداب

كيرا أو أن ذلك التأثر لم يستطع أن يتغلب على النزعات العربية في تفكيره فإنه ما لا شك فيه أن الروح الغربية قد حولت مجرب تفكيره عما اعتاده الشعراء العرب عامة وجعلته يختلط لنفسه طريقاً مغايراً، مما جعلنا نعتبره نقطة تحول في الشعر العربي.

مراحل التطور ومقوماتها في شعر على محمود طه

من الشعراء من عاش حياة تنطبع بطابع الألم والعنف وفيها كثير من الجهد المتصل الذي لا يكاد يفرغ منه حلقة، حتى تبدأ حلقة أخرى، ولا يكاد ينجو من مخنة حتى يسلمه دهره إلى سواها، فهو بين هذه وتلك تتقاذفه الأيام فتسوء به آلامه مرّة في شعره وتهبط به أحياناً أخرى، وربما اصطلحـت عليه الآلام بحيث لا يكاد يجد ريح السعادة، ومن خلال تلك الأحداث يتزور بالشعر فيأتي النغم فيه وقد لونـته الآلام بالوانـها، وظهرـ فيـه صدىـ ما يعتـملـ فيـ نفسـ الشـاعـرـ منـ أثـرـ الحـوـادـثـ ، فالـشـاعـرـ دـائـماًـ أـبـداًـ يـصـورـ إـحدـىـ حالـاتـهـ ، وـهوـ يـعـبرـ عنـ ذاتـيـتهـ علىـ طـولـ الطـريقـ ، فـإـنـ أـرـدـنـاـ أـنـ نـجـدـ آـسـيـرـ قـصـيـدةـماـ وـأـرـدـنـاـ أـنـ نـعـرـفـ الدـوـافـعـ الـتـيـ أـتـجـهـتـهاـ كـانـ عـلـيـناـ أـنـ نـرـجـعـ إـلـىـ تـارـيـخـ حـيـاةـ الشـاعـرـ لـنـسـتـصـصـ أـخـبـارـهاـ وـنـتـزـودـ مـنـهـاـ بـالـعـرـقـةـ الـلـازـمـةـ لـاـ ، وـمـنـ هـنـاـ كـانـتـ عـنـيـةـ مـؤـرـخـيـ الـأـدـبـ بـدـرـاسـةـ حـيـاةـ الشـعـراءـ درـاسـةـ مـفـصـلـةـ .

ومن الشعراء من يحيا حياة لينة ليس فيها من العنف والإثارة شيء كثـيرـ وـلـيـسـ فـيـهـ مـاـ يـمـرـكـ أـثـرـهـ فـيـ شـعـرـهـ أـوـ يـطـبعـهـ بـفـلـسـفةـ خـاصـةـ . وـإـنـماـ هـيـ حـيـاةـ عـادـيـةـ لـاـ يـمـيزـهـاـ عـنـ حـيـاةـ سـائـرـ النـاسـ إـلـاـ قولـ الشـاعـرـ ، حـقـيـقةـ إـنـ حـيـاةـ كـلـ فـردـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـخلـوـ مـنـ الـهـرـاتـ الـفـيـةـ وـالـعـاطـفـيـةـ ، وـإـنـماـ تـخـلـفـ هـذـهـ الـهـرـاتـ قـوـةـ وـضـعـفـاـ حـبـ الـمـؤـرـثـاتـ الـدـاعـيـةـ طـاـ وـالـمـيـةـ لـوـجـوـدـهـ .

لو نظرنا في حياة بعض الشعراء أمثال شيلي وبايرون وامرئ القيس

والنبي. لوجدنا أن كلا من هؤلاء كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من العنف والإثارة والانفعالات الحادة بحيث نستطيع أن نقول عنها بدون حرج إنها درامية (Dramatic) في بجموعها، ولقد يجد مؤرخ الأدب سهولة ويسراً في تناول حياة هؤلاء بحيث يستطيع الكتابة عن الأحداث التي اتباهم، دون أن يتعرض لشعرهم كثيراً، وبحيث لا يلزم نفسه النظر في ذلك الشعر، إلا بالقدر الذي يراه متصلاً بتلك الأحداث، فلقد كتب اندريله موروا مثلاً كتابه المعروف عن حياة بايرون، فلم يرجع فيه إلى شعره إلا بقدر الذي يلقي ضوحاً على حياته، فالكتاب في بجموعه قصة تاريخ حياة فرد وليس دراسة لشعر بايرون، وبذلك نرى أن حياة بايرون فيها من كثرة الحوادث ما يمكن المؤرخ أن يكتب عنها كتاباً منفصلاً.

ولو نظرنا إلى شعراء آخرين أمثال زهير بن أبي سامي أو أبي تمام والبحري لوجدنا أن حياة هؤلاء الشعراء قد اتسمت بطابع من المدح و لم يكن فيها ذلك العنف وتلك الإثارة التي أشرنا إليها، وإنما كانت تجري في حياتهم أحداث قد تكون قوية في بعض الأحيان، ولكنها لا تصل إلى حد المأساة. أما نحن فنستهرب في دراستنا للشاعر لمعرفة المؤثرات الأصلية في شعره بحيث لا تتناول من حياته إلا الأجزاء التي كان لها أثر قوي في إنتاجه. وقد تخيّرنا هذه الطريقة في دراسة شعر على محمود طه لسيين جوهريين:

أولها أن الدراسة الأكاديمية دراسة فنية في جوهرها والقصد الأول منها هو إبراز العناصر الشاعرية المميزة للشاعر، ونحن لم نختر على محمود طه موضوعاً لدراستنا إلا لأنه شاعر، فكل مانوجه إليه عنايتنا إذا من حياته هو ما أثر منها في شعره.

السبب الثاني أن حياة على محمود طه، كما رأينا في الفصل السابق تكاد تخلو من الأحداث الغنية مما يمكن أن يكون موضوع دراسة منفصلة كما هو الحال في حياة شيل والنبي مثلاً، والأحداث الموجودة في حياته ليس لها دلالة عميقة

في حياته أو في شعره، ولا يودي النظر إلى معرفة واضحة لتطوراتها. فقد كانت حياته في معظم الأحيان هادئة رتيبة لا تختلف كثيراً عن حياة الموظفين المصريين العاديين، وإن كان فيها من الأشياء الكثيرة ما يدلنا على نفسية الشاعر، لم تكن هناك حادثة بعينها أحدث أثراً مفاجئاً ورسمت خططاً فاصلة بين طورين متباينين عن حياة الشاعر، ولم تكن حادثة بعينها ظهر أثرها واضحاً في شعره، وإنما كانت هناك حوادث صغيرة متابعة مثل رحلاته إلى أوروبا وعلاقاته الغرامية هناك، ولكن التأثير الذي أنتجته تلك الحوادث كان بطيناً وغير متغير بعلامات تميزه عما سواها من شعره بحيث نستطيع أن نضع أيدينا على الحدود الفاصلة بين أطواره المختلفة، فلم تكن رحلاته إلى أوروبا مدعاة لاثارة سخطه على الأوضاع الاجتماعية الخاطئة في المجتمع المصري، ولم يلق فيها من الأحداث ما يوجه نظره إلى الحياة وجة خاصة، أو يخلق له فلسفة معينة، وإنما كان كل ما يحدث له شيئاً بما يحدث لآى سائح شرق يذهب إلى أوروبا للتمتع بما هناك من حرية وبما في الحياة من يسر، وبما في الطبيعة من جمال. ولو قارنا بين رحلاته ورحلات شاعر مثل بايرون وقد كان له نفس الاتجاه إلى مغامرات الشباب فسنجد فرقاً شاسعاً بين رحلات الشاعرين، ويكون أن ذكر رحلة بايرون الأخيرة التي مات فيها في اليونان، فالأس والجهد اللذين لقيهما هناك كانوا كفليين بالقضاء عليه، ويكون أن تذكر الوقت الذي قضاه مع صاحبه ومع شيلي وزوجته في إيطاليا، وذكر حادثة غرق شيلي وأثرها في شعره ليرى أن هناك فرقاً بين رحلات على محمود طه وغيره من الشعراء، وقد كان من الممكن لهذه الرحلات أن تخلق لدى الشاعر أزمة نفسية تنهي بخلق وعي خاص لديه عن المقارنة بين البيئة المصرية والبيئة الأوروبية، ولكن تلك الرحلات لم تنتج مثل هذه الأزمة ولم تترك لدى الشاعر من الآخر إلا الرغبة في نقل جو البيئة الغريبة ووصفها في شعره كما أنتجت علاقات غرامية كثيرة

ووجد الشاعر سبلاً مهداً هناك في أوروبا حيث لا قبود ولا تفاليد كذلك التي تفرضها الدينية المصرية، ولقد كان من الممكن أيضاً لأمثال تلك العلاقات أن تطبع شعره بفلافة خاصة تميزه لو أن إحدى هذه العلاقات كانت علاقة ثابتة بامرأة بعنهما، وكان فيها مد وجزر ووصل وهجر وعقبات وماس، ولكن من الممكن أن تميز تلك الصلة عن سائر الصلات وتبدو واضحة، ولكتنا لا نجد مثل هذا الحب الثابت في شعر على محمود طه، وإنما نحس عند قراءة شعره أنه يقص أبناء مغامرات لا يتعدى الأمر فيها علاقة الرجل العادى بالمرأة العادية، ولم يكن في تلك المغامرات من العنف والقوة ما يمكننا أن نسميه حباً صحيحاً، وإنما هو حديث رجل يقص قصة غرام صادفه وإلا لاحتلت إحدى هؤلاء النساء منزلة رفيعة في دواوينه ولطفق يذكرها أبداً أو على الأقل حبة طوبية ولطالعتنا صورتها من وراء سائر الصور التي يصف فيها نساء آخريات، ومع أن الشاعر قد أفرد في ديوانه «الشوق العائد» عدداً من قصائد لامرأة دامت علاقته بها وقتاً طويلاً، فإنه عدد هذه القصائد صغير، وهي إلى ذلك لا تصور إلا مألف الهجر الذى يحدث بين المحبين غير مصحوب بمواضف خاصة أو أزمات وحوادث مما يشير إلى ارتباط روحى بين قلبين، ولو جمعنا هذه القصائد بعضها إلى بعض لما عبرت في مجموعها عن عاطفة حادة مؤثرة، وإنما هي تصور علاقة عادية كسائر العلاقات التي تراها في دواوينه الأخرى، ولكتنا لا نجد مثل هذا الحب المشتعل المتميز وإنما نسمع من الشاعر قصة فتاة برن، وقصة الفتاة الاسكيندنافية، وقصة الأمريكية التي صادفها عند بحيرة كوكو وقال لها.

يا ابنة العالم الجديد صلي عالماً غير

وقصة الاندلسية التي صادفها في حانة، إلى آخر تلك القصص التي لا

(١) ليل الملاح الثاني ص ٥٢

تخرج في بجموعها عن وصف نساء كانت له بين علاقات عابرة لم يطل أمدها ولم تحدث في نفسه أثرا فعالا ممتدا ، فلم يظهر لها بالنال أثر قوى في شعره . ونظرا لأن تلك الأحداث لم تكن لها دلالات قوية ولم يكن لها دوام ، فإنها تساوى جيما في درجتها من الأهمية أو عدم الأهمية بحيث أنك لو سألت أهل وآصدقائه ، وهم المصدر الوحيد الممكن لمعرفة حياته لما قصوا عليك من أمر تلك الأحداث إلا الأشياء العابرة التي تحدث في كل يوم .

ولكتنا رغم ذلك نجد أن في حياة الشاعر طورين مختلفين لكل منها طابع مميز له ، ففي أول حياته كان على محمود طه يعيش حياة الموظفين المصريين حيث تكتسب تلك الحياة نوعا من الرتابة والتشابه في أيامها وليلاتها وليس فيها من الأحداث ما يثير النفس ويوقظ الحس ، إنما هي ذهاب إلى العمل وإياب ، وبحث عن جلسة هادئة في آخر اليوم في مقهى أو في ندوة من الندوات ، وتكرر تلك الأيام حتى يصيب النفس نوع من الملل والسام ويكون البحث عن مغامرات الحب هو المتفس الذي يكسب تلك الحياة نوعا من النشاط والتوعي خصوصا في ميزة الصبا ، ولكن التقاليد في مصر في مطلع القرن العشرين لم تكن تتيح أمثل تلك المغامرات بكثرة ، وكان عليه أن يصبر طويلا حتى يظفر باللناء وأن يدخل إلى المغامرة من بدايتها كما ينها شوق بقوله :

نظرة فابتسمة فسلام فكلام فواعد فلقاً^١

لم تكن المغامرة تبدأ بمرحلة اللقاء كما يحدث في أوروبا مثلا حيث لا عقبات ولا مراحل لل GAMERات وإنما النساء يشاركن الرجال في مختلف نواحي الحياة واللقاء بهن ميسور ، فلا عجب إذا وقف الفتى المصري الذي نشأ في الريف وهو يقدر الجمال أمام تلك المباهج المبذولة والمعن السهلة موقف الظمآن الذي رأى الماء بعد طول الصدى .

كان على محمود طه بنظم الشعر وهو في مدرسته الابتدائية ، وقد نشأ على ضفاف النيل في بلدة المنصورة ، حيث الريف وبيته وتقاليده يطبع الناس بذلك الطابع الحزين المهدى ، وقد ظهرت أول مجموعة له من القصائد في المجالات الأدبية التي كانت موجودة في ذلك الحين ، كمجلة أبولو والرسالة والسياسة الأسبوعية وجمعت هذه التصانيد وطبعت في أول ديوان له ، وهو ديوان الملاح النايم ، ونرى هنا لاحظ في ذلك الديوان أن للشاعر اتصالات بالأدب الأوروبي ولكنها اتصال محدود مما ينادي شاعر لأى شاعر مصرى طموح متبع للحركة الأدبية والقديمة ، ذلك الاتصال كان محدودا لأن من الشاعر وتعلمه لم يكونا يتبحان له معرفة اللغات الأوروبية معرفة جيدة ولذلك لا نجد في ديوان الملاح النايم سوى إشارة واحدة تأثر الشاعر بالشعر الأوروبي ، تلك هي قصيدة "ابحيرة" ، للأمرتين التي ترجمها ونشرت في عام ١٩٢٤ م.

والحقيقة أنها لا تستطيع وضع خط فاصل لمراتل تأثره بالأدب الأوروبي لأننا نعرف أنه كان متاثراً بالذوق الأوروبي باستمرار ، وقد اتصل بالحضارة الأوروبية عن طريقين ، أما الطريق الأول فهو القراءة ، والثاني هو الرحلات . وأما القراءة فنحن لا نستطيع تتبعها ومعرفة تطوراتها ، ولكننا نستطيع أن نلاحظ الأثر المتزايد لاطلاعه على الأدب الأوروبي من حيث اختياره لل موضوعات ، فإن من أدل الأشياء على هذا الأثر اختياره لشخصيات ملحنه "أرواح وأشباح" ، فقد استلهم فيها الميتولوجيا اليونانية ، وقد تأثر فيها إلى حد كبير بقراءاته في الآداب الغربية .

و كذلك ترجماته لقصائد شيلي وفرلين والفرددى فىنى وغيرهم ، قد تزايدت حتى أخرج كتابا بأكمله لذلك الترجمات ووضع فيه خلاصة قراءاته في الأدب الأوروبي ولم يعد الأمر مقصورا على قصيدة واحدة كما هو الحال في ديوان الملاح النايم .

ذلك ما كان من أمر الشاعر في مرحلته الأولى في الحياة. أما المرحلة الثانية أو الطور الثاني من أطوار حياته فقد بدأ بزيارة لأوروبا، وقد تأثر شعره أيما تأثر بذلك الزيارة، فاتنا نعرف أن نزعته الرومانية قد ظهرت في الطلعان الأولي من شعره، ولكن تلك النزعة كانت تظهر بصورة عامة، أي إن القصائد التي نظمها في بدء حياته لم تكن تتناول حادثة معينة وقعت للشاعر وإنما هي في الأغلب مجموعة من الأفكار والنظارات المبنية على النظرة الجردة للأمور ليس فيها من صدى التجربة الشخصية ما يميز قصيدة منها عن قصيدة أخرى، وذلك راجع إلى خلو حياته في أطوارها الأولى من التجربة الذاتية. فتهدى كانت له اتصالات محدودة بالبيئة الأدبية من حوله إلى جانب اطلاعه على أداب الأوروبيين، فكانت تلك هي العناصر التي اشتراك في التأثير في شعره، فلما سافر إلى أوروبا بدأت التجربة تأخذ شكلاً معيناً وكان حدبه في شعره عن حواجز محدودة وقت له بالفعل فتميزت القصائد بعضها عن بعض، ومرجع ذلك اتصال الشاعر بالناس في البيئة الأوروبية، ونحن إذا أردنا أن نفصل ذلك التطور ونظره وجب علينا أن نستعرض ديوانه الأول الذي خرجت جمع فيه قصائده قبل رحلته الأولى، ثم نستعرض دواوينه الأخرى التي خرجت بعد عودته من الرحلات، كانت أولى رحلات الشاعر عام ١٩٣٨، وقد طبع ديوان الملاح الثالث لأول مرة عام ١٩٣٤، وستتناول القصائد الماردة فيه من ناحيتين، الناحية الأولى الموضوعات التي حرّكت شاعرية الشاعر فضّلها قصائده. والثانية أسلوبه في التعبير عن أفكاره الشعرية.

بدأ الديوان بقصيدة ميلاد الشاعر (صفحة ٣) ونلاحظ في تلك القصيدة عمومية الموضوع فهو يتحدث عن المفهوم العام للشاعر، ولا يتحدث عن شاعر خاص أثر في حياته، بل لعله لا يتحدث عن نفسه في تلك القصيدة وإنما هو يتخيل الشاعر وقد هبط إلى الأرض، وأقيمت الأفراح، وتلك

هي الصورة المثالية للشاعر وليس قصة أحد الشعراء أو حادثة وقعت له ولقد يكون في المقطوعة الأولى التي استهل بها قصيدة تلك ما يكفي لبيان الامان في التخييل وتجسيم المعاني حتى تكتسب الصفات البشرية، وليس أدل على ذلك من أنه جعل صور الحسن وهي ما لا يمكن لأحد أن يتصورها على صورة بشرية جعلها تحف بنـ الشاعر الوليد وتعلـ صفاتـه العـقـرـيـة وـتـحـادـثـ فـيـهاـ يـبـنـهاـ:

بعـا سـاحـر وـقـلـبـ نـبـيـ
فـيـ تـجـالـيدـ هـيـكلـ بـشـرـىـ
مـةـ وـالـنـورـ كـلـ مـعـنـىـ سـرـىـ
رـرـ بـهـ لـلـعـقـولـ أـعـذـبـ رـىـ
ضـزـهاـ الـكـوـنـ بـالـوـلـيدـ الصـبـىـ
ضـاحـكـ الـبـشـرـ عـنـ فـوـادـ رـضـىـ
خـفـ خـفـ بـالـوـرـدـ وـالـعـارـ الزـكـىـ
رـفـ نـورـأـ بـأـرـجـوـانـ نـدىـ
ىـ،ـ وـقـيـاثـارـةـ بـلـحـ شـبـحـىـ
فـغـرـ مـيـلـادـ ذـلـكـ الـعـقـرـىـ
أـ إـلـيـاـ فـيـ صـوـرـةـ الـإـبـنـىـ ؟ـ
شـلـهـ الـكـوـنـ مـنـ جـادـ وـحـىـ ؟ـ
مـنـ وـرـاءـ الـحـيـاةـ شـاجـىـ الدـوىـ
إـنـ مـاـ لـشـهـدـونـ مـيـلـادـ شـاعـرـ^١

إن مجرد قراءة هذه المقطوعة يدل بصورة قاطعة على أن الحادثة لم تقع فعلـ وإنـماـ كانـ وجودـهاـ وـكيـانـهاـ فيـ خـيـالـ الشـاعـرـ وأـرـادـ بهاـ أنـ يـبـنـ المـنـزـلـةـ الرـفـيـعـةـ الـتـيـ يـتـمـتـعـ بـهاـ الشـعـرـاءـ فـيـ هـذـاـ الـكـوـنـ ،ـ فـعـلـ مـوـلـدـ الشـاعـرـ هـبـوـطـاـ منـ

(١) ديوان الملاح الثانيه ص ٣ - ٥ الطبعة المائمه.

آفاق علية واستعار له أوصاف الضياء ومزأبا النبوة فهل حقيقة هناك طفل يولد فيف بمهده الورد والغار وينزل مسما قيارة، أم هي صور أراد أن يجسسا لنا على محمود طه لنحس معه بالقدر الرفيع الذي ينزل فيه الشاعر والشعر؟ هذا ما نقصده من أنه لم يكن يعني شاعراً بعينه، وإنما يقصد المفهوم العام للشاعر، ولم يكن يقصد نفسه أيضاً وإلا لذكرنا طرفاً مما لم بظروف مولده ولإشار إلى تلك الظروف ولو إشارة خفية في ثانياً القصيدة وهو أمر لا نراه.

ثم تبنت العمومية بصورة أوضح في التعبير عند ما استوحى على محمود طه مظاهر الطبيعة في الحديث عن الشاعر وعند ما جعل مولده يهتز له الكون بأجمعه من سحاب ونجم وثجر وماء وضياء وقد جمع تلك المظاهر جميعها وبين أنها فرحة وتلالات وصارت ترقص نسوى لما نبت بميلاد شاعر، أيّ صورة أعم وأكمل من أن ينتمي الكون كله في حلقة ليقيم عرساً احتفالاً بميلاده؟

رائق الحسن متفيض الضياء	كان وجه الترى كوجه الماء
واضح النور شرق اللام	حين ول الدجى وأقبل بغير
من غريب الخيال والإيماء	بهج في السماء والأرض يهدى
وشدا الطير بين عود ونام	صفقت عنده الخسائل نسوى
هرز قلب الطبيعة العذراء	مظهر يهر العيون ، وسحر
نعته أنامل الإغراء	وجلا من بدائع الفن روضا

إلى أن يقول:

وازدهى بالوجود أى ازدهاء	فرها الفجر ما بدا وتجلى
حين أقبلت مثل هذا الرواء	قال : لم تبدى الطبيعة يوماً
مثل هذا السنى وهذا الغمام	لا ، ولم يسر ملء عيني وأذني
ض وزافت في فتنات المرانى ؟	أى بشرى لها تحملت الار

عَلَيْهَا نَبْتَ مِنْ الْفَيْبِ أَمْرًا
حَتَّى هَا نَجْوَمُ الْمَاءِ
قَالَ : مَاذَا أَرَى ؟ فَرَدَّ صَوْتٌ
كَصْدَى الْوَحْىِ فِي ضَمِيرِ الْمَاءِ
إِنْ هَذَا يَا غَرْبَ مِلَادُ شَاعِرٍ^١

ليست هذه قصة شاعر بعينه منها كانت منزنه ، وإلا ما اهتز الكون بأجمعه لولده ولما رأى أن الطير والأشجار والنجوم والفجر تجتمع على هذه الصورة لتقول إن هذا ميلاد شاعر ، إنما هو الشاعر المثالى الذى يجعل من الدنيا آذاناً تسمع لأنغامه ويستخدم الفجر والنجم والطير وسائل طيبة في يده ولسانه ليعبر بها التعبير الفنى الكامل .

وكلما أمعنا في قراءة القصيدة رأينا على محمود طه يخاطبه في أول كل مقطوعة مظهراً من مظاهر الطبيعة مستوحياً إيماناً في الحديث عن المرح والفرح الذي يتجلى في الكائنات ميلاد الشاعر .

فِيهِ لِلْحَنْ غَدوَةٌ وَرَوَاحٌ	كَانَ غَرْبَ وَكَانَ ثُمَّ صَبَاحٌ
تَزَدَّهِيْنَ صَبَوَةٌ وَمَرَاحٌ	بَسَكَرْتَ لِلرِّيَاضِ فِيهِ عَذَارِي
وَعَلَتْ بِالدَّعَاءِ مِنْهُنَ رَاحٌ	حِينَ لَاحَتْ لَهُنَ رَنَ هَنَافٌ
سَلَّلَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا صَبَاحٌ	قَلَنْ : مَا أَجْلَ الصَّبَاحِ فَاحِ
فَهُنَا اللَّهُو وَالْفَنَاءِ يَتَابُ	فَعَالَوَا بَنَا نَفْنَى وَنَلَهُو
يَرْقَصُنَ الظَّلُّ وَالسَّنَى الْوَضَاءُ	وَهُنَا جَدَولُ عَلَى صَفَحَتِهِ
نَّا مِنَ الطَّيْرِ هَافَ صَدَاحٌ	وَعَلَى حَافِتِهِ قَامَ يَنْبَدِ
نَ وَمِنْ رِيقِ الشَّعَاعِ جَنَاحٌ	وَفَرَاشَ لَهُ مِنَ الزَّهْرِ أَلَوا

إِلَى أَنْ يَقُولُ :

أَيْ حَسَنْ نَرَى ؟ فَرَدَّ صَوْتٌ

(١) ديوان الملاح الثاني ص ٥٠٧ الطبعة الخامسة .

شَبَهَ نَجْوَى تَسْرِهَا أَرْوَاحٌ

إن هذا الصاح ميلاد شاعرٌ

لو تبعنا المقطوعات التي نظمها على محمود طه لرأينا أنه أنطق صور الحسن في المقطوعة الأولى متسائلاً من هذا؟ فيجيها صوت من وراء الحياة إن هذا هو الشاعر. ثم في المقطوعة الثانية جعل الفجر يتسائل عن سبب الأفراح المcameة فيجيها صوت (كصدى الوحي في ضمير السماء) إن هذا يا فخر ميلاد شاعر. وفي المقطوعة الثالثة نرى الصباح يتتساون هو الآخر فيجيء أيضاً صوت خفي (شبه نحوى تسرها أرواح)، إن هذا الصباح ميلاد شاعر. وفي المقطوعة الرابعة يتجلى المساء في ضوء البدار وفي أنوار الشفق يغنى الطير وتغمض الورود عيونها استسلاماً للتعاس حتى مطلع الفجر ثم تهتف نجمة:

في أسريره مخايل بشر
 سر والشجومل عيني وصدرى
 سزيل أم ليلة الهوى والشعر؟
 آ ويورى بنا الفتون ويغرى
 بنجى من الصدى مستر
 إن هذا المساء مlad شاعرْ

إذا اتقنا بعد ذلك إلى المقطوعة الخامسة ، رأينا القمر يتجلب في جوف الليل ويفس الكون سكون غامر وتشيع في جو الليل أنسام معطرة فيهتز الليل بعاطفة غامرة فياضة وهو الذي شهد الحب من قديم الأزل وجرت في جوفه أحاديث العشاق فلم يكن يهتز لهذه الأحداث ، وإنما عند ما شهد مولد الشاعر قال :

أتراما تغيرت هذه الأر ض أم الكون في خيالي حالا

(١) ديوان الملاح الثاني ص ١٠٨ الطبعة الخامسة.

(٢) نفس المرجع ص ١٢

رب ماذا أرى ؟ فرن هاف مستر الصدى يجيب السؤالا
إن هذا يا ليل ميلاد شاعر^١

إذا فرغ هؤلاء جميعا من تساوئلهم الفت الكون وأصنفت المقادير ورأيت
أن ذلك الحدث الضخم هو ميلاد شاعر :

واسكان الوجود والتفت الدهـ	سر وأصنفت إلى صداء المقادير
لم يبن صورة ولكن رأته	عيون الخيال منا البصائر
قال : يا شاعر الوليد سلاما	هرت الأرض يوم جشت ، البشر
فاليك الحياة شتى المعانـ	إليك الوجود جم المظاهر ^٢

إن نظرة شاملة إلى هذه القصيدة ترينا بجملاء أن ليس فيها أثر لحادثة معينة ولا تجربة خاصة مر بها على محمود طه ، كلا ولم يشر إلى نفسه ولو إشارة عابرة وإنما نظم قصة خيالية وصور فصوتها وجسم معانيها لتدل على المعنى العام للشاعر . ذلك ما نقصده بالعمومية في الموضوع بصرف النظر عن الدوافع الأصلية التي حركت نفس الشاعر لينظم هذه القصيدة ، فنحن لا نعلم من تلك الدوافع شيئا ، وإنما نستخرج ناتجنا من القصيدة ذاتها ، فربما يكون على محمود طه رأى أن ابناق الفجر وظهور الصباح وسكون المساء وظلمة الليل مظاهر للعظمة تبني عن ميلاد الشاعر أو أنه رأى أن تلك المظاهر هي التي يستخرج الشاعر منها معانيه وأفكاره ويستوحىها عند ما ينظم ، وربما يكون قد استعار تلا النظرة من الرومانسيين الأوربيين عند ما تأثر بقراءاته في آدابهم نخلع على مظاهر الطبيعة هذه صفات بشرية وأكبب بذلك القصيدة نوعا من الحرفة تكاد تشبه المسرحية وأعطتها نوعا من الحيوية ، ولكنها مسرحية عامة وليست موجهة إلى بيان واقعة بعينها .

(١) ديوان الملاح الثاني ص ١٥-١٦ الطبعة الخامسة.

(٢) نفس المرجع ص ٢٢-٢٣.

إذا استعرضنا بعد ذلك قصيدة الوحي الخالد (ص ٢٢) فنجد أن الشاعر يخاطب فيها الحسن بمعناه العام بل إن إحسانه بذلك الحسن إحساس عام غير مخصوص لنوع معين، فهو قد رأى الجمال في حياة الناس وفي حياة الفنان ولكن أى حسن؟ وأى جمال؟ هل هو جمال امرأة؟ هل هو حسن الطبيعة؟ هل هو حسن من نوع معين صادفه الشاعر ذلك ما لا يقوله :

وجوه يفيض البشر من قسماتها	لوجهك هذا الكون يا حسن كله
وتغرب عن نجواك شتى لغاتها	وتسطير الدنيا غريب فنونها
ولا افتر ثغر الصبح عن بساتها	ولولاك ما جاش الدجي بهومها
ولا شقيت بالحب بين لداتها	ولا سعدت بالوهم في عالم المدى
ولا رزق الإيداع من فتحاتها ^١	ولا حبت الفنان آيات فنه

إلى أن يقول :

تطيش لها الأحلام من وثباتها	فوا أسفًا يا حسن للحظة التي
يعز على الأوهام جمع شباتها	ووا أسفًا يا حسن للفرقة التي
وما هي إلا الصمت والبرد والدجي ^٢	ودنيا يشبع الموت في جناتها

و هنا أيضًا يستوقفنا ما في هذه التعبيرات من تعميم يكاد يشمل العالم أجمع فلفظة «الكون» في البيت الأول ، ولفظة «الدنيا» في البيت الثاني ، ولفظة «الدجي» ، و«الصبح» ، في البيت الثالث كلها تدل على أن الشاعر لا يتحدث عن واقعة بعينها وإنما يستوحي خياله المخلق ويرسم عن ذلك الخيال صورا فيها كثير من الغموض والإبهام ثم يعود نهاية القصيدة ليبين أن الحسن كان يوحى إلى الشاعر بالشعر .

هناك لا الوادي ولا العالم الذي عرفت ، ولا الأيام في ضحكتها

(١) ديوان الملاح الثاني ص ٢٢-٢٣ الطبعة الخامسة

(٢) نفس الرجع ص ٢٤

ولكن ردى النفس التي كنت جها
ونافث هذا الحر في كلاتها
مضت غير شعر خلدت فيه وحيها
إليك نفذ يا حسن وحى حياتها^١
ثم إذا استعرضنا قصيدة الشيد (ص ٢٦) وجدنا أن بدايتها غامضة
فيها ظلال كثيرة وأطياف غير متميزة:
عند ما ظلتني الوادى ماء
كان طيف في الدجى يجلس قربى
في يديه زهرة تقطر ماء عرفت عيني بها أدمع قلبى^٢
 فهو هنا يخاطب طيفا لا يدرك القارئ كنهه ولا يعرفه وإنما يتبع للوهلة
الأولى غرابة الصورة وشذوذها ، فالزهرة تقطر ماء ، ولكن عينه تعرف في تلك
القطرات أدمع قلبه فكيف يستطيع القارئ أن يتبع حقيقة ذلك الطيف وكيف
يعرف ما ترمز إليه تلك الزهرة وما يرمز إليه الماء ولكن الشاعر لا يدعنا
في التساؤل طويلا وإنما يتولى هو سؤال الطيف :

قلت من أنت ؟ فلباني مجيأ
نحن يا صاح غربيان هنا
قد نزلنا السهل والليل الرحيبا
حيث ترعاني وأرعنك أنا
ولكن ذلك لا يشفى غلة المستطاع فلا زال الأمر غامضا ولا زال الطيف
يخاطب الشاعر بالأحاجي فهو غريب مثله ، وهما مكلفان بأن يرعى كل منها
الآخر ، ثم يتبيّن حقيقته شيئا فشيئا فتعرف فيه حب الشاعر لا جبه :
قلت يا طيف أثرت الفرس شكا
كيف أقبلت وقل لي من دماساكا؟
قال أشافت من الليل عليك
فتبت إلى الوادي خطاكا
ودننا مني وغناني النشيدا
فعرفت اللحن والصوت الوديدا

^{١)} ديوان الملاح الثاني ص ٢٥ الطبعة الخامسة.

(٢) نفس المرجع ص ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٦ :

هو حبي هام في الليل شريداً
مثلاً همت لقاءك جيماً^١
أى حب يخاطبه الشاعر؟ إنه الحب بصورةه العامة التي تطبق على أي
إنسان، لسنا أمام قصة حب بذاتها ولسنا أمام امرأة معينة يناجيها الشاعر بل
تنهى القصيدة بمناجاة يمكن أن توجه إلى أيّة امرأة وفي هذه القصيدة بالذات
تظهر الروح الحزينة التي تتبع من الحرمان وما يثيره في النفس من شتى أنواع
الحزن والوحدة وما يستتبعها من الآلام، تلك الروح التي سرّى أنها تلاشى
بالدرجى حتى لا تقابلنا بعد ذلك فيها بلي من شعره ويحمل محلها روح المرح
والطرب الآية من صدى الحياة في أوربا وقليلاً ما تقابلنا مثل هذه
المقطوعة بعد.

باكي الأحلام محزون المدى
ضاحك الآلام بسام الجراح
لم يكن إلا تقينا مؤمناً
بالدى أغرى بمحيك الطاح
تلك الروح تصادفنا هنا في ديوان الملاح النانه ثم تختفى بالدرجى حتى
تقل كثيراً عن ذى قبل.

ولنتقل الآن إلى قصيدة الملاح النانه (ص ٣٢) التي أخذها الشاعر
عنواناً لديوانه فرى أنها لا تخرج في بجموعها عن كونها خطرات للشاعر عن
حياته وعن الدنيا عامة فهي بذلك فلسفة عامة غير محددة لا نرى فيها تأثراً
بمذهب معين ولا اتجاه خاص ليست هي فلسفة اعتقادها على طول الطريق ولا
هي أفكار ثابتة تأتي إليه في كل حين. وإنما هو يستوحى قريحته في كتابة
مثل هذه القصيدة لوجود عليه بالمعنى الواقية التي هي بنت ساعتها ووليدة
أوانها من غير نظر عميق ولا تحليل دقيق للأمور.

جذف الآن بنا في هينة ووجه الشاطئ سيراً وابداعاً

(١) ديوان الملاح النانه ص ٢٧ الطبعة الخامسة.

(٢) نفس المراجع ص ٢٩

موجة الأيام قدماً واندفاعاً
خلت أن البحر واراه ابتلاعاً
وقت عن دورة الدهر انقطاعاً
وهمت أو تطرب النفس سماعاً
لم تكن أول ما ولـى وضاعاً

فقداً يا صاحبِي تأخذنا
عثاً تفقر خطى الماضي الذي
لم يكن غير أويقات هوى
تمهل تسعد الروح بما
ودع الليل نمضى إنها

إلى أن يقول :

سمعت فيـه هـاتـفـ المـتهـىـ
من وراءـ الغـيـبـ يـقـرـيـهـ الـوـدـاءـ
أـيـهـ الـأـيـامـ غـنـواـ وـاطـبـواـ
وـانـهـبـواـ منـ غـفـلـاتـ الـدـهـرـ ساعـاـ^١

ولقد تكون قصيدة الملاح الثانية أقرب قصائدـهـ فيـ هذهـ الفـترةـ إـلـىـ التـصـورـ
الـشـخـصـيـ وـالـتـعبـيرـ عـنـ الـعـيـاةـ كـاـ عـرـفـهـاـ ،ـ وـلـكـنـهاـ مـعـ ذـلـكـ لـيـسـ إـلـاـ مـحاـوـلـةـ
بـداـيـةـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ إـذـ إـنـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ تـمـيـزـ بـالـعـمـومـيـةـ التـيـ تـكـادـ
تـطـغـيـ عـلـىـ مـاـ فـيـهـ مـنـ وـصـفـ شـخـصـيـ ،ـ وـأـقـصـيـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـقـالـ فـيـهـ إـنـهـ
فـلـسـفـةـ عـامـةـ تـسـاـوـلـ مـظـاـهـرـ الـاقـعـالـاتـ الـفـيـبـةـ الـعـادـيـةـ التـيـ تـنـتـابـ فـيـ مـيـعـةـ
الـصـباـ حـيـثـ تـقـاذـفـهـمـ الـآـرـاءـ وـالـأـفـكـارـ وـلـاـ يـعـرـفـونـ لـهـ مـسـتـقـراـ .

ولـكـنـ أـهـيـ فـلـسـفـةـ الـخـيـامـ ؟ـ أـمـ هـيـ فـلـسـفـةـ كـلـ دـاعـ إـلـىـ اـنـتـهـاـ الـلـذـاتـ فـيـ
أـوـانـهـ غـيـرـ عـابـيـ بـمـاـ يـأـتـيـ بـهـ الـدـهـرـ ،ـ عـلـىـ أـيـةـ حـالـ إـنـهـ لـيـسـ نـظـرـةـ عـيـقةـ
فـانـ كـانـ فـلـسـفـةـ الـخـيـامـ فـانـ الشـاعـرـ يـكـونـ قـدـ أـسـاغـ فـكـرـةـ شـائـعـةـ مـشـهـورـةـ
وـرـدـدـهـ ،ـ مـعـ زـيـدـ مـاـ نـخـنـ بـصـدـدـهـ مـنـ أـنـهـ يـلـجـأـ إـلـىـ الـعـمـومـيـاتـ وـلـاـ يـصـفـ
حـيـاتـهـ الذـاتـيـةـ وـإـنـ اـفـرـضـنـاـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ مـتأـثـرـاـ سـاعـتـنـ بـالـخـيـامـ فـانـهـ لـمـ يـزـدـ عـلـىـ أـنـ
عـبـرـ عـنـ أـوـلـ مـاـ يـخـطـرـ يـالـنـاسـ مـنـ أـمـورـ هـذـهـ الـحـيـاةـ وـحـينـ يـتـحدـثـ الشـاعـرـ
عـنـ نـقـسـهـ يـقـولـ أـنـهـ (ـتـانـهـ فـيـ بـحـرـ الـهـوىـ)ـ (ـوـهـ طـرـيدـ شـارـدـ)ـ (ـضـلـ فـيـ اللـيلـ
سـرـاهـ)ـ وـرـوـحـهـ تـعـذـبـ وـتـشـقـ وـهـذـهـ مـسـائلـ عـامـةـ وـصـورـ شـائـعـةـ فـكـلـ النـاسـ

(١) ديوان الملاح الثاني ص ٣٣-٣٢

غرق في بحر الهوى بل إن ذلك التعبير ما يتردد في أدب الخاتمة وأدب العامة على السواء، وكل الناس يشكون من دهرهم، ومن هنا نرى أن شاعرنا لم يكن يردد سوى الأصداء الشائعة العامة المعروفة التي طال عليها العهد في البيئة الأدبية وإن كان قد لونها بلون خاص.

ثم إذا نظرنا في قصيدة «غرفة الشاعر» لم تجد ما كان يحق لها أن توقعه من وصف حجرته هو، بل أنها نرى مرة أخرى عمومية الموضوع فليست الغرفة غرفه هو بدليل أن الجو الذي وصفه فيها جو أوربي شخص، ولاحظ ذلك الدكتور طه حسين في كتاب «حديث الأربعاء»، (ج ٢ ص ١٤٦) وإنما هي غرفة تصلاح لأى شاعر، فهو يرسم لنا فيها جواً مثاليًا لما يجب أن تكون عليه تلك الغرفة، وتظهر فيها الأصداء الحزينة التي قلنا إنها نتاج الوحدة والحرمان.

أنت أذلت بالأسى قلبك الغض
وحطمته من رقيق كيانك
آه يا شاعری لقد نصل اللي
سل وما زلت سادراً في مكانك
ليس يخنو الدجي عليك ولا يا
سي للك الدبوع في أجفانك
ما وراء الشهاد في ليك الدا
جي وهلا فرغت من أحزانك؟^١

هذا الحزن قلنا إنه يظهر هنا ويکاد يختفي بعد ذلك والأمر المهم عندنا أن هذه القصائد تظهر فيها عمومية الموضوع، إذا اتقنا بعد ذلك إلى قصيدة «رجوع الهاوب»، نرى في مقدمة نثرية وضعها الشاعر تعرينا بالقصيدة وشرحها يقول فيها: إذا تمرد المحبون على حكم الهوى، وضاق كوييد بصرائهم وبكتهم، فتح لهم باب ديره خلصوا منه ناجين، وانطلقا هاربين من أسره ينددون السلو والنسيان في حياة أصبحت تكرهم وكانت لم يتصلوا بها، وهاموا في عالم كانوا يجهلهم ويجهلونه، هنا يرجع الهاوب نادماً مأخوذاً بسحر

(١) ديوان الملاح الثاني ص ٣٦

تلك الأيام التي كانت تشرق عليه من خلال ديره القديم^١. إذا تجاوزنا عن الغموض الذي يلف ذلك التعبير وحاولنا أن نستنتج من تلك المقدمة بعض ما يهدف إليه الشاعر، وجدنا أنها أمام نظرية معينة في الحب تقوم على فكرة وجود كيويـد، وما يفعله في الحبـين، وهو الذي يسد سهامـه فتصيب القلوب وترتبطها بالحبـ، وليس الحديث هنا عن قصة حبـ بذاتهاـ كانـ الشاعـرـ هوـ بطـلهـ أوـ كانـ لهـ فيـهاـ دورـ ايجـابـيـ وإنـماـ هيـ مـجمـوعـةـ منـ الأـفـكـارـ اـتـنـظـمـتـ فـيـ رـأـسـهـ وـاـخـتـاطـتـ بـمـاـ قـرـأـهـ الشـاعـرـ، فـجـنـ نـقـفـ هـاـ أـمـامـ خـيـالـ الشـاعـرـ الـذـيـ يـنـطـلـقـ فـيـ الـآـفـاقـ الـفـسـيـحةـ فـيـ جـمـعـ مـاـ غـمـضـ وـمـاـ لـفـهـ الـأـمـيـاهـ، لـمـ تـبـلـوـرـ فـيـهاـ تـجـربـةـ وـلـمـ يـذـكـرـ فـيـهاـ حـادـثـ:

قررت للنور المشح عيوني
ورفت للهب الأحم جيني
ومشيـتـ فـيـ الـوـادـيـ يـمـزـقـ صـخـرـهـ
قـدـمـيـ وـتـدـمـيـ الشـانـكـاتـ يـمـيـنـيـ
وـعـدـوـتـ نـحـوـ المـاءـ وـهـوـ مـقـارـبـيـ
فـنـأـيـ وـرـدـ إـلـىـ السـرـابـ ظـنـونـيـ
وـبـدـتـ لـعـنـيـ فـيـ السـاءـ غـمـامةـ
فـوـقـتـ فـارـتـدـتـ هـالـكـ دـوـنـيـ^٢.

وتلحـ أيضاـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـاتـ الـفـسـ الـقـلـقةـ غـيرـ الـمـسـتـقـرـةـ الـحـزـينـةـ الـتـيـ يـعـتمـلـ فـيـهاـ الـأـمـيـ، كلـ ذـلـكـ يـدـوـ فـيـ دـيـوـانـهـ الـمـلاـحـ التـائـهـ وـجـيـعـ الـقصـائـدـ الـوارـدةـ فـيـ ذـلـكـ الـدـيـوـانـ يـطـعـهاـ نـفـسـ الطـابـعـ حـتـىـ الـقـصـيـدةـ الـتـيـ يـظـنـ أـنـهاـ تـصـوـرـ تـجـربـةـ مـعـيـنـةـ وـهـيـ قـصـيـدةـ «ـمـخـدـعـ مـغـنيـةـ»ـ (صـ ٤٠)ـ يـخـتـمـهاـ الشـاعـرـ خـاتـمـةـ تـجـعلـناـ شـكـ كـثـيرـاـ فـيـ صـحـةـ الـحـادـثـ فـجـنـ زـرـاهـ يـصـفـ لـاـ دـخـولـهـ إـلـىـ مـخـدـعـ تـلـكـ الـمـغـنـيـةـ وـصـفـاـ لـاـ يـخلـوـ مـنـ إـثـارـةـ وـنـكـادـ نـصـدـقـ أـنـهـ وـقـعـ فـيـ قولـ:

دخلـتـ بـيـ إـلـيـهـ ذاتـ مـسـاءـ جـبـ لـاـ ضـجـةـ وـلـاـ أـشـبـاحـ
لـمـ نـكـنـ قـبـلـ بـالـرـفـقـيـنـ لـكـ هـيـ دـيـاـ تـبـحـ مـاـ لـاـ يـتـبـاحـ

(١) ديوان الملاح التائه ص ٣٧.

(٢) نفس المرجع ص ٣٧.

ويرينا وجوهنا المصباح
ح ؟ فقلت المعذب الملاوح
ما عليه إذا أحب جناح
ها ، ومرت على جيني راح
أحرقها الأنفاس والأقداح
ر بما برحت بك الآراح ؟
لـ بما ذقـه رضـي وسـاحـ
ولـك الـليلـة الـتي جـعـنـاـ
فـاغـتـمـهاـ حـتـىـ يـلـوحـ الصـابـاحـ
فـهـذاـ وـصـفـ يـكـادـ يـنـطـقـ عـنـ صـدـقـ التـجـرـيـةـ وـلـكـنـاـ نـرـاهـ يـعـرـضـ عـنـ
الـمـنـعـ وـعـنـ اـنـهـابـاـ فـنـشـكـ فـيـ الـهـاـيـةـ فـيـ صـحـةـ التـجـرـيـةـ إـذـ يـقـوـلـ :

قلت حسي من الربيع شذاه
ولعني زهره الملاح
كـلـناـ فـيـهـ بـلـلـ صـدـاحـ
فـنـيـتـ فـيـ هـوـاهـ مـنـاـ قـلـوبـ

فـهـلـ هـذـهـ تـوـبـةـ تـاـبـ إـلـىـ رـشـدـهـ وـقـدـ أـوـشـكـ أـنـ يـقـعـ فـيـ الـإـثـمـ ؟
لـوـ أـنـ الشـاعـرـ أـشـارـ أـيـةـ إـشـارـةـ إـلـىـ شـئـ يـشـعـرـنـاـ لـهـذـاـ لـقـلـنـاـ إـنـهـ يـصـفـ أـمـراـ
وـاقـعـاـ اـتـهـىـ فـيـ إـلـىـ التـوـبـةـ وـلـكـهـ اـمـتـنـاعـ خـيـالـ كـاـنـ أـنـ الـحـادـثـةـ مـنـ أـوـطـاـ
فـيـاـ يـدـوـ خـيـالـةـ .

وـإـذـاـ نـظـرـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ قـصـيـدةـ «ـقـبـلـةـ»ـ (ـصـ ٤٣ـ)ـ رـأـيـناـ أـنـ القـصـيـدةـ
تـسـتـحـدـثـ عـنـ الـقـبـلـةـ بـعـنـاـهـ الـجـرـدـ ،ـ وـلـمـ تـكـنـ قـبـلـةـ يـهـ وـبـيـنـ اـمـرـأـةـ بـذـاتـهـاـ وـإـنـماـ
هـيـ فـكـرـةـ عـنـ الـقـبـلـةـ أـوـ قـلـ عـاـ تـفـعـلـهـ الـقـبـلـةـ .

قبلة من ثغرك باسم دنيا وحياة تلقى الروحان فيها والمني والصبواتُ

(١) ديوان لللاح الثاني ص ٤٢-٤١

(٢) نفس المرجع ص ٤٢

لغة وحدت الألسن فيها واللغات نبها القلب ومجراها الشفاه النضرات^١ وقس على هذا المثال قصيدة «أيتها الأشباح»، (ص ٥٢) عند ما يضع الشاعر مقدمة نثيرة يقول فيها: هي ذكريات قديمة يصور الشاعر فزعه من طرائقها ذات ليلة، فيحاول إنكارها وتجاهل أمرها وهي لا تصدق دعواه فتصر على موقفها منه ويعضى الشاعر في حماولته ليرد لها عنه في مناجاة مخزنة وضراء مؤثرة.

وفي قصيدة «قلبي»، (ص ٥٥) نرى فلق الشاعر وإحساسه بالوحشة، وهاتان ظاهرتان لا تبعان إلا في النفس التي لم تعرف الحب حقيقة، ولم تأنس إليه. وقصيدة «على صخرة يضاء»، (ص ٦١) يصف فيها الشاعر أثر منظر البحر في نفسه، وإذا تجاوزنا إلى حين عن قصيده «آلة والشاعر»، (ص ٧٥) وسائر قصائد الثناء في الديوان لوجدنا القصائد الباقية تبيّنها تلك النغمات مثل قصيدة «صخرة الملتقى»، (ص ١١٨) و«عاصفة في جحمة»، (ص ١٢٣) و«الاممية الحزينة»، (ص ١٣٣) و«الفن الجميل»، (ص ١٣٩) و«الشاطئ المهجور»، (ص ١٤٦) و«عاشق الزهر»، (ص ١٥١) و«انتظار»، (ص ١٧٠) و«إلى البحر»، (ص ١٧٢) و«الطريدة»، (ص ١٧٦) وهي جميعاً لا يخرج الحديث فيها عما ذكرنا من عمومية الموضوع وانطاعها نوع من الفلق والحزن.

تلك نظرة عامة في ديوان الملاح الثاني أوردناها لبين ما كان يميز شعر على محمود طه في مراحله الأولى لنرى كيف انتقل بعد ذلك إلى طور آخر فيها يلي من الدواوين التي أخرجها بعد رحلته إلى أوروبا بحيث أنتهى نستطيع القول بأن تلك الرحلة كانت المرحلة المهمة في تطوره لأننا إذا انتقلنا إلى ديوان «يلالي الملاح الثاني»، وهو الديوان الذي ظهر طبعته الأولى سنة ١٩٤٠م أي بعد زيارته لأوروبا بستين، رأينا أن أول قصيدة فيه وهي قصيدة

(١) ديوان الملاح الثاني ص ٤٣

«الجدول» إنما يصف فيها حادثة رأها وتجربة مر بها وقصة حب له في فينيسا فهو يهص علينا حديث امرأة صادفها في أوربا، وكان لقاوته بها سهلاً ميسوراً كما وصفه هو بقوله:

يمزج الراح بأقداح رفاق
مربي مستضحكاً في قرب ساق
قد قصدناه على غير اتفاق فنظرنا وابتسمنا لللقاء^١

لم يكن في ذلك اللقاء خفاء ولارقاء وليس فيه ما في الحياة المصرية من تقاليد. وهنا نحس أننا أمام واقعة حقيقة بمقارنتها بما مربنا من أفكار الشاعر عن الحب، ونرى كذلك خلو هذه القصيدة من روح الحزن التي كانت تشيّع في القصائد الأولى، فالشاعر وفاته يتافقان ويمعنان في الشرب، وبالرغم من أنه وصف وجهها أوريا إلا أنه لا ينسى الملاح الشرقي فيقول:

ذهي الشعر، شرق السهاب مرح الأعطاف حلول اللفتات
كلا قلت له خذ قال هات يا حبيب الروح يا أنس الحياة^٢

والقصيدة في مجموعها تنقل صورة دقيقة للروح والسرور الذي يشيع في الأجراء الأوربية في أيام الأعياد.

ولو تبعنا سائر القصائد في الديوان لوجدنا أن الروح القديمة لا تزال تظفر في كثير من الأحيان بما يدل على أن الأثر لم يكن من القوة بحيث يمحو الماضي محواماً وإنما تصبح تلك الروح هي المسطرة دائمًا كما هو الحال في ديوان «الملاح الثاني»، بل نجد بعض القصائد التي يتحدث فيها عن حادثة بعينها كقصيدة بمحيرة كومو (ص ٤٨ لـ الملاح الثاني) وهي التي أهدتها إلى أدية أمريكية صحبته في زيارتها وقد ناجها في قصيده تلك مناجاة لا تخلي من المادية ولا من الشهوات.

(١) ديوان لـ الملاح الثاني ص ٤

(٢) نفس المرجع ص ٥

يا أبناء العالم الجديد
صل عالماً غبر
نفعه البدو والحضر
ن وجوهان عاصفاً
فاغذرى الروح إن طنى
واعذرى الجسم ان ثار^١

أو قصيدة، «تايس الجديدة»، التي وصف فيها ليلة أول أغسطس سنة ١٩٣٩ م بمدينة زوريخ، حيث رأى العيد الصاخب، ووصف فيها لقاءه بوحدة أخرى من تلك النساء.

أأنا الغريب هنا وملء يدي
خفقت على وجهي غدائراها
لم أدر وهي تدير لي قدحي
وشدا المنفي فاحتشدت لها
عرضت بفاكهة محمرة

أعطاف هذا الأغيد المرح؟
خذبها بذراع مجترح
من أين متنبقي ومصطبعي
كم للغاية لدى من منع
وعرضت لم أنطق ولم أتعجّ^٢
تلك امرأة حية نكاد نراها في القصيدة وهو يصف لنا أعطافها وغدائراها،
وليست قصة خيالية انتزعاها الشاعر من الأوهام، وهو هنا لم يعرض عن
المنتهى كأعراض عنها في قصيدة «مخدع المنفي»، ولم يكتف بالنظر والتأمل،
إنما جذبها بذراعه ووقف منها أمام «الفاكهة المحمرة»، وهذه الجملة بالذات
تدلنا على أثر القراءة الأوروبية لأنها ترجمة للتعبير الإنجليزي (Forbidden fruit)
رأيت كيف انتقل الشاعر من الحزن الدفين الذي كان يطالعنا كلما نظرنا في
قصائده الأولى إلى نوع من المادية والشهوات والمرح في الحب، رأيت كيف
ترك الشاعر كيويid وشأنه وعاد لا يتحدث عن قلبه الذي يمزقه الألم ولم يعد
ذلك «الثانية في بحر الموى» وإنما تحول إلى إنسان آخر رأى نساء أوربا

(١) ديوان بلال الملاج الثانية ص ٤٣

(٢) نفس الرسخ ص ٩٠-٩١

وأتصل بهن ، ورأى المتعة معهن خذلنا عن نظم المتعة حتى قصيدة «خر نهر الرين» التي راعه فيها جمال الطبيعة ، ووهبها وأهداها لفناة برن ، وذكرها بنزهته معها على ضفاف النهر .

لقد كان من الممكن أن يقتصر الحديث في هذه القصيدة على تأثير الشاعر بمناظر الطبيعة الخلابة التي رآها ، ولكن التجربة الذاتية الواقعية أخذت تعرض نفسها وتظهر بجلاء حتى خلال قصيدة كهذه .

إذا قد وجدت الميل الدفينة الكامنة في نفس الشاعر منذ صباه مجالاً تظاهر فيه وأخذ الشاعر ينهل من منبع لا ينضب معينه في أوربا فكانت النتيجة الطبيعية ما رأيناها من تحول في أسلوبه ، فاختفى القلق والحزن أو كاد ، وأخذ محله المرح وانبساط النفس بعد طول انباضها ، فإذا عاد الشاعر بعد ذلك إلى مصر فقد اختزن لنفسه رصيداً ضخماً من الذكريات التي تؤنسه كلها عاد إليها وتبدل وحشته ، بل لقد عرف أسلوباً جديداً في الحياة ، وأرى أن التحقيق في دنيا الخيال ليس هو الهدف الذي يمكن أن يسعى إليه بل وطن نفسه على السعي وراء مغامرات جديدة لا يكاد يفرغ من واحدة منها حتى يسعى إلى أخرى ، وأسلبه ذلك إلى نوع من المادية والشهوة ، كما قال لصاحبه :

وعدت كاترين صريع كأس أنا الظمان لم يطفئه غليله وقالت: كيف تضعف؟ قلت وبحي وكيف أطاع «شمدون» دليله	من الأشواق أثر أن أطيله لها غنيمت ، وامرأة جميله ^١ وقالت: ما حياتك؟ قلت حلم حياتي قصة بدأت بكأس
---	---

ذلك أسلوب من لم يعد يرضيه الخيال ، فقد جعل قوام حياته عنصرين لا ثالث لها ، هما الكأس والمرأة . وقد ظل الشاعر ما يقى له من العمر حدباً لكليهما ولم يدخل في حياته عنصر آخر سواهما . وإنما تنقل من كأس إلى كأس ومن

(١) الشرق العائد ص ٧-٦ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ م .

امرأة إلى امرأة شأن أبي نواس ، حين أراد أن يتداوى من الداء بالداء ،
أوشأن الحياة حين قال :

داوه بالقصف جهد المستطاع^١

فإذا استعرضنا بعد ذلك بقية الدواوين ، رأينا أن ذلك الطابع يميزها
جيعاً وإن الحديث لا يخرج في معظم الأحيان عن ذكر مغامرة عاطفية وإن
الأصداء التي تتردد فيها لا تكاد تختلف كثيراً عما ذكرنا باستثناء قصائد
المناسبات التي سنعود للحديث عنها .

والذى نلاحظه خلاف ما تقدم ، أن اطلاع الشاعر على الآداب
الأوروبية قد زاد بدرجة ملحوظة ، وربما كانت الرحلة إلى أوروبا من العوامل
التي ساعدته على التزود من تلك الآداب والاستكثار من قرائتها ، فلا شك
أن رحلة كهذه سوف توسيع دائرة معلوماته في اللغات الأجنبية ، وذلك من
 شأنه أن يحفزه على القراءة والاطلاع ، ولقد رأينا أن الشاعر قد أخرج كتاباً
«أرواح شاردة» وضمنه فصلاً عن بعض الشعراء الفرنسيين ، كما كتب فيه
فصلاً عن برنارديش . وترجم قصائد عده ، ولقد وجد الشاعر في الآداب
الأوروبية ثروة ومعيناً لفنه لا ينضب ، بجد في محاكماتها على قدر ما تمكّنه
معرفته باللغات ، وكان نتيجة ذلك أن أخرج ديوان «أرواح وأشباح» الذي
اعتمد فيه على الميتولوجيا اليونانية ، مما يبين بجلاءً أثر اطلاعه المتزايد .

ويتّي لـنا كلما تصفحنا هذه الدواوين ظهور العناصر والأجراءات الأوروبية
باستمرار ، وعلى ذلك يمكننا القول بأن التطور في شعر على محمود طه قد
أخذ شكله النهائي بعد رحلاته إلى أوروبا .

فإذا تصفحنا ديوان «شرق وغرب» وجدنا أن الشاعر أفرد الجزء الأول
من ديوانه لقصائد نظمها متأثراً بما رأى في أوروبا وبالتجارب التي لقيها هناك ،

(١) رباعيات عمر الحياة ترجمة الباعي ص ٦٣ الطيبة الخامسة ، القاهرة .

ولقد بدأ الديوان بقصيدة «الحان وأشعار في منزل ريتشارد فاجز» وقد صدر القصيدة بمقيدة عن الموسيقار فاجز، ثم قال انه زار ذلك المنزل بصحة فاتنة اسكندنافية، ثم جاءت بعد ذلك قصيدة «فلسفة وخيال» (ص ٢١) وهي كذلك من وحي نزهة له في غابة وقد صحّته صديقه تلك، وهناك دعاهما إلى الانطلاق واتهاب اللذات وقد أفلح في دعواه.

واثنت بابتسامة فدعتنى
ثم قامت تمشي هناك الهوينا
وتلاقت عيوننا فدانت لي
وجن الخان فى شفتنا
فاعتنقنا فى قبلة قد أذابت
جسدينا و مازجت روحينا^١

ثم قصيدة «على حاجز السفينة» (ص ٢٥) هي كذلك تاج تجربة محددة من بها الشاعر، وقصيدة «البحر والقمر»، (ص ٣٥) تحدث فيها عن ذكريات مدينة كان بالريفيرا الفرنسي، وقس على هذا المثال قصيدة «تحت الشراع بين الشرق والغرب»، (ص ٤٠) وقصيدة «حن من فنا» (ص ٥٠) وقصيدة «أندلسية»، (ص ٥٣).

وخلاله القول أن شاعرنا قد تطور شعره من التجربة العامة والأفكار المخلقة في دنيا الخيال إلى التجربة الخاصة المحددة. ذلك هو أظهر ما في شعره من تطور، وكان الفاصل بين طوريه هو الرحلة إلى أوروبا.

السيد أحمد

بنه (المندى)

(١) ديوان شرق وغرب ص ٢٤ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧.

هند ومهند

حيث تبذل في هذه الأيام جهود طيبة لتدعم الروابط بين الهند والعرب وتعقد الندوات وال المجالس العلمية في الأماكن العديدة يردد الناس كلما معناه أن العرب كانوا يسمون، منذ زمن بعيد، بناهم «هند» بسبب حبهم لبلادنا الهند. وهذا خيال شرقي مبعثه عاطفة الحب الوطني، ولذلك لا يطيب لي أن أقول شيئا ضد هذا الخيال، ولكن عمل البحث والتحقيق الذي يحاجب دائماً الخيال الشعري يقتضي أن يبحث عما إذا كان لهذا الخيال من أصل. وإنني لا أعلم من أبدى هذا الرأي أولاً ومتى؟ ولكن نرى في العصر الحاضر أن المنفور له السيد سليمان الندوى قد أورد هذا الكلام في مؤلفه القيم «العلاقات بين الهند والعرب» كحقيقة ثابتة فيتقول «ما يبعث على العجب والخيرة أن كلمة «هند» قد أعجبت العرب بحيث سموا ناسهم باسم هذا البلد، فيساوى هذا الاسم في الشعر العربي اسم «ليلي» و«شيرين» في الشعر الفارسي». والمظنون أن الذين يرددون اليوم هذا الكلام يعلوون على عبارة السيد سليمان المذكورة. وأول سؤال يواجهنا في هذا المقام هو أنه متى عرف العرب بلدنا باسم «الهند» أول مرة؟ لا شك في أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين جنوب الهند وبين الجنوب العربي قبل الإسلام بكثير، ولكنه من المعلوم أن القطر الجنوبي من البلد لم يسم قط باسم «الهند»، ولا عرف التجار العرب في ذلك العصر هذا الاسم. والغالب أن سكان المنطقة الشهابية والوسطى بالجزيرة العربية كانت معرفتهم ضئيلة جداً بالبلاد الخارجية، سوى المناطق التي كانت حدودها متاخمة لبلادهم مثل العراق والشام حيث سيطرت الدول الفارسية والبيزنطية. وكذلك من الظاهر أن كلمة «هند»، بمعنى البلد قد وصلت إلى العرب بواسطة فارس، ومن المسلم به لدى معظم الناس أن كلمة «هند» صورة

مقلوبة لكلمة «سندھو»، وكان نهر السند وواديه وسكان هذه المنطقة يسون في العصر القديم باسم «سندھو»، ولما تمت عليها سيطرة الفرس لمدة قليلة جعلوا يطلقون عليها اسم «ہندھو»، وكانت أحياناً يزيدون في آخرها حرف «ش»، فكانت تنطق «ہندوشا». وفي اللغة الایرانية القديمة كانت تستعمل حرف «ك»، للنسبة، وبذلك أطلقت على سكان هندش الكلمة «ہندک»، وفي هذه الصورة وصلت الكلمة إلى العرب، فترى في المعاجم القديمة كلمة هندک وجمعها هنادکة، ولكثير الم توفى سنة ١٢٤ هـ يت جاء فيه :

ومقرية دهم وكت كأنها طاطم يوفون الوفور هنادکا
ولما وصل اليونان مع الإسكندر إلى نهر السند تلقوا أيضاً اسم هذه المنطقة من الفرس، ولكن الاسم اقبلت عندهم همزة وتكونت كلمات «إندھس» و«إند»، وقد حوصلوا الأوربيون إلى «إندھس» و«إنڈيا» و«إنڈیین»، أما في اللغة الفرنسية فقد بقىت الكلمة «إند».

وإذا لم اطلع على الكلمة «هند» بمعنى البلد في الشعر العربي القديم، وأرى أن هذه الكلمة بمعنى البلد قد جاءت في الحيرة نفسها من إيران، ويبدو أن آثار الحضارة والمدنية الفارسية كانت سائدة على بلاد الحيرة، ومن هنا نسبت إلى الهند بعض الأشياء التي ترتبط بها خاصة، كما في هذا البيت لعدى^١ ابن زيد الم توفى سنة ٣٥٣ق. هـ :

رب نار بت أرمقها تقضى الهندى والغارا
والمراد بالهندى، كما في لسان العرب، «العود الطيب الذى من بلاد الهند».
وبما أن سيطرة الفرس كانت قد تمت على بعض المناطق في الجنوب
العربى يمكن أن الكلمة «هند» بمعنى البلد قد عرفت هناك أيضاً، ولكن ليس

(١) ابن الكيت : تهذيب الاناظ : ٦٥٦ ، الأغانى (٢: ١٤٧) ، الشمر والشراء (١: ١٨٤) وقد نسب هذا البيت في لسان العرب (٢: ٤٢٨) لمدى بن الرفاع المترفى بحر ٩٥ هـ .

لدينا دليل قاطع بذلك . وعلى كل قلما يمكن أن انتشرت هذه الكلمة بهنى البلد قبل القرن الخامس الميلادي في جزيرة العرب الشهابية والوسائل التي نسمى لغتها بالعربيّة . ولأثبات الرأي القائل بأنّ العرب سموا نسائهم باسم البلد يلزمنا أن ثبت أن هذه الكلمة قد جرت بمعنى البلد على ألسنة جميع الناس مدة طويلة . وكما استعملت كلمة «هند» علماً فكذاك وردت في اللغة العربيّة للعامي الآخر أيضًا من ذمّن قديم ، وقد ذكر في لسان العرب لهذه الكلمة المعاني الآتية^١ :

«هند وهنيدة : اسم للاة من الإبل خاصة . وقال أبو عيدة وغيره : هي اسم لكل مائة من الإبل . ابن سيده : وقيل : هي اسم للاة ولما دوينها ولما فويقها ، وقيل : هي المائتان . قال : والهنيدة مائة سنة ، والهند مائتان » . فكان معنى الهنيد والهنيدة هو المائة من الإبل أو أقل من ذلك أو أكثر ، وكذلك مائة سنة أو المائتان . والطريف أنّ كلمة «هند» لم ترد علماً للرأة خسب بل كان الرجال أيضًا يسمون بهذا الاسم فقد جاء في لسان العرب : «هند اسم رجل» واستشهد باليت الآتي :

إني لمن أنكرني ابن الأثيري قلت عليهما وهند الجلي أراد : وهنداً الجلي .

وهكذا يظهر أنّ تسمية العرب المرأة أو الرجل بالهند لا علاقة لها ب بلد الهند . وهناك أمر يبعث على التفكير وهو أنّ العرب حينما يستعملون هذه الكلمة علماً للإنسان لا يعرفونها بلام التعريف ، أما للبلد فيقولون «الهند» بلام التعريف . وبهذا أيضًا يثبت أنّ كلمة هند قد وجدت عندهم من ذي قبل ، وحينما استعملوها علماً للبلد أدخلوا عليها لام التعريف وخصصوها . ويمكن أن العرب قد أحروا بلدنا كثيراً ولكن من المحقق أنّهم لم يسموا نسائهم باسمه . أما الكلمة الثانية التي تعرضت للبحث والمناقشة هي «مهند» في الصحاح

(١) لسان العرب (٢: ٤٣٧) .

للجوهرى، وهو أقدم معجم مرتب لدينا ، جاء في معنى هذه الكلمة «والمهند» : السيف المطبوع من حديد الهند». وقد تكررت هذه الكلمات في المعاجم الأخرى ، فعبارة لسان العرب كالتالي :

وهند السيف : شحذه ، والتهنيد : شحذ السيف ، قال :

كل حام حكم التهنيد
يقضب عند المز والتجريد
سالفقة الهامة واللديد

قال الأزهري : والأصل في التهنيد عمل الهند ، يقال سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل يlad الهند وأحكى عمله. والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند.

وفي قصيدة كعب بن زهير الشهيرة يات سعاد بيت جاء فيه :
إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيف الله مسلول
وفي رواية هذا البيت خلافات عديدة ، ففي رواية جاء في الشرط الأول «لور» مكان «لسيف» وروى الشرط الثاني هكذا أيضا :

وصارم من سيف الهند مسلول
وكذلك جاء في رواية أن كعبا كان قد نظم الشرط الثاني هكذا :
مهند من سيف الهند مسلول

وحيثما أنشده رسول الله ﷺ أص'ه وجعل «سيوف الله» بدل «سيوف الهند» وعلى كل وردت كلمة «مهند» في البيت في معظم الروايات . وقد قيل شعر كثير في مدح السيف الهندي في أواخر عهد الجاهلية وصدر الإسلام وذكر منه أبياتا فيها يأتى :

المهلل المتوفى نحو ١٠٠ ق هـ^١

هزموا العداة بكل أسمى مارن ومهند مثل الفدير يمانى

(١) شعراء المصاربة : ١٦١

الأخنس بن شهاب المتوفى نحو ٧٠ ق.ه^١:
 لكيز لها البحران والسيف دونه وإن يأتمهم ناس من الهند هارب
 الفند الزماني المتوفى نحو ٧٠ ق.ه^٢:
 دون أن أبصرت خولاً بكر . وسيوفاً هندية ورماحا
 مرقة (نحو ٨٦ - ٦٠ ق.ه)^٣:
 فآليت لا ينفك كشحى بطانة
 لعصب رقيق الشفتين مهند
 وظلم ذوى القربى أشد مضاجنة
 على المرء من وقع الحسام المهند
 العارث بن عباد المتوفى نحو ٥٠ ق.ه^٤:
 فابن سلنا فلينا سائزون لكم
 بكل هندية في حدهما شطب
 الملبس المتوفى نحو ٥٠ ق.ه^٥:
 كطريفة بن العبد كان هديهم
 ضربوا قذالة رأسه بهند
 حاتم المتوفى ٤٦ ق.ه^٦:
 ساذخر من مالى دلاصاً وسابحا
 وأسر خطباً وعصباً مهند
 عدى بن زيد المتوفى نحو ٣٥ ق.ه^٧:
 والشرف الهندى نسى به
 أخضر مطموثاً بماء الخريص
 عداوة ذى القربى أشد مضاجنة
 على المرء من وقع الحسام المهند

(١) شرائع الصرائحة: ٢٤٣، ١٨٥

(٢) شرح القصائد العشر: ٤٨، معلقة: ٧٨، ٨٣

(٣) شرائع الصرائحة: ٢٧٧

(٤) ديوانه: ٣٨ (لبيك ١٩٠٣م)

(٥) ديوانه: ٨

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر ١: ١٨٢، حماة البحترى: ٢٤٨

وقد ذكر الجاحظ بيتاً لعروة بن الورد المتوفى نحو ٣٠ ق.هـ^١:
 عصوابيوف الهندي اعتبر كتبهم براكا هرب لا يطير غرابها
 عنزة المتوفى نحو ٢٢ ق.هـ^٢:
 نفعته بالرمح ثم علوته بهند صاف الحديدة مخنوم
 المثقب العبدى (جاملى)^٣:
 وأتسبب به من آل نصر سعيد
 هلال بن رزين (جاملى)^٤:
 فولوا تحت تقطّعها سراعاً
 حجل بن نضلة^٥:
 ومهند في متنه حرجة عصب إذا من الضربة مفصل
 ائم بن رياح^٦:
 يبرى الأصم من العظام ويقطع
 أمية بن أبي الصلت المتوفى نحو ٥٥ ق.هـ^٧:
 الصاربين التقدمية بالمهندنة الصفانع
 إذا ما الموت غلن بالمنايا وذلت المهندنة الجفونا
 الأعشى المتوفى ٧٥ ق.هـ^٨:

(١) البيان والبيانين ٣: ٨٣

(٢) التبريزى: شرح تصنائف الشر: ١٠٣، مملكته: ٥٦

(٣) انظر وشهراء: ١: ٣٥٧

(٤) الخاتمة: ١: ١٧٩ بشرح التبريزى

(٥) الأصحابيات: ١: ٥٥

(٦) الخاتمة: ٤: ٩٦

(٧) شهراء التبريزية: ٢٢٤، ٢٣٤ وجبرة أشعار العرب: ١٩٩

(٨) ديوانه: ٤٥: ٤١١

فِي فِتْيَةِ كَسِيفِ الْهَنْدِ قَدْ عَلَوْا
 أَصَابَهُ هَنْدُوَانِي فَأَضَضَهُ
 الْمَزْرُدُ الْمَتَوفِي ١٠٩١^١ :

وَأَمْلَسَ هَنْدِي مَتَى يَعْلَمُ حَدَّهُ
 الْخَنَّاسُ الْمَتَوفِي ٢٤٩٥^٢ :

أَنْتَ الْمَهْنَدُ مِنْ سَلِيمٍ فِي الْعُلَىٰ
 لِيدُ الْمَتَوفِي ٤١٩٥^٣ :

كَسْفِيَّةُ الْهَنْدِي طَابِقُ دَرَمَهَا
 وَمَدْجُجِينُ تَرَىُ الْمَغَاوِلُ وَسَطْهُمُ
 جَرْوُلُ بْنُ أَوْسٍ الْمَتَوفِي نَحْوُ ٤٥٩٥^٤ :

كَسُوبُ وَمُتَلَافٍ إِذَا مَا سَأَلَهُ
 حَسَانُ بْنُ ثَابَتٍ الْمَتَوفِي ٥٤٩٥^٥ :

فِي فِتْيَةِ كَسِيفِ الْهَنْدِ أَوْ جَهَّهِمُ
 فَأَمْسَى سَرَاجًا مَسْتَبِيرًا وَهَادِيَا
 يَلْوَحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمَهْنَدُ
 وَلَا عَدِيُّ بْنُ كَعْبٍ إِنْ صَيَغَهَا
 عَيْدُ الرَّاعِي الْمَتَوفِي ٩٠٩٥^٦ :

كَحْدِيدَةُ الْهَنْدِي أَمْسَى جَفَنَهُ
 خَلْقًا وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَظَامِ نَكُولًا

(١) المفضليات: ١٧٥

(٢) شرح ديوان الحسام: ٦٥

(٣) ديوانه: ١٤٦، ٦٥

(٤) ديوانه: ٨٦

(٥) ديوانه: ٣٣، ٦٦

(٦) جهرة أشعار العرب: ٢٥٦

ذو الرّمة (١١٧-٦٧) ^{١)}:
أخاشقة زولا كان قبصه على نصل هندي بجراز المضارب
الكمت (٦٠-١٢٦) ^{٢)}:
قل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت الهند والقطيعا
زينب بنت الطيرية المتوفاة نحو ١٣٥ هـ ^{٣)}:
مضى وورثاته دريس مقاضة وأيضاً هندياً طويلاً حائله
الحسين بن مطير المتوفى ١٦٩ هـ ^{٤)}:
خفيف الخشا ضرباً كان ثابه على قاطع من جوهر الهند صارم
ريطة بنت عاصم ^{٥)}:
غدو أكسيوف الهند وراد حومة
تميم بن أسد الخزاعي ^{٦)}:
ووجدت ريح الموت من تلائمهم وخشيته وقع هندياً قضاب
وقال الجاحظ في البيان والتين: وأنشدني بعض أصحابنا ^{٧)}:
ناديت هيدان والأجواب مغلقة ومثل هيدان مني فتحة الباب
وجه جميل وقلب غير وجاب كالهندواني لم تفلل مضاربه
مرار بن سعيد الفقعنسي (إسلامي) ^{٨)}:

(١) ديوانه: ٥٥

(٢) البيان والتين ٣: ٣٦٥

(٣) حاتمة البحترى: ٢٧٥

(٤) البيان والتين ٢: ١٧٦

(٥) الحاتمة (طبعة بون) ٤٩٢

(٦) حاتمة البحترى: ٥١

(٧) البيان والتين ١: ٤١

(٨) ابن قتيبة: الشعر واترا ١: ٦٨٣

إذا شولنا لم نسع فيها بمفرد قوى الضيف منها بالمهندذى الآخر
 ولا أستطيع أن أقطع ولكنه يدو أن وضع الكلمة «مهند» للسيف الهندى
 قد تم قبل الإسلام ب نحو قرن ونصف ، وإنها بدون شك مشتقة من «هند»
 بمعنى البلد ، ولكن الفعل الماضى «هند» ومصدره «الهند» قد وجدا في اللغة
 العربية من ذى قبل كا يظهر من المعجم ، والعبارة التالية من لسان العرب جديرة بالتفكير:
 «هند إذا قصر وهند وهند إذا صاح صاح البومته (ابن الأعرابى)
 هند الرجل إذا شتم إنسانا شتما قيحا ، وهند إذا شتم فاحتمله وأمسك ، وحمل
 عليه فما هند أى ما كذب ، وما هند عن شتمى أى ما كذب فلا يآخر ،
 وهندته المرأة : أورته عشقا بالملاظفة والمغازلة^١ ، قال :

يعدن من هندن والمتيا

وهندتى فلانة أى تيمتى بالغازلة (أبو عمرو)

ابن دريد : هندت الرجل تهند إذا لايته ولاطفته .

ابن المستير : هندت فلانة بقلبه إذا ذهبت به .

(١) وقد كتب الدكتور عبد العليم الصديق في رسالته التي قدّمها لنيل درجة الدكتوراه أن كلية «هند وهند» يعني المغازلة لم تشتقا من العلين القديعين للمرأة العربية «هند وهند» بل الواقع أن دلال المرأة الهندية كان قد أتعجب العرب فاستعملوا كلية «هند وهند» بمعنى المغازلة المذكورة ، كما أن كلية «هندوه» تطلق على الحبيب الجليل في اللغة الفارسية ، وكان قد أشهد بذلك الفارسي الآتي :
 عشوه وناز وكرشهه منه با مردم هند سعديا روز ازل حسن بتركان دادند

A. Siddiqi, Studien über die Persischen Fremdwörter im Arabisch Goethingen 1919 p. 91.

وقد رفض هذه النكتة الأستاذ نولدك في التعليق الذي كتبه على هذه الرسالة ، يراجع Der Islam Vol. 11, p. 270 وحيثما ذكرت ذلك الدكتور الصديق قال : إنني قد تفكرت بعد نشر الرسالة بقليل فوصلت إلى أن رأيي كان خطأ وأنه لا علاقة لهذه الكلمات يلي المند .

وكان يقال في صوت الboom أنه يصبح «هنداهندا» كما يدرو من هذا الشطر :

وبلدة يدعى صداما هندا

ومن الظاهر أن معنى الملاطفة والمغازلة قد أخذ من «هندا» بمعنى اسم المرأة.

أما الشتم واحتقاره فلانعلم أى هند تختص بهما .

وفي ضوء هذه التصريحات يمكن أن أقول : إن كلتي «هند ومهند» قد وجدتا في اللغة العربية من ذي قبل ، وحينما أطلق العرب كلمة «الهندي» على بلادنا^{*} بوساطة الفرس ونسبوا إلى الهند أشياء كثيرة كانت تصل إليهم منها وخاصة الحديد والسيف قالوا للعود «الهندي»، وللسيف «المهند»، أيضا .

الدكتور عبد العليم

على كثره - الهند

مخطوطات مهمة لكتاب «إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام»

إن كتاب «إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام» للشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد الأسدى المكي الشافعى المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ نسخة خطية محفوظة في قسم مخطوطات حبيب كنج برقم ٢٢/١٠٠ الملحق بمكتبة مولانا آزاد للجامعة الإسلامية بعلى كرثه (الهند). وهو كما يدو من اسمه يحتوى على الأخبار والروايات المختصة بالكة المعظمة والحرم الشريف ومكة المكرمة. ولا شك أن العلماء قد صنفوا كثيراً من الكتب في هذا الموضوع قبل المؤلف ولايزالون يكتبون حتى الآن، لكن هذا الكتاب له أهمية كبيرة بالنظر إلى أن المؤلف مع ذكر الأخبار المقتبسة من كتب الذين سبقوه قد أورد فيه ما رأى بعينيه في حياته من الشئون المتعلقة بالكة المعظمة والحرم الشريف ومكة المكرمة. وبهذه الناحية صار الكتاب ذات شأن كبير، وكان يستحق أن ينشر قبل اليوم بكثير، ولكنه مع الأسف لم ينشر حتى الآن فيما أعلم. والمخطوطة التي بين أيدينا الآن قد تمت كتابتها بمكة المكرمة على يد الحافظ عبد الرسول يوم الإثنين تاسع شوال سنة ١١٤٣هـ كما يظهر من العبارة التي كتبت في آخرها بخط كاتبها :

«وكان الفراغ من كتابته يوم الإثنين تاسع شوال بمكة المشرفة سنة ١١٤٣هـ ثلاثة وأربعين ومانة وألف، باسم الفقير إلى الله الحافظ عبد الرسول غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، آمين، آمين».

وبعد ذلك ب نحو مائة سنة قد دخلت هذه المخطوطة في خزانة حبيب كنج حين اشتراها جامع سكتب الخزانة النواب صدر يار جنك

مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني في حيدر آباد بخمس عشرة رواية في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ألف وثلاث مائة وخمس وأربعين ، كما هو المكتوب على الصفحة الأولى من المخطوطة بخط مولانا الشرواني وبإمضائه : «اشترىت هذا الكتاب في حيدر آباد بخمسة عشر (١٥) رباعي حالية».

محمد حبيب الرحمن خان ٢٢ / رجب المرجب سنة ١٣٤٥

وهنا يخطر بالبال سؤال مهم وهو أين كانت هذه المخطوطة في هذه الفترة الطويلة ؟ ولكنها - مع الأسف - لا تمتلكنا من الإجابة عن هذا السؤال ولا يوجد على الصفحة الأولى منها ولا على غيرها شيء من الامتلاكات أو الخاتمات خلا العبارة المذكورة آنفاً وخاتم خزانة حبيب گنج . وبهذه المناسبة يجدر بالذكر أن المخطوطة قد نسخ بمكة المكرمة ، وكان الأستاذ الشرواني المرحوم قد سافر إليها للحج يت الله الحرم وكان مولعاً بجمع التوارد والكتب المهمة ، فيحاول الحصول على الكتب النادرة حينها يذهب في بلاد الهند أو غيرها ، فإنه قد اشتري عدة كتب بمكة المكرمة أيضاً ، ولكن لم تكن هذه المخطوطة من بينها فإنه قد اتبعها في حيدر آباد بالهند كما تقدم ، فعلى هذا يغلب على الظن أن الكاتب الحافظ عبد الرسول كان رجلاً هندياً قد توجه إلى مكة المكرمة للحج والزيارة ، ونقل في مدة إقامته هناك هذه المخطوطة عن نسخة موجودة بمكة المكرمة ، ثم رجع بها إلى الهند وبعد ذلك بقيت المخطوطة في يده حتى أن الشرواني المرحوم قد اشتراها من أحد من أهله . وهكذا لا يتبيّن عن أي نسخة نقلت هذه المخطوطة وما هو أصلها ، لأن الكاتب لم يذكر عن ذلك شيئاً . ومن العجيز بالذكر بهذا النصوص أن لهذا الكتاب نسخة موجودة في المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة^١ ، ولكن - مع الأسف - لم أستطيع الحصول على صورتها حتى الآن مع ما بذلت من قصارى

(١) انظر شنا. لفرام بأخبار بلد الحرام للناسى ، (مكة المكرمة ، ١٩٥٦) : ٣٨٠/١

جهدی في هذا السیل ، ولا يوجد تاریخ نسخها في المصدر الذي وقفت به عليها ، على أنه إن كانت النسخة المحفوظة بالمکتبة الفبضیة قد كتبت قبل سنة ١١٤٣ھ فن المحتمل أن كاتبنا الحافظ عبد الرسول يكون قد نقل نسخه عن تلك النسخة ، ولا يمكن لـ حالي أن أقول شيئاً عدا ذلك عن هذه المسألة .
وـ نـ المخطوطة :

إن مخطوطة حبـ كجـ تألف من سـ متـ وأربعـن ورقةـ ، وكانت أوراقـها مبعثـرة في بعض المكانـ ولكن تم تجـيلـها من جـديـدـ في هذه الأيام الأخيرة لأنـ جـلدـها القـديـمـ كانـ قد صـارـ بـالـيـاـ رـثـاـ ، فـالـآنـ تـانـتـ الأوراقـ وـانتـظمـتـ . وـورـقـهاـ أـيـضـ ثـخـينـ قدـ تـكـدرـ بـمرـورـ الزـمـنـ . مقـاسـهاـ ٢٠ × ١٥ سمـ ، وـمقـاسـ المسـاحـةـ المـكتـوبـةـ ١٦ × ١١ سمـ ، وـفيـ كلـ صـفـةـ تـسـعـ عشرـ سـطـراـ وـالمـدادـ أـسـودـ رـائـقـ ، وـلمـ يـقـسـ الـكلـامـ فـيـ الـفـقـراتـ ، وـلكـنـ الـلـفـظـةـ الـأـوـلـىـ منـ كـلـ كـلـامـ طـرـيفـ مـكـتـوبـةـ بـالـحـبـرـ الـأـحـرـ ، كـاـنـ أـنـ اـنـفـاـصـلـاتـ وـالـعـاـوـنـىـنـ قدـ رـسـمـتـ بـالـحـمـرـةـ ، وـهـكـذاـ لـاـ يـضـاحـ الـرـبـطـ فـيـ الـعـبـارـةـ — قدـ وـضـعـتـ بـالـحـمـرـةـ عـلـامـةـ كـهـذـهـ (ـ) فـوقـ الـكـلـمـاتـ الـمـتـلـقـةـ . وـالـكـتـابـةـ بـخـطـ النـسـخـ ، وـمعـ أـنـ يـدـوـ وـاضـحـاـ مـهـدـاـ وـلـكـنـهـ لـيـسـ بـجـيدـ . وـبعـضـ الـمـواـضـعـ مـخـرـومـ وـلـكـنـ هـذـاـ النـقـصـ قـلـاـ يـخـلـ بـالـقـرـاءـةـ .

وهـنـاكـ مـيـزـتـانـ فـيـ رـسـمـ الـخـطـ حـرـيـتـانـ بـالـذـكـرـ : الـأـوـلـىـ أـنـ تـاءـ التـائـيـتـ لـيـسـ بـمـنـقـوـطـةـ فـيـ كـلـمـةـ مـنـ الـكـلـمـاتـ ، فـكـتـبـ مـثـلاـ «ـقـبلـهـ» ، مـکـانـ «ـقـبلـةـ» ، وـ«ـدـخـيمـ» مـوـضـعـ «ـخـيـمـةـ» ، وـ«ـظـلـهـ» ، بـدـلـ «ـظـلـمـةـ» ، وـغـيـرـ ذـلـكـ ، فـلـذـلـكـ يـتـابـدـرـ الـذـهـنـ فـيـ بـعـضـ الـأـجـانـ أـوـلـاـ إـلـىـ الضـمـيرـ الـمـنـصـلـ لـلـوـاـحـدـ الـغـائـبـ ، ثـمـ بـعـدـ شـقـيـ منـ التـأـمـلـ يـتـضـحـ أـنـ لـيـسـ بـهـاـ الضـمـيرـ بلـ هوـ تـاءـ التـائـيـتـ . وـالـثـانـيـةـ أـنـ عـلـامـةـ الـهـمـزـةـ لـاـ تـوـجـدـ فـيـ أـيـ مـکـانـ ، وـكـلـ الـأـحـرـفـ الـتـيـ تـوـضـعـ فـوـقـهـاـ أـوـ تـحـتـهـ عـلـامـةـ الـهـمـزـةـ فـيـ يـوـمـاـ هـذـاـ قـدـ كـتـبـ بـصـورـةـ الـيـاءـ الـثـانـيـةـ مـثـلاـ «ـطـاـيـرـ» ، مـکـانـ «ـطـائـرـ» ،

و«خايف» بدل «خائف»، وهكذا لم ترسم علامة المهمزة بعد الألف المدودة فقد كتبت مثلاً كلمات «بناء»، «وضياء»، «وفاء» وحذاء وغيرها بدون المهمزة في أواخرها.

ومع ذلك إن الحق أن الكتابة صحيحة إلى حد كبير وليس الأغلاط بكثيرة، نعم إنها لا تخلي منها كل الخلو، ولكنها أغلاط عادية لا تحتاج إلى التبيه. وهذا يدل على أن الناسخ لعله كان عالماً باللغة العربية ولكن توجد فيها غلطتان علميتان يظهر منهما أنه لم يكن عالماً جيداً: الأولى أن كتابة (ابن) و(بن) بين الأعلام ليس لها ضابط عند الناسخ فإنه مثلاً يكتب «عمر بن الخطاب» في مكان ثم يعود فيكتب «عمر ابن الخطاب» في مكان آخر، ولا شك أن هاتين الطريقتين كلامها صحيح ولكنه لكل منها موضع معين، وكابنا لا يعرف موضع إثناتي المهمزة وحذفها ولا يميز بينها. والغلطة الثانية التي هي أفحش من الأولى أن الكاتب كثيراً ما يكتب حرف الألف بعد صيغة المفرد المذكر الغائب لل فعل المضارع الناقص الواوى، وعلى سبيل المثال هو يكتب «يدعوا»، «مكان» «يدعوه»، «يشكوا»، «مكان» «يشكون»، لأنه لا يستطيع أن يميز بين الواحد والجمع، ومن العجب أنه لا يقف عند هذا الحد فحسب بل يرتكب هذه الغلطة في كتابة بعض الأسماء التي تشبه في الرسم الفعل المذكر، فثلاً يكتب «بنوهم»، «مكان» «بنوهم»، «وحديثوا عهد»، موضع «حديثوعهد».

النسخ الأخرى للكتاب:

إن نسخة حبيب كنج التي فصلت الكلام فيها لم أجده ذكرها عنها حتى الآن في أحد من المصادر وفهارس المخطوطات التي توجد عندي في هذا الوقت ولكن وقفت على ثلاثة نسخ أخرى: الأولى محفوظة في المكتبة التيمورية بالقاهرة. والثانية موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق. والثالثة في المكتبة الفيضية بمعملة المكرمة. وذلك حين أقيمت النظر على كتاب شفاء الغرام بأخبار

البلد الحرام للعلامة تقى الدين الفاسى المتوفى سنة ١٤٨٢هـ الذى نشرته لجنة من العلماء الكبار بهـة المكرمة سنة ١٩٥٦م، فإنه في آخر هذا الكتاب يوجد فهرس للصادر الذى اعتمد عليها العلماء التاشرون فى تحقيقه، وفي هذا الفهرس ذكر تحت رقم ٤١ هـكذا:

٤١- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تأليف الشيخ أحد بن محمد الأسدى المتوفى عام ١٤٦٦هـ

١ - نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة مخطوطة عام ١٢٥٥هـ

٢ - وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة مخطوطة عام ١١٥٤هـ

٣ - ومنه نسخة بالمكتبة الفيوضية بمكة.

وإن من حسن الحظ أنى قد حصلت بالوسائل المختصة على صورة عكسية لكل من نسخة القاهرة ونسخة دمشق من النسخ الثلاث المذكورة، ولكنه من المؤسف أنى لم أوفق حتى اليوم للحصول على نسخة مكة المكرمة مع أنى بذلت كل ما استطعت في هذا الشأن.

إن نسخة القاهرة تقع في ثلاثة وأربعين ورقة، وفي كل صفحة تسعه عشر سطراً، وهذه النسخة أيضاً ليست فيها الفقرات ولا علامات الأوقاف غير أن اللفظة الأولى من كل كلام طريف قد كتبت بخط جلي، وكتابتها بخط النسخ ليس بجميل، واسم ناسخها محمد بن محمد بن يوسف بن سالم المالكى البهيرى الذى أكمل كتابتها بالحرم الشريف يوم الأربعاء في العادى والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٥٥هـ، ولا توجد فيها صراحة عن الأصل المنقول عنه هذه النسخة، وقد جاء في آخرها بخط ناسخها ما يلى:

«وكان الفراغ من كتابته بالحرم الشريف يوم الأربعاء أحداً وعشرين خات من شهر شعبان الذي هو من شهور سنة ألف ومائتين وخمسة وخمسين سنة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وذلك على يد الفقير

المضرر لرحمة ربه القدير محمد بن محمد بن يوسف بن سالم المالكي مذهب البحيري إقليماً الرحافي بلدة، غفر الله له ولوالديه ولشائخه ولحبيه ولأصحاب الحقوق عليه وبطبيع المسلمين والملهات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم».

وبعد إتمام النسخ قد قابل الناشر نسخة المنشورة عن أصل النسخة الذي نقلها عنه بحيث أنه كان يقرأ النسخة المنشورة مسمعاً أستاذه الشيخ يوسف الصاوي، وكان الشيخ عبد الفتاح الأزهري ينظر في الأصل كـ هو المكتوب على الصفحة الأولى من هذه النسخة:

«وقد قوبل وتم مقابلته من أوله إلى آخره على يد كاتبه ويد الأخ الشيخ عبد الفتاح الأزهري ناظراً في أصله وأماقرأ في الفرع مسمعاً أستاذنا العلامة الحبر الفهامة الشيخ يوسف الصاوي، وكانت مقابلته في مجلس واحد، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم».

ومن الجدير بالذكر أن هذه النسخة تحتوى على تعليقات مختصرة في بعض الموضع بخط العلامة الصاوي.

أما نسخة دمشق فقد أورد ذكرها يوسف العش في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية^١، وهذه النسخة تتألف من سبع وخمسين ورقة، كل صفحة منها يشتمل على تسعه عشر سطراً، وخطها رقى وبعض الألفاظ بالحرة، مقاسها ١٦×٢٣ سم، ومقاس حاشيتها ٦ سم وتم كتابتها في سنة ١١٥٤ هـ بتلميذ عيسى بن عبد الله الذي علق عليها في عدة مواضع وتلقياته تدل على بصيرته العلية.

(١) راجع الجزء السادس (التاريخ وما قبله) (طبعة دمشق ١٣٦٦) : ١٠٧

وما يستلفت النظر في هذه النسخة أنها قد كتب فيها كلمة «من خطه» بعد بعض من التعليقات، وهذا يشير إلى أنه لعل المؤلف نفسه قد كتب هذه التعليقات عند إعادة النظر في كتابه، ولكن من المؤسف أن هذه النسخة ناقصة لأنها قد حرق طرفاها الأعلى نحو الجب، وهذا النقص قد أزاد شيئاً فشيئاً حتى أنه قد ضاع نحو النصف من الصفحات الأخيرة، ولم يذكر الناشر شيئاً عن أصل النسخة وقد كتب في آخرها ما يأتي:

«تمت على يد العبد الفقير إلى الله تعالى عيسى بن عبد الله في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول افتتاح عام ١٤٤٥هـ».

إن نسخة حبيب كنج أصح وأقدم من النسختين المذكورتين اللتين إحداهما بالقاهرة والأخرى بدمشق، أما نسخة مكة المكرمة فلا يمكن الآن أن أقول عنها شيئاً، لأنني كما قدمت لم أستطع الحصول عليها حتى الآن ولا أعرف من كتب هذه النسخة ومتى تمت كتابتها وما هي هيئتها في الوقت الحاضر، وإن المصدر الذي وقفت به عليها ساكت عن وصف هذه الأمور ولم أقف حتى الساعة على نسخة أخرى غير النسخ الأربع المذكورة وهذا يشعر بأن هذا الكتاب ليس له إلا النسخ القليلة.

موارد الكتاب: وقد ذكر هذا الكتاب خير الدين الزركلي في الأعلام، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين، أما الحجي البغدادي فلم يعرض له وإن كان قد ذكر كلاماً في تصنيفاته مؤلفات أخرى لمولانا الشيخ أحمد الأسدى^١.

وما يجدر بالذكر في هذا المقام أن الكتاب يتضمن بدبياجة قصيرة كتبها أحد من أبناء المؤلف، وهذه الديباجة تخبرنا أنه آخر كتاب ألفه المؤلف وقد

(١) راجع الأعلام، (الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٥٤م) ١: ٢٢٧، معجم المؤلفين، (دمشق ١٩٥٧م) ٢: ٨١، خلاصة الآخر للحجى، (مصر ١٢٨٤هـ) ١: ٣٢٥، وهدية المارفين للبغدادى، (استبول ١٩٥١م) ١: ١٦٠، إيضاح المكرن للبغدادى (استبول ١٩٤٥م) ٢: ٢٢٩.

توفي قبل تبييضه وتمكيله كما يقول ابنه :
 «ومات رحمه الله تعالى قبل تبييضه وإلحاقي أشياء ترك لها ياضا أراد أن
 يلحقها هنالك ، منها سبب بناء السلطان مراد للكعبة الشريفة ، وما ورد في
 فضل مقبرة المعلاة وغير ذلك ، وما جعل له في أوله خطبة ملائمة» .
 ثم بعد وفاة المؤلف قام ابنه هذا بتبييضه وتمكيله وربما ألحق فيه بعض
 فوائد مهمة جليلة^١ .

ومن المؤسف أن لم أستطع حتى الآن أن أتحقق شخصية هذا الرجل
 مع أنني قلبت عدداً كبيراً من الصفحات لكثير من المظان ، فلا أعرف من
 كان ابن المؤلف هذا وما هو اسمه ومتي يض مسودة الكتاب بعد وفاته
 عليه . على أنه يدو أن هذا العمل لا يكون قد تم بعد وفاة المؤلف على
 الفور بل يكون قد استغرق مدة غير قليلة ، فلا غرو إن كان العلامة الذين
 عاصروا المؤلف أو الذين صنعوا كتبه بعد وفاته بقليل لم يذكروا هذا
 الكتاب في تصانيفهم ، وهذا الأمر لا يحدث ريبة في نسبة الكتاب إلى مؤلفنا
 الشيخ أحمد بن محمد الأسمى .

ترجمة المؤلف : ابن مؤلفنا الشيخ أحمد بن محمد الأسمى لا يوجد فيها
 بين أيدينا من كتب الترجم من حياته إلا شئ قليل وإنه لا يشق الغليل ،
 وقد ترجم له محمد أمين المحبي المتوفى سنة ١١١١هـ في «خلاصة الأثر» الذي
 هو كتاب ضخم وذو شأن عظيم في تراجم أعيان القرن الحادى عشر^٢ ، ومع
 أنها ترجمة وجيزة ولكن لم أظفر حتى الساعة بأكثر منها في أحد من
 المصادر الميسورة ، فain ما ذكره العلامة خير الدين الزركلى والعلامة الآخرون
 من حياته فهو قليل جداً ، ويبدو أنه مأخوذ من «خلاصة الأثر» نفسه . وقد

(١) انظر دياجة الكتاب في نسخة حبيب كنج : ٢

(٢) راجع خلاصة الأثر ١ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، المطبعة الوهبية ، مصر ، ١٩٨٤ .

أورد أيضا ترجمة محمد بن أبي بكر الشلي الحضرمي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ في كتابه «عقد الجوادر والدرر في أخبار القرن الحادى عشر»، كما يظهر من فهرس الخزانة التيمورية^١، ولكن مع الأسف لم أجد إلى الحصول عليه سيليا غير أن هذا الكتاب كان أمام المحي حينما كان مشغولاً بتأليف «خلاصة الأثر»، لانه قد استشهد به في كثير من الموضع من كتابه هذا، فعلى هذا ينطب على الظن أن المحي يكون قد استوعب ما وجده في كتاب الشلي من ترجمة المؤلف، فلذلك نكتفي الآن بما ذكره المحي في «خلاصة الأثر»، وهو هي صورة بجملة لحياة المؤلف:

إن الشيخ أحمد بن محمد الأسدى المكي اليمنى الشافعى قد ولد بمكة المكرمة سنة ألف وخمس وثلاثين (١٠٣٥هـ) من الهجرة، وهكذا وجدت في جميع المصادر التي استطعت الحصول عليها عدا فهرس الخزانة التيمورية، فإنه قد ورد فيه أنه ولد في سنة ألف وتسع وعشرين (١٠٢٩هـ)، والأسدى نسبة إلى أسد بن عامر المتوفى سنة ١١٨٨هـ، أحد الفقهاء العامريين^٢ ويقول المحي إن الأسديين كثيرون باليمن، مشهورون بالعلم والصلاح، وأصلهم من قبيلة يقال لهم آل خالد، سكنهم بنواحى جازان، قرية بأرض اليمن، وقال أيضاً مستنداً بعض التعليقات الذى لم يذكر اسمه: إن جازان أصلها جوزان بفتح الجيم والراء، وجازان لغة عامية.

وبالجملة إن الشيخ أحمد ولد بمكة المكرمة ونشأ بها ولكنني لم استطع حتى الآن الاكتشاف عن جده الأعلى الذى أتى عصاه أولاً بمكة المكرمة مهاجراً من اليمن، وطبقاً لل بحي أخذ مؤلفنا الشيخ أحمد عدة علوم عن والده،

(١) انظر الجزء الثالث من الفهرس (أسمااء المؤلفين) لأحمد تيسير بابا: ١٥ ، القاهرة ١٩٤٨ م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع ترجمة الأعلام للزرکل ١: ٢٩١

فهذا يدل أن والد المؤلف أيضا كان من ذوى العلم والفضل ، ولم يذكر المحبى شيئا عدا ذلك عن والده في هذا الموضوع غير أنه ترجم في موضع آخر محمد بن أحد الأسى العريشى^١ اليمنى المتوفى سنة ١٠٦٠هـ بأنه هو : شيخ العلوم والمعارف ، وما لک زمامها من تلذ وطارف ، أربى على العمر الطبيعى وهو يمتع بجواسه ، من بيت علم وصلاح ، مقيمين على تقى وفلاح ، راض بالكافاف من الرزق الحالى الأرغد ، ناصب النساء جلا لصيد معيشته كما عليه السلف الظاهر الأميد ، اشتغل بالفقه وبرع ، وأعرب في النحو قبل أن يترعرع ، وأخذ من العلوم بنصيب وافر ، ولازم العلماء والأنتمة الأكابر^٢ .

وما يستوقف النظر أن المحبى ذكر في ترجمة العريشى المذكور أنه أخذ عنه ولده العلامة أحد ، ثم قال إنه كانت وفاته (العريشى) بمكة سنة ١٠٦٠هـ ودفن بالشيكة ، وهذه المقبرة هي التي دفن فيها مؤلفنا الشيخ العلامة أحد بن محمد الأسى بعد وفاة الشيخ محمد بن أحد الأسى العريشى بست سنوات كما سيأتي ، فعلى هذا يمكن أن نستنتج أن الشيخ محمد الأسى العريشى اليمنى هذا هو الذي والد مؤلفنا الشيخ أحد بن محمد الأسى اليمنى .

وعد المحبى في شيوخ المؤلف عدا والده الشمس محمد بن علان^٣ المتوفى سنة ١٠٥٧هـ ، والإمام علي بن عبد القادر الطبرى^٤ المتوفى ١٠٧٠هـ ، والشيخ محمد الطائفى^٥ المتوفى سنة ١٠٥٢هـ وغيرهم . وما يحدى بالذكر هنا أنه في

(١) العريشى نسبة إلى قرية يقال لها عريش من عمل حرض ، وحرض آخر بلاد اليمن من جهة الحجاز ، ينبع وبين جلا مقازة ، شذرات الذهب لابن العاد ٢: ١٨ .

(٢) راجع للباقي من ترجمته خلاصة الآثار ٢: ١٨٣ وعديمة العارفين ٢: ٢٨٥ .

(٣) انظر لترجمته خلاصة الآثار ٤: ١٨٤ .

(٤) راجع لترجمته المصدر السابق ٢: ١٦١ .

(٥) انظر لترجمته نفس المصدر ٤: ٣٣ .

خلاصة الأثر قد أثبتت اسم الشيخ المذكور في القدر الشمس محمد بن علان ، وإن أظن أنه خطأ مطبعي وقد طبعت الكلمة «الشمس» مكان «الشيخ» لأنني لم أجده ذكرًا عن الشمس محمد بن علان في أحد من المصادر الموجودة عندى . وفضلاً عن ذلك فإن مؤلفنا وإن كان قد أورد في كتابه في عدة مواضع اسم شيخه هذا «ابن علان» فقط ولكنه قد أثبتت في «وضع^١» محمد على بن علان ، وعلاوة على ذلك فإن المؤلف قد عد محمد حجازي الشعراوى الوااعظ في شيخ محمد على بن علان^٢ ويوجد في كتب الترجم ا أيضاً أن محمد على بن علان أخذ عن محمد حجازي الشعراوى الوااعظ^٣ وزاد على ذلك أن ما ذكره المؤلف من خدمات ابن علان في سبيل بناء الكعبة المشرفة سنة ٤٠٤٠هـ^٤ هو الذي ذكر بعينه في ترجمة محمد بن على بن علان في المصادر المختصة .

وقصارى الكلام أن مؤلفنا الشيخ أحمد الأسدى بعد أن فرغ من اكتساب العلوم قد تصدر للإقراء بالمسجد الحرام واتقتع به جماعة كثيرون ، ثم توفي بمكة المكرمة سنة ألف وستين وستين ودفن بالشيشكة .

وإن المحجى قد عد المؤلف من فضلاء الزمان وظرفاته ، وقال الزركلى : إنه قبيه متذهب . وعرف عمر رضا كحالة بأنه مورخ نحوى شاعر . وطبقاً للمحجى كان الشيخ كثير العبادة محباً للعزارة .

إن مؤلفنا الشيخ أحمد الأسدى كان عمره إحدى وثلاثين سنة عند وفاته ، وعلى رواية فهرس الخزانة التيمورية قد عاش سبعة وثلاثين عاماً^٥ .

(١) انظر نسخة حبيب كج : ٤٨

(٢) انقدر السابق : ٤٦

(٣) راجع لترجمة الشعراوى خلاصة الأثر ٤ : ١٧٤-١٧٧

(٤) انظر نسخة حبيب كج : ٤٨ ، وما بدمها

(٥) راجع فهرس الخزانة ٣ : ١٥

وفي هذه المدة القصيرة إنه ألف عدة مؤلفات، فاعداً كتاب «إخبار الكرام» الذي نحن بصدده له كتاب آخر باسم «طبقات الشافية»، الذي ذكره البغدادي في معجم المؤلفين^١، وله نسخة خطية محفوظة في الخزانة التيمورية بالقاهرة برقم ٢٤٠ تاريخ ، وما سوى ذلك للمؤلف كتاب ثالث سهاد «قلائد النحور بنظم الشذور»، الذي يوجد ذكره في عدة مصادر^٢، وفضلاً عن ذلك يدو من دياجة إخبار الكرام أنه كان قد لخص كتابه هذا في رسالة لطيفة.

إن «قلائد النحور بنظم الشذور» أرجوza نظم فيها المؤلف كتاب «شذور الذهب»، لابن هشام المتوفى سنة ٧٦٢ هـ، وهو كتاب معروف متداول في علم النحو، وهذا يدلنا أن المؤلف كان شاعراً، وهو بما قال المحبي إن له أشعاراً كثيرة، ثم أورد نحو ثلاثة ينـتا غزليـاً من قصائـه المختلفة فـائلـاً إنـه أسلوب لـطيف المـوقع حـسن التـأـوية، وبـعـد ذـلـك وـصـفـ المحـبـي بـأنـ أـشـعـارـه كـلـها مـنـ هـذـا النـمـطـ مـسـتعـذـبة لـطـيفـةـ، ويـطـيـبـ لـيـ فـيـ هـذـا المـوـضـعـ أـنـ أـقـدـمـ إـلـىـ القراءـ عـدـدـاـ مـنـهاـ :

من أين للبدر جزء من محياك	أم للصبح نصيب من ثنائك
والبدر يزويه ما يعلوه من كلف	والصبح يكفيه أن يدعى بأفاك
وهل حوى الكأس ما يحيويه ثم فرك من	نفائس لم ينلها غير مساواك
قد غره عنه ما يعلوه من حبب	قول الذي قال ألا خانه فالك
أنت البريئة من نفس تشن به	حاشاك وصمة حاشاك حاشاك
كل المحسن في مراكك قد جمعت	فجل من بمحلى الحسن حلاك

وقد أثبت المؤلف في كتابه إخبار الكرام أيضاً عدة أبيات في الموضع

(١) راجع معجم المؤلفين ٢ : ٨١

(٢) انظر خلاصة الأمر لل بحي ١ : ٣٢٥ . والاعلام للزرکل ١ : ٢٢٧ وصحım المؤلفين لكتحة ٢ : ٨١
وهدية المارفون للبغدادي ١ : ١٦٠ وإيضاح المكون للبغدادي ٢ : ٢٢٩

المختلفة ، ولكنها من نظم الشعراء الآخرين غير أنه قد أورد في موضع يتين لنفسه ، يقول عند ذكر بناء آدم عليه السلام للبيت الحرام إنه يروى أن آدم عليه السلام بناء من خمسة أجيال : لبنان وطور زيتا وطور سينا والجودي وحراء ، ثم قال : وقد نظمت ذلك بقولي^١ :

لقد بني آدم بيت الله من خمسة أجيال كأروينا
حرا ولبنان وطور زيتا كذلك الجودي وطور سينا
محتويات الكتاب : لقد رتب المؤلف كتابه «إيجار الكرام بأخبار المسجد
الحرام» على مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة ، وفي بدء الكتاب فاتحة قصيرة في
نحو صفحتين ألحقها به أحد من أبناء المؤلف كأنه مضى من قبل .

المقدمة : إن مقدمة الكتاب تشتمل بالعموم على الفضائل المختصة بالكعبة
الشريفة والطواف بها ، والحجر الأسود والركن اليهاني والالتزام والمقام والخطيم
وغيرها ، وفي بدأمة كل منها أثبت أولاً ما ورد من الآيات في شأنه ، ثم
جمع ماجاه في من الأحاديث والآثار والأخبار ، وقد ذكر في أثناء الكلام بعضًا
من الحكم والشروح المفيدة مثل سبب تسمية الكعبة والبيت الحرام والبيت العتيق وما
إلى ذلك ، وفي بعض من الموارد أجاب عن اعتراض أو شبهة أيضاً ، وعلى
سبيل التمهيل ذكر أولاً تحت يان الحجر الأسود ما روى الشيخان عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قبل الحجر ثم قال : والله لقد علمت أنك حجر
لا تضر ولا تفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلك .
ثم أورد المؤلف ما روى عن أبي بن كعب وعلى بن أبي طالب رضي الله
عنهمما أنها قالا : إن الحجر يضر وينفع وإنه يأتي يوم القيمة ولهم لسان
ذلك يشهد له واستلمه . وبعد ذلك ذكر تحت عنوان «فائدة» إنما قال
عمر رضي الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، تخشى

(١) انظر نسخة حبيب مجع : ٣٦

أن يظن الجهل أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد عمر رضي الله عنه أن يعرف الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا أن الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية في الأواثان^١:

وفي آخر المقدمة نقل تحت عنوان «تميم» عدداً كبيراً من آيات البيت تذكر بعضاً منها على سبيل التسليل.

١ - إن فقي من الحجارة اشتد عليه النزاع أيامها، فقال له أبوه: لعلك أصبت من الأبرق شيئاً يعني مال الكعبة، فقال: أربعمائة دينار، فأشهد أبوه أن عليه للküبة ذلك، فسرى عن الفتى ومات^٢.

٢ - إن خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ما في خزانة الكعبة من الحال، فقام على كل زاوية من البيت رجم منهم واقتصر الخامس، فجعل الله أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك وفر الأربعة^٣.

٣ - روى عن ابن عباس رضي الله عنها أن رجلاً قرشياً قتل هاشماً في الجاهلية وأنكر قتله فقال له أبو طالب: اختر إحدى ثلاث، إما أن تؤدي مائة من الإبل، وإما أن يخلف خسون رجلاً من عشيرتك أنك لم تقتله وإلا قتلناك، فاختار عشيرته الحلف، قبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء وأطلق آخر بشفاعة أمه إليه وحلف ثمانية وأربعون عند البيت. قال ابن عباس: فو الذي نفس بيده ما جاء الحول ومنهم عين تطرف^٤.

(١) راجع نسخة حبيب كج: ٤٤

(٢) المصدر السابق: ٢٤

(٣) نفس المصدر: ٢٨

(٤) أيضًا، ويقال ما يقيت منهم عين تطرف: أي ماتوا أو قتلوا جميعاً

المقصد الأول:

إن المقصد الأول يختص ببناء الكعبة الشريفة، وذكر فيه بناء الملائكة وآدم وابراهيم الخليل، وقريش وعبد الله بن الزبير (م : ٧٣ هـ) وحجاج ابن يوسف (م : ٩٥ هـ) والسلطان مراد (م : ١٠٤٩ هـ)، وقد أوضح في أول كل بناء سببه ثم فصل الكلام فيه، وفي أثناءه أثبت طول جدران الكعبة وعرضها وارتفاعها أيضاً، وعلى المخصوص قد وصف بناء السلطان مراد الذي حدث في سنة ١٠٤٠ هـ بتفصيل وافٍ، وما يجدر بالذكر في هذا المقام أن هذا البناء قد حصل في زمن طفولة المؤلف ونقل أكثره عن رسالة كان ألفها شيخه محمد على بن علان في بناء الكعبة وقد حضر البناء وحقق جميع ما وقع فيه^(١)، وروى بعضاً منه عن أحد من المباشرين لعمل هذا البناء^(٢). وإن الكعبة الشريفة قائمة حتى يومنا هذا على البناء ولم يقع فيه تغيير يذكر عدا تزيينه وتحسينه الظاهر.

وفي آخر هذا الباب عقد عنوانا آخر باسم «تكميل»، ليبيان كسوة الكعبة وطبيتها وتحليلتها ومعاليقها، ذكر فيه ما كانت الكعبة تكتسي من أكسيبة شتى في مختلف العصور من الجاهلية والإسلام، وبسط القول في تطبيتها وتحليلتها وتضييقها ظاهراً وباطناً وخارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر وأنواع من الطيب وتجميرها بألوان من البخور وتحليلتها بصفائح من الذهب والفضة على بابها وميزابابها وأساطينها وأركانها، وبين معاليقها من الشماسات الملكة بالدر والزبرجد والياقوت والسلامن والحلقات والأقفال والقناديل من الذهب والفضة وغيرها من أنواع الجواهر.

وما عدا ذلك، ذكر في أثناء هذا البيان بعضاً من المسائل الفقهية أيضاً،

(١) نسخة حب كنج ص ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٥١

على سهل التمثيل قال بعد يان كسوة الكعبة : يجوز بيع الكسوة وشراوها وفaca للسبكي وغيره ونص عليه الطرطوسى من الحنفية^١.

كما قال في آخر يان طيب الكعبة : لا يجوز أخذ شئ من طيبها للتبرك ولا لغيره ، ومن أخذ شيئاً لزمه رده ، فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده ومسحه بها^٢.

وهكذا قال بعد ذكر تحلية الكعبة : تحل تحلية الكعبة بالذهب والفضة خلافاً للشيخين ووفقاً للسبكي ، ونقل الخل^٣ أبو الليث السمرقندى عن أبي حنيفة ، ثم قال وعندى لا بأس به إن لم يكن من غلة المسجد .

المقصد الثاني :

والمقصد الثاني في بناء المسجد الحرام وفضله وتوسيعه وتعميره ، وقد بدأ هذا الباب بعده من الآيات القرآنية التي تدل على مدلولات مختلفة للمسجد الحرام ، ثم ذكر في فضله الحديث المشهور الذي روى عن ابن الزبير رضي الله عنها أنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي . ونقل عدة من أقوال العلماء شرحاً لهذا الحديث من نواح شئ .

ثم شرع في بيان توسيع المسجد الحرام وتعميره الذي وقع في العصور المختلفة للخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين : عمر بن الخطاب (م: ٥٢٣) وعثمان بن عفان (م: ٥٣٥) وعبد الله بن الزبير (م: ٥٧٣) وعبد الملك بن مروان (م: ٥٨٦) والوليد بن عبد الملك (م: ٥٩٦) والمهدى (م: ٥١٦٩)

(١) نسخة حبيب كجع ، ص ٤٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥

(٣) أبضاً ص ٥٦

والمعتضد (م: ٢٨٩) مرتبًا بحسب التسلسل التاريخي .
وبين فيه هيئة الجدران والأساطين والأعمدة والسفوف والشرفات والطاقات والمحاريب والأروقة وغيرها ، وذكر ما حدث في المسجد من العهارات والترميم في مختلف الزمان شيئاً كثيراً .

وعقد في آخر هذا الباب فصلاً آخر بعنوان «تسيم» ، ذكر فيه ما كان في المسجد من المنازير والقبب والمواضع التي كانت توضع فيها المصاحف والفوانيش والشمع والقناديل والزيت وغير ذلك ، ثم فصل الكلام في الأربع مقامات للآئمة الأربع وبين كيفية صلاة الآئمة وترتيبها كما كانت في الأزمنة المختلفة ، وختم هذا الباب بذكر جميع أبواب المسجد ومنافذه .

المقصد الثالث :

إن هذا المقصد يتعلّق بمكّة المكرمة والحرم وما فيها من الآثار ، ذكر فيه أولاً أسماء كثيرة لمكة وأورد آيات نظم فيها القاضي أبو البقاء بن الصيام (م: ٤٨٥) اثنين وثلاثين اسمًا لمكة المكرمة ، ثم أخذ في البحث في أفضلية مكة والمدينة إحداها على الأخرى وذكر عدة من الأحاديث والآثار والأقوال التي وردت فيها ، ونقل اختلاف العلماء في هذه المسألة ، وبعد ذلك ذكر أن هذا الخلاف في غير الموضع الذي ضم أعضاء عليه السلام ، فإنه أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة بالإجماع واستشهد بيتهن يطيب لـ أن ألقهم في هذا المقام :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد ضم أعضاء المصطفي وحوارها
ونعم لقد صدقوا بساكنها على كالنفس حين زكت زكا مأواها^١

(١) أورد المؤلف هذين البيتين بدون عزو ، ولكن القطبي عزاهما في تاريخه إلى الشكري رحمه الله تعالى ، انظر نسخة حبيب كج ، ص: ٧٣ وكتاب الأعلام بأعلام يث الله المرام لقطب الدين الحنفي ، مكة المكرمة (١٣٧٠) ص: ٤٥

الخاتمة:

وإن الخاتمة مختص بأماكن مأثورة بقرب الحرم ، فذكر فيها مسجد نمرة ، ومسجد التعميم ، ومسجد الجعرانة وغيرها وقبر ميمونة زوج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وقبر عبد الله بن عباس الذي بالطائف ثم بين سبب تسمية الطائف وبهذا قد انتهى الكتاب .

مصادر الكتاب:

يظهر من دراسة الكتاب أن المؤلف قد استفاد في تأليفه من كتب كثيرة ألفها العلماء الذين سبقوه ، بعض منها قد طبع وبعضها لم ينشر حتى الآن ولعل بعضها صار مفقودا ، والمؤلفات التي أحال عليها المؤلف كلامه في كتابه قد يبلغ عددها أكثر من سبعين ، ذكر بعضها في بضعة مواضع وقد جاء ذكر بعض منها مرة بعد مرة ، وبعد إمعان النظر في هذا الأمر وصلت إلى أن المؤلف قد أخذ عن أبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (م ٥٢٥) ثم عن أبي الطيب تقى الدين الفاسي (م : ٥٨٣٢) ثم عن العز بن جماعة (م : ٥٧٦) ثم عن جمال الدين محمد جبار الله بن ظهيرة (م : ٥٩٨٦) أكثر مما أخذ عن غيرهم ، ولا شك أن كتاب «أخبار مكة» للأزرقي هو من أمثل الكتب التي قد ألفت في هذا الموضوع ، والحق أنه كتاب لذو شأن عظيم ، وكل من يريد أن يدرس هذا الموضوع لابد له من مطالعته ، وفضلا عن ذلك ، فإنه من أقدم الكتب التي وصلت إلينا ، والذين ألقوا قبل الأزرقي في هذا الموضوع قد صارت مؤلفاتهم مفقودة ، ثم بعد الأزرقي ب نحو ست مائة سنة قد جاء العلامة تقى الدين الفاسي وصنف كثيرا من الكتب في هذا الموضوع ، بعضها ضخم مطول وبعض منها ملخص مختصر ، أشهرها «شفاء الغرام» بأخبار البلد الحرام ، الذي قد طبع حالا بمكتبة المكرمة سنة ١٩٥٦ م كما سبق ذكره ، وإن الفاسي نفسه قد أخذ كثيرا من كتاب الأزرقي وذكر مما

الأمور التي حدثت بعد وفاته .

منهج الكتاب وقيمه :

إن مؤلفنا الشيخ أحمد الأسمى لا ينقل في كتابه أقوال المؤلفين من كتبهم نacula حرفا ، بل يأخذ المعنى المفهوم من مختلف الأخبار والأقوال ويبينه بلظه . هذا ، وإنه قد حاول أيضا رفع التماض إن وجد في بعض الموضع ، وللإيضاح أذكر هنا مثلا لذلك :

قال الأزرق في باب توسيع المسجد العرام إنه في زمن عبد الملك بن مروان قد جعلوا في رؤوس الأساطين خمسين مثقالا من ذهب في رأس كل أسطوانة ، ثم قال في ذكر عمل الوليد بن عبد الملك إنه أول من نقل إليه أساطين الرخام^١ وفي شفاء الغرام للفاسى ورد بهذه المناسبة مايأفى :

«وما ذكره (السهمي) من أن ابن الزبير جعل في المسجد عددا من الرخام وأن عبد الملك حل إليه السوارى يخالف إضاه ما ذكره الأزرق من أن الوليد بن عبد الملك أول من نقل إليه أساطين الرخام ، لكن وقع للأزرق ما يفهم خلاف ذلك ، لأنه قال : حدثني جدي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن وفرة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد في زمن عبد الملك ابن مروان ، قال : فجعلوا في رؤوس الأساطين ، يقتضى وجودها حين عمل فيها ذلك ، وإذا كانت موجودة فهى ما عمله عبد الله بن الزبير ، وأى الأمرين كان ، فهو يخالف ما ذكره الأزرق من أن الوليد بن عبد الملك أول من حل إليه ذلك ، والله أعلم بالصواب»^٢ .

ويقول مؤلفنا بعد نقل القولين المذكورين عن الأزرق :

«ولا ينافيء ، وإن قاله الفاسى ، ما سبق أن عبد الملك جعل على رأس كل

(١) أخبار مكة ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ٣٠٩.

(٢) شفاء الغرام مكة المكرمة ١٩٥٦ م ، ١: ٢٢٥.

أسطوانة خمسين مثقالا من الذهب المقضى لوجود الأساطين قبله ، تكون من عمل ابن الزبير أو عبد الملك لاحتمال أنها كانت من آجر أو حجر أو خشب^١ ، ومن مزايا الكتاب التي يجذب النظر أولا اختصاره الجامع وترتيبه الجليل ، إن مؤلفات الأزرق والفالسي في هذا الموضوع ضخمة مطولة جدا ، وذكر فيها أن الأخبار والروايات بالأسانيد ونقلت رواية واحدة عدة مؤلفاً مع مختلف الأسانيد وتحت العناوين المختلفة مثلا ذكر الأزرق واقفة إساف ونائلة في خمسة مواضع من كتابه^٢ ، فلهذا يسمى القاري سريعاً من قراءة الكتاب . وعلى ذلك ، ذكر في هذه الكتب كثير من الواقع التاريخية قبل الإسلام بتفصيل زائد ، مثلاً تولية جرم وخزاعة وتصيب الأصنام في الكعبة وقصة الفيل وغير ذلك ، ومؤلفنا قد حذف الموضوعات التاريخية برمتها وذكر ملخص الرواية مرة واحدة بدون إسناد .

وبالعكس من ذلك ، فإن بعض الكتب التي ألقت في هذا الموضوع مختصر جدا ، لأنها قد أسقط منه بعض الموضوعات المهمة أو كتب من ناحية واحدة فقط ، مثلاً إن بعض الكتب قد ذكر فيه بناء الكعبة فقط ، وببعضها يشتمل على فضائل الحج والطواف خسب ، وبعض منها يختص بمناسك الحج والزيارة لا غير ، ولكن الكتاب الذي نحن بصدده جامع لكل الموضوعات المهمة ومع هذا مختصر جد الاختصار ، قد جمع فيه المؤلف الأمور الازمة وحذف الزوابع وتجنب التكرار . فهو من أحسن وأوجز ما كتب في هذا الموضوع من عدة مؤلفات أخرى ، كما أشار إلى هذه المزية المؤلف نفسه في خاتمة الكتاب : « وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا المعنى على سهل الاختصار وفيه غنية للتأمل عن عظيم الأسفار » .

(٢) نسخة حبيب كنج ، ص : ٦١

(١) انظر شناه النرام : ١١٨/١ ونسخة حبيب كنج ، ص : ٥٧

والمزية التي تزيد في قيمته كثيراً أن المؤلف لم يقتصر بجمع المواد من الكتب الأخرى في كتابه فحسب ، بل ذكر فيه ما رأى من الأمور والأحوال بعينه في حياته ، ولا شك أن هذه الناحية تزيد أهمية الكتاب إلى حد كبير . وعلى سبيل التثليل ذكر المؤلف تحت عنوان «تعليق الكعبة» ، أولاً ما أرسل الأمراء والسلطانين للكعبة من التحف والمهدايا في العصور المختلفة ، ثم نقل قول الفاسي : «قال الفاسي : وليس في الكعبة الآن يعني في زمانه شيئاً من المعاليق سوى ستة عشر قدبلاً ، ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلوغ واثنان نحاس والباقي زجاج ، وسبب ذلك توالي الأيدي» . ثم قال المؤلف : «وأقول قد أهدي لها بعد ذلك شيئاً كثيراً وهو موجود إلى الآن ، فإنه نحو عشرين قدبلاً ذهباً ونحو عشرة فضة وغير ذلك»^(١)

وهكذا أورد المؤلف في ذيل توسيع المسجد الحرام وتعميره ما كانت من توسيعاته وتعميراته في الأزمنة المختلفة بأمر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، ثم ذكر الزياداتتين اللتين حدثتا بعد الخليفة المهدي العابسي ، إحداهما زيادة دار الندوة التي عملت في زمن المعتصم العابسي والثانية زيادة باب إبراهيم التي وصلت بالمسجد الحرام بأمر الخليفة المقتدر العابسي في سنة ست أو سبع وثلاث مائة ، ثم يقول المؤلف : «وفي هذه الزيادة حاصلان مسقوفان كانا لحفظ أقاضي المسجد ، وأما الآن فأحداهما فيه زيت المسجد والآخر فيه شمعه وبخوره وبعض شمعدانات ومسارج قديمة».

وكذلك بعد ذكر كيفية مقامات الأئمة الأربع وترتيب صلاتهم في مختلف الزمان ذكر ما كان من كيفية وترتيب الصلاة في حياته ، فإنها كانت مختلفة في العصور المختلفة

وبالجملة قد وصف المؤلف في كثير من الموارد ما رأى في حياته من

(١) انظر شناه الترام : ١١٨/١ ونسخة حبيب كنج ، ص : ٥٧

الأحوال والشؤون المتعلقة بالكعبة المظمة والمسجد الحرام وغيرها وذكر ما رأى في زمانه من كيفية منائر المسجد الحرام وقبه ومحاريه وطاقاته وأبوابه وغيرها وما كان معروفاً في حياته من المساجد والمقابر وموالد كبار الصحابة وبيوتهم والأماكن المقدسة الأخرى.

ومن هذا البيان يتضح كل الوضوح أن هذا الكتاب لذو أهمية كبيرة، والمتأمل فيه ليدرك سريعاً ما لهذا الكتاب من الشأن والقدر، فالحق أنه حلقة مهمة في سلسلة تاريخ الكعبة والمسجد الحرام ومكة المكرمة وأن إخراجه ما لا بد منه، فهو أعظم شأننا من كثير مما ينشر من النصوص.

ومن العجب أن مثل هذا الكتاب قد بقى حتى الآن في ظلمة المخول وحرم من نور الطبع، والعلماء والمحققون والناشرون لم يلتقطوا إلى إخراجه، ولعل السبب لذلك أن عدد نسخ الكتاب قليل جداً، وكما قدمت أن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ناقصة لأن جزءاً منها طرفها الأعلى نحو الحبر محروق، وأما نسخة حبيب گنج، فهي ليست معروفة بين العلماء، لأنها لا يوجد ذكرها في أحد من فهارس المخطوطات فيها أعلم، والحال أن هذه النسخة هي أصح النسخ المعلومة حتى الآن وأكلها وأقدمها.

وفي الختام يسرني أن أذكر أنني مشتغل في هذه الأيام بتحقيق هذا الكتاب على أساس نسخة حبيب گنج، وكما ذكرت من قبل أنني قد حصلت على صورة عكسية لكل من النسختين، إحداها موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق والثانية محفوظة بالمكتبة التيمورية بالقاهرة، وقد تم عمل المقابلة وبقي شيء من التحريرات والتعليقات، وأرجو أنه سيتم هذا العمل قريباً، وأن الكتاب سيصل مطبوعاً إلى أيدي العلماء المحبين له عاجلاً، إن شاء الله القدير الجليل، وهو حسيبي ونعم الوكيل.

الدكتور الحافظ غلام مصطفى

علي گڑہ (المندى)

القاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا وكتابه «المجلس والأنيس»

كان نطاق جهود العلامة الأدبية والعلمية في القرون الوسطى واسعاً جداً في الأغلب، ولم يكن يوجد اتجاه الاختصاص الذي نراه في العصر الحاضر إلا في الأقل. فكان الشخص الواحد يجمع بين الأدب والشعر، والحديث والفقه، والتاريخ والتراتيم، واللغة والنحو والأنساب وأسماء الرجال في وقت واحد، وربما نرى هذه الأصناف المختلفة تراكم في كتاب واحد. وكان القاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا الجريبي النهرواني خير نموذج لهذا الطراز من العلماء، فقد جمع بين العلم والأدب، وكتابه المعنى «بال مجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي»، يحتوى على ذخيرة صالحة من العلوم والفنون.

واسم صاحبنا الكامل هو القاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى ابن حماد بن داود المعروف بابن طرار^١ الجريبي النهرواني. ولد يوم الخميس السابع من رجب سنة ٥٣٠ هـ في النهروان التي تقع بين بغداد وواسط^٢. وفي رواية أخرى أنه ولد في سنة ٣٠٣ هـ والقولان يرويان عن صاحبنا نفسه. وقد روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أحمد بن عمر بن نوح أنه سمع المعافي يقول: إني ولدت عام ٥٣٠ هـ، يقول ابن روح: إني أحفظ قوله هذا ولكنني سمعت رجلاً يقول إن المعافي أخبره بأنه ولد في سنة ٥٣٠ هـ. وقد

(١) ونیات الاعیان لابن خلکان (٢: ١٠١-١٠١) وقد ورد هنا الاسم في كتب مختلفة على صور شتى، فقد جاء مثلاً في تاج العروس محمد مرتضى الحسين الزيدى (٣: ٢٥٩) ابن طرار: وفي التحوم الراحلة لابن تفرى بردى (٤: ٢٠١) ابن طارى وابن طران، وفي ارشاد الأريب لياقوت الحموى (٧: ١٦٢) ابن طرار، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢: ٣٢) ابن طرار.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٨٣٦ (طبعة لبنان، ١٩٣٦)

روى الخطيب البغدادي نفسه عن أبي القاسم التوخي أن المعاف كان قد قال له إني ولدت يوم الخميس ٧ رجب من سنة ٥٣٠هـ^(١).

والذى وصل إلينا عن حياته الأولى قليل جداً. إنه قد تلقى الأدب^(٢) من أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الشهير بنقطويه، وأخذ الحديث^(٣) عن أبي الحسن بن شنبوذ وبحبي بن محمد بن صاعد وأبي القاسم الغوى وبكار وأبي مزاحم الغافقى وخضر بن حسين الحلوانى. وقد ذكر المعاف فى كتاب «الجليس والأنس» الذى ساق ذكره أسماء شيوخه، منهم ابن الأنبارى الكوفى، وابن دريد، والحسين الكوكبى، والصوى، وأبا زكريا. وثبت هنا أسماء الذين يروى عنهم:

أبو بكر بن أبي داود، أبو حامد الحضرمى، أبو سعيد العدوى، محاملى، سعيد بن محمد، محمد بن الأزهر، إبراهيم بن حماد، إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى، إبراهيم بن محمد الأزدى، إبراهيم بن محمد المهىبى، أحمد بن كامل، أحمد بن إبراهيم النهروانى، أحمد بن إبراهيم العقili، أحمد بن إسحاق بهلول، أحمد بن العباس العسكرى، أحمد بن عبد الله القاضى، أحمد بن عيسى البلدى، أحمد بن محمد الصلحى، أحمد بن محمد المعروف بحرى، أحمد بن محمد الكوفى، أحمد بن محمد البزار، أحمد بن محمد الكاتب، محمد بن مزيد الخزاعى، محمد بن الحسن بن زياد المقرى، محمد بن داود التيسابورى، محمد بن عبد الواحد أبو عمر، محمد بن القاسم بن زكريا المحاربى، محمد بن يوسف القاضى، أحمد ابن جعفر البرمكى، اسماعيل بن علي الخطيبى، ابن الأعرابى، أبو اسحاق الشعبي، محمد بن عفیر الانصارى، محمد بن علي الأليل، أبو جعفر الباهلى، حسن بن

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٢٢٠:١٣ (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ)

(٢) وفيات الأعوان (١٠١-١٠٠:٢)

(٣) غابة النهاية لحمد بن الجزرى ٢٠٢:٢ (مكتبة الحاتنجى، القاهرة، ١٣٥٢هـ)

على البصري ، حسن بن محمد الانصارى ، حسن بن أحمد الكوفى ، جعفر بن محمد الخواص . حسين بن أحمد الكلبى ، عبد الباقي بن قانع ، عبد الله بن سليمان السجستاني ، عبد الله بن محمد البغوى ، عبد الله محمد النيسابورى ، عبد الله بن محمد الكاتب ، عبد الله بن محمد الأزدى ، حمزة بن الحسين السمار ، طاهر بن مسلم ، أبو عمرو الشيبانى ، أبو عبد الله الكاتب ، أبو بكر بن الأزهر ، عبد الرحمن الشهودى ، عبد الغافر الحصى ، عبد الله بن محمد البزار ، عبد الله بن المنصور الحارثى ، عثمان بن أحمد الدقيقى ، علي بن الفضل البلخى ، ابن الجهم الكاتب ، علي بن محمد الواسطى ، عمر بن الحسن الشيبانى ، قاسم بن داود القراطيسى ، ليث بن محمد المروزى ، محمد بن أبي الثلوج ، محمد بن أحد الصواف ، محمد بن أحد الصيدناني ، محمد بن جعفر النهروانى ، محمد بن حمدان الطرائفى ، محمد بن الفتح القلانسى ، محمد بن مخلد العطار ، ابن أبي الجهم الشيعى ، محمد بن نوح المعروف بالجندىسابورى ، محمود بن محمد الكاتب ، مظفر بن يحيى المعروف بابن الشرابى ، يزداد بن عبد الرحمن المروزى ، يعقوب بن إبراهيم العسكرى ، يعقوب بن محمد الكريزى .

ونظرة عابرة على هذا الفهرس تربينا أنه يحتوى على أسماء العلماء الذين لهم شهرة وآخرين غير مشهورين . والجدير بالذكر من الرواة الذين رروا عن القاضى أبي الفرج هم القاضى أبو الطيب الطبرى ، وأبو القاسم الأزهري ، وأحمد بن علي الثورى ، وأحمد بن عمر بن روح ، وأبو علي محمد بن الحسين ، وأحمد بن علي التوزى^١ . ومن تلاميذه أحمد بن مسعود الجنازى ، وأبو ثعلب ، والملجم ، وأبو العلاء الواسطى^٢ وعبد الوهاب بن علي ؛ ومحمد بن عمر النهاوندى ، وأبو علي الأهوازى ، وحسن بن علي ، وأبو الفضل الخزاعى ، وأحمد بن

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٠-٢٣١

(٢) تذكرة الحفاظ للذئب ٢ : ١٠١٢-١٠١٠ (طبعة جدر آباد ، ١٩٥٧م)

الفتح الفرضى ، وعثمان بن قيس الدلال ، وأحمد بن يزدة ، وعبد الملك ابن عبد ربه^١ .

وكان القاضى أبو الفرج متبعاً ومؤيداً لمذهب أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وكان ينسب إلى ابن جرير صاحب المذهب ، فيقال له «الجريرى» نظراً إلى اهتمامه وعمق نظره في فقه ابن جرير الطبرى^٢ . والجدير بالذكر هنا أن ابن النديم - الذى كان معاصرأ للماعف - قد ذكره ضمن مذهب الطبرى وأتباعه^٣ وبجانب ذلك كان نابغاً في التحو ، واللغة ، والأخبار ، والشعر ، وكان شاعراً^٤ ومصنفاً ومحدثاً ومفسراً^٥ . وقد اعترف له أكثر أهل العلم والفضل بالعلم والنبوغ . فقد روى الخطيب البغدادى عن الفقيه الشافعى محمد الباف^٦ أنه كان يقول: «إذا جاء القاضى أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها» . وإنه قد ذكر أيضاً قول الباف هذا: «لو أن رجلاً أوصى بثلث ماله لاعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعاف^٧ » . هذه الرواية قد ذكرها ياقوت أيضاً وزاد أنه كان أعلم الناس بالفقه وال نحو واللغة والأخبار والأشعار^٨ ومكنا ذكر الخطيب البغدادى نقلأ عن البرقانى^٩ . وذكر ابن تغري بردى ، فقال إنه كان

(١) غایة النهاية ٢ : ٣٢

(٢) إرشاد الأريب لياقوت الحموي ٧ : ١٦٤-١٦٢ (مطبعة هندية ، القاهرة ، ١٩٢٥)

(٣) النهرس لابن النديم ١ : ٣٤٢-٣٤٣ (مطبعة الاستقامة ، القاهرة)

(٤) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٢٠-٢٢١)

(٥) ونيات الأعيان (٢ : ١٠١-١٠٠)

(٦) وقد ورد هذا الاسم في كتب مختلفة على صور شتة ، ففي تاريخ بغداد ، وذكرة الحفاظ ، وابناء الرواة : الباف ؛ وفي إرشاد الأريب : البافر ؛ وفي ونيات الأعيان : الباجي ؛ وفي البداية والنهاية : الباقلاني ؛ وفي غایة النهاية : عبد الباق.

(٧) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٢٠-٢٢١)

(٨) إرشاد الأريب (٧ : ٦٢-٦٤)

(٩) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٢٠-٢٢١)

إماماً في اللغة وال نحو وفنون الأدب الأخرى^١. وقال ابن كثير إنه كان كثير التمكّن في أصناف العلوم^٢. هكذا قال فيه هلال بن محن الصابي^٣. وقد شهد له ابن النديم بالذكاء وقوّة الذاكرة^٤. وقد اعترف له أكثر أهل العلم بكونه ثقة. فقد روى الخطيب البغدادي عن العتيقى أنه كان ثقة^٥. وأيد ذلك ياقوت^٦ والسيوطى^٧ أيضاً. نعم قد ذكر الإمام الذهبي أنه شك في كون المعاف ثقة^٨. وقال الخطيب البغدادي: سألت البرقانى عن المعاف، فقال: كان أعلم الناس، قلت: وكيف حاله في الحديث؟ قال: لا أعرف حاله. وقد ذكر قول البرقانى في المعاف بأنه كثير الرواية للأحاديث التي يميل إليها الشيعة. قال الخطيب: سألت البرقانى عنه مرة أخرى فقال ثقة، ولم أسع منه شيئاً وذكر ابن خلakan عن أبي محمد البايجى أنه كان يقول: وكان ثقة مأموناً في روايته، وقال أيضاً إن الشيخ أبو إسحاق الشيرازى قد ذكره في طبقات الفقهاء وأتى عليه^٩. وقد ذكر الخطيب البغدادي أن ابن الروح قال: إن روایات المعاف أقرب إلى الصحة. وقد روى الإمام الذهبي عن المعاف الحديث الآتى:

- (١) التجوم الراهنـة (٤: ٢٠٢-٢٠١)، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢)
- (٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٨: ١١ (مطبعة السعادة، القاهرة)
- (٣) تاريخ الصابي، ترجمة آمد روز ٦: ٤٠١ (طبعة لندن، ١٩٢١)
- (٤) الفهرس لابن النديم (١: ٣٤٢-٣٤٣)
- (٥) تاريخ بغداد ١٣: ٢٣١-٢٣٢
- (٦) إرشاد الأريب (٧: ١٦٤-١٦٢)
- (٧) بنية الوعاء للسيوطى: ٣٩٥-٣٩٤ (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٦)
- (٨) تذكرة الحناظ للذهبي ٣: ١٠١-١٠٢
- (٩) تاريخ بغداد ١٣: ٢٢١-٢٢٠
- (١٠) ونيات الأعيان ١: ١٠١-١٠٠، وايـن لم يوجد ذكر المعاف في طبقات الفقهاء للشيرازى (طبعة بغداد، ١٩٥٦)

قرأت على عمر بن عبد المنعم عن زيد بن الحسن أنا محمد بن عبد الباقي أنا محمد بن أحمد بن محمد النرسى أنا القاضى أبو الفرج المعافى بن ذكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن طرارنا أبو القاسم البغوى نا وهب بن بقية أنا خالد الشيبانى عن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن في الجمعة لساعة لا يسأل الله فيها عبد مؤمن شيئاً إلا استجاب له^١.

وقد جامت في القاضى المعافى روایات تدل على سعة علمه وعظم مرتبته عند العلام. فقد قال ابن خakan: وذكر أحمد بن عمرو بن روح: أن أبا الفرج المذكور حضر في دار بعض الرؤساء ، وكان هناك جماعة من أهل الأدب ، فقالوا له: في أي نوع من العلوم تذاكر؟ فقال أبو الفرج لذلك الرئيس: خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب ، فإن رأيت أن تبعث علاماً إليها تأمره أن يفتح بابها ويضرب يده إلى أي كتاب منها فيحمله ، ثم يفتحه وينظر في أي اللوم هو ، فتذاكره وتجارى فيه. قال ابن روح: وهذا يدل على أن أبا الفرج كان له أنسية بسائر العلوم^٢ وقد ذكر ياقوت في رواية أخرى عن أبي حيان التوحيدى أنه قال:رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدركاً بالشمس في يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضر أمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله المشهور ومعرفته بصنوف العلوم سيما علم الآثار والأخبار وسير العرب وأيامها^٣. وقد ذكر السيوطي أيضاً هذه الرواية في بغية الوعاة وزاد عليها «أن أبي حيان قال له: مهلاً أيها الشيخ وصبراً، فانك بعين الله ومرأى منه وسمع، وما جمع الله

(١) تذكرة الحفاظ (١٠١٢-١٠١٠:٢)

(٢) وفيات الأئمة (٢:١٠١-١٠٠)

(٣) إرشاد الأرب (٧:١٦٤-١٦٢)

لأحد شرف العلم وعز المال . فقال : ما لا بد منه من الدنيا فليس منه بد^١ . وهذه الرواية تكشف عن رأى العلامة في المعافى وعلمه ، وفي نفس الوقت تقيينا أنه كان قليل المال سيه الحال .

وقد ذكر الإمام الذهبي في المعافى رواية متعة عن أبي عيد الله أنه قال : قرأت بخط المعافى بن زكريا قال : حججت وكنت بمني ، فسمعت منادياً ينادي : يا أبا الفرج ! قلت لعله يريدني ، ثم أنه نادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا ! فهمست أن أجيبه ، ثم أنه نادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ! فبادرت وقلت : ليك ها أناذا . قال : لعاك من النهروان الشرق ؟ قلت : نعم . قال : نحن نريد نهروان الغرب . فعجبت من هذا الاتفاق^٢ ، وهذه الرواية قد ذكرها ابن خلكان أيضاً ، وزاد في آخرها : فعجبت من اتفاق الأسم والكنية واسم الأب وما انتسب إليه ، وعلمت أن بالمغرب موضعاً يسمى النهروان غير النهروان الذي بالعراق .

وللعلف أشعار ذكرها معظم مترجميه ، منهم ياقوت ، والخطيب البغدادي ، وابن خلكان ، والسيوطى ، وابن سراج ، وابن كثير ، وابن القسطى . وفي كتابه «الجلس والأنيس» أيضاً نجد عدداً من أشعاره . ونذكر هنا من شعره ما وقنا عليه في الجزء الذي أمامنا من هذا الكتاب^٣ .

- ١ - علام أعم في الشبه وأمرى غير مشتبه
- ٢ - أرى الأيام معتبراً على ما بي من الوله
- ٣ - بلحظ غير ذي سنة وحظ غير متتبه

(١) بنيّة الوعاء : ٣٩٤-٣٩٥

(٢) تذكرة المحفظ ٣ : ١٠١٠-١٠١٢

(٣) كتاب مجلس والأنيس (خطوطة حبيب كنج) ، ومن هذه الأشعار ما يوجد في كتب أخرى مثل إرشاد الأريب وونيات الأعيان ، ولكن معظمها لم تذكر في كتاب آخر .

٤- أروح وأغصدى غبنا أكثر من أفل بيه

- ٥- أقبس الضباء من الضباب وأنفس الشراب من الشراب^١
- ٦- أريد من الزمان النذل بذلا وأريا من جنى سلع وصاب
- ٧- أرجى أن ألاقي لاشتياق سراة الناس في زمن الكلاب
- ٨- سقم أرى أحسن عين يطرف وتنقى به وللقلوب تضعف
- ٩- كالسم في الأفني يق ويختف تجيا به وللنفوس تلف
- ١٠- دواه من أقصدهه بسقمه تكراره نحو مراتي سهمته
- ١١- كالأفعوان يشتفي من سمه بشرب درياق كربة لحنه

- ١٢- وشفافي بضم مقمة ظبي قد قلبى منه بأحسن قد
- ١٣- سقمها لي شفاء دائى إذا جامت وداء إذا تصرت بصد

- ١٤- مالك العالمين ضامن رزق فلماذا أملك الخلق رق؟
- ١٥- قد قضى لي بما علىٰ ومالي خالق جل ذكره قبل خلق
- ١٦- صاحب البذل والندى في ساري ورفيق في عرقى حسن رفقى
- ١٧- وكما لا يجد رزق في هجرى فكذا لا يجر رزق في حذق

والأيات التالية لا توجد في الجزء الموجود لدينا من كتاب «المجلس والأئم»، ولكنها ذكرت في كتب أخرى نشير إليها بالخامش:

- ١٨- الأقل من كان لي حامداً أندري على من أأسات الأدب
- ١٩- أأسات على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب

(١) توجد هذه الآيات الثلاثة في وفيات الأعيان ١٠٠:٢ أيضًا.

(٢) تراجع هذه المقطعة في إرشاد الارب ١٦٤:٧ ، وفي وفيات الأعيان ١٠٠:٢

(٣) إرشاد الارب ١٦٤:٧ ، تاريخ بنداد ١٣: ٢٢٠ ، وفيات الأعيان ٢: ١٠٠

٢٠ - فجازاك بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب^١

٢١ - يا مخنة الله كفى إن لم تكفي خني

٢٢ - قد آن أن ترجمنا من طول هذا التشغى

٢٣ - طبت جداً النفس قليل لي قد توفى

٢٤ - فلا علومي تجدى ولا صناعة كفى

٢٥ - ثور يسال الثريا وعالم مختنى^٢

وقد ولـى أبو الفرج القضاـء ياب الطـاق (فـي شـرق بـنـدـاد) نـيـابة عـنـ القـاضـى اـبـنـ صـيرـاـ. وـتـوفـى يـوـمـ الـاثـنـيـ لـانـتـىـ عـشـرـةـ لـيـلـةـ خـلـتـ مـنـ ذـىـ الـحـجـةـ سـنـةـ ٣٩٠ـ هـ (الـموـافـقـ سـنـةـ ١٠٠٠ـ مـ)، وـكـانـ ذـالـكـ فـيـ عـهـدـ خـلـافـةـ الـقـادـرـ بـالـلـهـ^٣، وـقـدـ أـجـعـ عـلـىـ ذـالـكـ جـمـيعـ مـتـرـجـيـهـ. وـقـدـ زـادـ دـلـالـ بـنـ مـحـسـنـ الصـابـىـ أـنـ ذـالـكـ كـانـ يـوـمـ الثـامـنـ عـشـرـ مـنـ نـوـفـيـرـ^٤.

وـكـانـ القـاضـىـ المـعـافـ كـثـيرـ التـصـاـفـ وـلـكـ لـاـيـذـكـرـ لـهـ فـيـ الـأـغـلـبـ غـيـرـ الـكـتـائـينـ: أـحـدـهـاـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ وـيـقـعـ فـيـ سـتـةـ مـجـلـدـاتـ، وـالـثـانـىـ كـتـابـ «ـالـجـلـيلـ» الـصـالـحـ الـكـافـىـ وـالـأـنـسـ النـاصـحـ الشـافـىـ، وـيـحـتـوىـ عـلـىـ مـاـتـهـ بـمـجـلسـ. وـفـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـأـخـيـرـ أـشـارـ الـمـعـافـ إـلـىـ مـوـلـفـ آـخـرـ لـهـ وـهـوـ «ـشـرـحـ مـخـتـصـ أـبـيـ عـمـرـ الـجـرـىـ فـيـ النـحـوـ»، وـكـذـلـكـ أـشـارـ إـلـىـ رـسـالـتـيـنـ لـهـ، إـحـدـاهـماـ فـيـ الـلـغـةـ وـالـثـانـيـةـ

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٢٣٠، ابنه الرواية للفقط ٣: ٢٩٦ (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٤)، البداية وال نهاية ١١: ٣٢٨. وفيات الأعيان ٢: ١٠٠ (١٠٠: ٢٢٨).

(٢) بقية الوعاء: ٥٩٥.

(٣) إرشاد الأريب ٧: ١٦٣، وقد ورد هنا الاسم مكتـناـ فـيـ بـعـضـ الـكـتبـ مـثـلـ وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ ٢: ١٠٠، وـابـنـهـ روـاـةـ ٣: ٢٩٦، وـلـكـ الـطـبـيـبـ الـبـنـادـيـ أـبـتـ فـيـ تـارـيخـ بـنـدـادـ ١٣: ٤٢٠ـ ابنـ صـبـرـ.

(٤) نـزـهـةـ الـإـلـاـهـ لـابـنـ الـأـنـبـارـيـ: ٤٠٥ (طـبـعـ مـصـرـ، ١٩٥٤).

(٥) تاريخ الصابى، ترجمة آمنة روز ٦: ٤٠١.

في إثبات فضل العقل، ولكن لم يذكر أسماءها. ونسخة كتاب «الجليس والأنبياء» التي توجد في ذخيرة حبيب الرحمن خان الشرواني في مكتبة مولانا آزاد بالجامعة الإسلامية بعلى كرذه (والتي يأتى ذكرها مفصلاً فيما بعد) تجد على الصفحة الأولى منها إشارة بخط الرجل الذي كانت عنده هذه النسخة إلى مؤلف آخر للعافى باسم «تذكرة العاقل وتنبيه الغافل»^١. وقد ذكر ابن التديم في كتاب الفهرست أسماء مؤلفاته الآتية:

- ١ - كتاب التحرير والمنفرد. } كلامها في أصول الفقه.
- ٢ - كتاب الحدود والعقود. } كلامها في الفقه.
- ٣ - كتاب المرشد.
- ٤ - كتاب شرح كتاب المرشد. } كلامها في الفقه.
- ٥ - كتاب المحاضر والسجلات.
- ٦ - كتاب شرح كتاب الخفيف لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى.
- ٧ - كتاب الشافى فى مسح الرجلين.
- ٨ - كتاب الشروط.
- ٩ - كتاب أوجوبة الجامع الكبير لمحمد بن الحسن [الشيبانى].
- ١٠ - كتاب الرد على الكربنخى فى مسائل.
- ١١ - كتاب الرد على أبي يحيى البخنخى فى اقراض الاماء.
- ١٢ - كتاب الرد على داود بن على.

(١) وقد أفاد فضيلة الدكتور محار الدين أحد أن كتاباً يحمل هذا الاسم لم يرد ذكره عند أي مترجم للعافق، بل هناك كتاب لأبي الحجاج جمال الدين يوسف بن محمد بن إبراهيم الانصارى الياسى الاندلسي (المتوفى سنة ٩٥٢) يحمل اسم «تذكرة العاقل وتنبيه الغافل»، ذكره ابن خلكان في موضع (٦: ٧) باسم «تذكرة العاقل»، وفى موضعين (٦: ١١٦ و ١٢٧) باسم «تذكرة العاقل»، وقد استفاد منه فى مراجعه هدية ونقل عبارات طرية.

- ١٣—كتاب رسالته إلى العبرى القاضى فى مسئلة الوصايا .
- ١٤—كتاب فى تأويل القرآن .
- ١٥—كتاب الرسالة فى واو عمرو .
- ١٦—كتاب القراءات .
- ١٧—كتاب المحاوره فى العربية .
- ١٨—كتاب شرح كتاب الخرى^١ .
- ١٩—كتاب رسالة عمر .

هذا ، وقد ذكر ابن التديم أيضاً أن المعاف نفسه أخبره بأن له بيفا وخمسين رسالة في الفقه والكلام والنحو وغير ذلك^٢ . ولا يوجد فهرس شامل من هذا لتصانيف المعاف أى موضع آخر .

وقد صرخ معظم مترجميه بأن اسم تفسيره للقرآن هو : «البيان الموجز من علوم القرآن المعجز»^٣ . ولكن المعاف نفسه قد ذكره في موضع من كتاب «الجليس والأنيس» باسم «البيان الموجز في علوم القرآن المعجز» وفي آخر باسم «البيان الموجز عن علم القرآن» . قال الإمام الذهبي : «فيه مختارات وفوائد النفسية»^٤ . ولكن لم يمثُر إلى الآن على نسخة من هذا الكتاب .

وموضوع كل مجلد من كتاب «الجليس والأنيس» قصة أو حديث نبوى تخلله مباحث اللغة والفقه؛ ونذكر الأشعار والأمثال والأحاديث

(١) كنا في طبعة فلوكل ، وفي نسخة شهدت على بانيا المحفوظة في جامع سليمانيه باسطنبول : المجرى والصحيف الجرى كما توجد في نسخة تونك (المند) وهو شرح كتاب مختصر أبي عمر الجرى في النحو الذي سبق ذكره .

(٢) للنهرست ١ : ٣٤٣-٣٤٣

(٣) الأعلام للزركلى (١٦٩ : ٨) الطبعة الثانية، (القاهرة، ١٩٧٨)

(٤) تذكرة الحفاظ (١٠١٢ : ٣)

وآيات القرآن الكريم. ومعظم الأشعار للشاعر الخامelin الذكر ولا توجد في الكتب المداولة. وقد وقع الخطأ في نسبة بعض الأشعار، فهذا الن DAN اليتان معروفة في جرير:

إن العيون التي في طرفها مرض
قتلنا ثم لم يحيى قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حرراك به
وهي أضعف خلق الله أركانا

وقد نسبها صاحبنا إلى بشار بن برد، مع أنها موجودان في ديوان جرير، وكذلك قد نسبا إليه في الأغاني، ونهاية الأربع، والعقد الفريد، والحماسة البصرية: ثم إنه قد ذكر آياتاً للشعراء المعروفين لا نجد لها في دواوينهم فقد نسب الآيات الآتية إلى الشعراء المذكورين أمامها:

- ١ - فن خدم الأقراص يرجو نوافعه فاني لم أخدمك إلا لخدم (أبو تمام)
- ٢ - ولست بزائر يتأتى بعيداً بمكة أبتغي فيه صلاح (الأنطاك)
- ٣ - يأيها الرجل المرخي عامته هذا زمانك فاستأذن لنا غمراً (جرير)
- ٤ - وسع الخلائق عده ورفاهه حتى اروعى وأقام ميل المائل (جرير)

ورواية الآيات العديدة التي أثبتت في هذا الكتاب تختلف عن رواية الكتب الأخرى، ويمكن أن يرجع هذا إلى سهو المؤلف، أو إلى أن المراجع التي استفاد منها قد ذكرت هكذا. وكذلك قد تغيرت وتبدل ألفاظ الحديث في بعض الأراضع. وقد ذكر المؤلف في الكتاب حكايات طريفة. وأسلوبه يمتاز بالطراقة والجدة. قال ابن الدبيس: «ومن أحسن كتبه ما خلا المصنف تذكرة كتاب «الجليس والآئيس»، يذكر فيه فضائل جة وأخباراً مستحسنة وغير ذلك من الفوائد».

وقد أمل المؤلف هذا الكتاب على تلبيذه أبي علي محمد بن الحسين المعروف بالجازري، وأوضح نفسه الباعث على تأليف الكتاب وغايته

(١) التهرست: ٣٤٣ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة)

ونهجه وخصائصه.

وتوجد مخطوطات الكتاب «الجليل والأنيس» في برلين، وباريس، وكبردج، وجوثا، وليدن، ودمشق، وتركيا، لكنها نادرة، لا توجد فيها المجلس المأة كلها. وأكمل نسخة توجد في مكتبة أحد ثالث، طوب قبول آنى، باستبول فقط، وتوجد في هذه النسخة المجالس المأة كلها.

وتوجد في نسخة كبردج ٣١٠ ورقات، وفي كل صفحة تسع وعشرون سطراً بخط النسخ الواضح، وعنوان كل مجلس مكتوب بالخبر الآخر. وقد تم نسخها في يوم السبت ٢٣ حرم سنة ١١١٤هـ، واسم ناسخها يوسف بن عبد الله الرفاعي^١.

ونسخة برلين تنقسم في أربعة أقسام، وتحتوى على ٣٥٠ ورقة، في كل صفحة تسع عشر سطراً. ولم يعلم عدد مجالس الأقسام الثلاثة الأولى، ولكن الجزء الرابع (الذى يحتوى على الورقات من ٢٤٩ إلى ٣٥٠) يبتدئ من السطور الأخيرة للجلس الخامس والسبعين، ويوجد فيه من المجلس السادس والسبعين إلى المأة، على أنه وضع على المجلس الخامس والسبعين رقم ٢٥، وذلك خطأ. وكتبت هذه النسخة على ورقة غليظة متينة بخط جيد. وكاتب هذه النسخة هو نصار بن محمد الحويزawi. وهذه النسخة منقوله من نسخة كتبت في سنة ٦٥٢هـ (المواافق سنة ١٢٥٤م)^٢.

وتوجد في باريس ثلاثة نسخ، في الأولى منها من المجلس الأول إلى الخامس، ومن المجلس الثاني عشر إلى الرابع عشر، ومن الرابع والعشرين إلى التاسع والعشرين، ولكن لا توجد فيها الأوراق الأولية للجلس الأول. وقد كتب دى سلان الذى قام بوضع فهارس المخطوطات العربية لمكتبة

(١) برلين: نهرس المخطوطات الإسلامية، جامعة كبردج: ٥٧ (طبعة سنة ١٩٠٠م)

(٢) أهلورد: نهرس المخطوطات العربية، مكتبة برلين ١٩: ٣١٤ (طبعة سنة ١٨٩٥م)

باريس الوطنية أنه كذلك لا يوجد الجزء الأول للجلس الخامس، ولكن هذا القول غير صحيح، والحقيقة أن الجزء الأخير للجلس المذكور قد ضم خطأ إلى موضع آخر. وتحتوي هذه النسخة على مائة وإحدى ورقة، وفي كل صفحة أحد وعشرون سطراً. وقد كتبت في القرن الثالث عشر الميلادي. ويوجد في النسخة الثانية من المجلس الثالث وستين إلى السابع وتسعين، ولكن المجلس السابع وتسعين هذا ناقص، لا يوجد فيه الجزء الأخير، وبين المجلس الثاني وسبعين والخامس وسبعين، وكذلك بين الثالث وثمانين والسادس وثمانين خرم. وقد زيد في آخر هذه النسخة سبع عشرة ورقة من خط كاتب آخر، يوجد في هذه الأوراق آخر المجلس السابع وتسعين، المجلس الثامن وتسعين، وأول المجلس التاسع وتسعين، وتصل أوراق هذه النسخة إلى مائتين واثنتي وستين ورقة، وفي كل صفحة سبعة عشر سطراً، وكتبت في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر الميلادي. ويوجد في النسخة الثالثة خمسون مجلساً، من الواحد وخمسين إلى مائة. وتشتمل هذه النسخة على ثلاثة وثمانين ورقة، وفي كل صفحة تسعة عشر سطراً، وقد كتبت في القرن السادس عشر الميلادي^١.

وتوجد في الهند أيضاً نسختان ناقستان لكتاب «الجليس والآئين»، نسخة في ذخيرة حبيب الرحمن خان الشرواني في مكتبة مولانا آزاد بالجامعة الإسلامية بعلى كرده، وهي تحتوى على اثنين وعشرين مجلساً، لا يوجد فيها المجلس الحادى عشر، والثانى والعشرين، والخامس والعشرين، وقد وقع خلل في ترتيب المجالس الثلاثة الأخيرة، فقد وضع بعد المجلس العشرين المجلس الرابع والعشرين، ثم الحادى والعشرين، ثم الثالث والعشرين. وخط هذه النسخة واضح على كثرة ما فيها من الأخطاء الخطية وخاصة في وضع النقط،

(١) دى سلان: نهرس المخطوطات العربية، المكتبة الوطنية، باريس: ٦٠٦-٦٠٥ (طبعة سنة ١٨٨٣م)

وكذلك أنسان العروف غير واضحة في بعض الموضع. وتوجد في هذه النسخة مائة وثمانون وثمانون صفحة ، وفي كل صفحة ثلاثة وعشرون سطراً، وقد كتبت في سنة ٩٦٢هـ . وقد اطلع على هذه النسخة الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني ، فوضع عليه فوائد بخطه ، وصحح أغلاط الكاتب في موضع ، وكذلك دل على بعض الشعراء ، ثم كتب على الصفحة الأولى منها العبارة الآتية : «طالع فيه وصحح بعضه وكتب عليه أشياء . داعياً مالكه عبد العزيز الميمني ، ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣هـ ، ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٤م» .

وقد شطب العلامة الميمني فوق المجلس الحادى العشرين وكتب مكانه «المجلس الخامس والعشرين» ولكن يوجد في نسخة باريس التي سبق ذكرها المجلس الخامس والعشرين وأنه مختلف عن هذا المجلس.

أما النسخة الثانية في الهند فقد دل عليها الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد رئيس قسم اللغة العربية بجامعة على گڑھ ، وأنها توجد في مكتبة خدا بخش في بانكى پور ، بنته ، ولكنها لم تذكر في الفهارس المطبوعة للكتابة ، وتوجد فيها عدة مجالس فقط ، خطهاجيد ، وهذه النسخة صحيحة إلى حد ما . وبجانب ذلك قد عثر أيضاً الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد على أجزاء من كتاب «الجليس والأنيس» في سويندون .

ونحن قد قمنا بتصحيح وتهذيب المجالس الخمس والعشرين سوى المجلس الحادى عشر ، والثانى والعشرين ، والخامس والعشرين ، فإنها غير موجودة في مخطوطه حبيب گنج . وقد كانت لدينا نسخة باريس الأولى من النسخ التي سبق ذكرها ، فقمنا بالمقارنة بينها وبين نسخة حبيب گنج ، ومن الملاحظ أن نسخة حبيب گنج أصح من نسخة باريس ، ولكننا لم نعتمد في التصحيح على إحدى النسختين بالتفصيص ، بل أثبتنا أصح الروايتين عندنا ، وحينما تساوت الروايتان في الصيف فرأينا تحديد الألفاظ الصحيحة من قبلنا . والمجالس التي

اشتركت في النسختين هي أحد عشر مجلساً.

أما المجالس التي تحتوى عليها مخطوطة مكتبة خدا بخش (بانكي پور) فيشتغل بتحقيقها والتعليق عليها الآن فضيلة الأستاذ الدكتور مختار الدين أحد، وعمله فيها على وشك النهاية.

هذا، وكان قد بلغنا في سنة ١٩٥٤ م أن الأستاذ أحمد صقر في مصر والبروفسور ديريش في ماربورج يقومان بتصحيح وترتيب هذا الكتاب، فكنا منتظرين عسى أن ينشر الأستاذان أو أحدهما الكتاب بعد الاتهاء من عمل الترتيب والتحقيق. ولكن مضت مدة نحو عشرين سنة — وهي طويلة — ولم نعرف شيئاً عن الكتاب وعما إذا كان ينشر أم لا؟ وبناء على أهمية هذا الكتاب في الأدب العربي يلزم قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة على گزه الإسلامية على أن ينشر هذا الكتاب ويتيح للقراء فرصة الاستفادة من هذا الأثر الأدبي الرائع وينصي إلى المكتبة العربية هذه الثروة الأدبية.

رياض الرحمن الشروانى

على گزه - الهند



معن بن أوس المزني

اسم وناته:

هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسد بن أسمع بن ربيعة بن عدى ابن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عداء بن عثمان بن مزيينة بن أده^١. ينسب معن إلى قبيلة مزيينة التي انحدرت من مصر^٢. إذن كانت قبيلته عريقة في البلاغة والفصاحة كما كانت تتمتع بالجاه والمال.

كانت مساكن مزيينة تقع في منطقة بين المدينة ووادي القرى^٣، وهي من أخصب المناطق في الحجاز. وكانت معروفة بقراها الخصبة الغناه تكثر فيها النخيل ومزارع الغب. ومن قراها المعروفة «فيحة»، العنق، والروحاء وهذه القرى كلها معروفة بسهولها الخضراء ومزارعها الخصبة.

نشأ شاعرنا معن بين هذه القرى الخصبة كما نشأ في هذه القبيلة التي ورثت البلاغة والبيان، كما ورثت المجد والكرم عن الآباء والأجداد، وكثيراً ما يفتخر معن بقبيلته وأصالة أرومته، يقول:

إذا ما بحر خندف جاش يوماً
ينقطع موجه المعرضينا
فهما كان من خبر فaina
ورثناه أوائل أولينا
وابانا مورثون كا ورثنا
عن الآباء إن متا بنينا
 فهو ورث المجد عن الآباء والأجداد وحق له أن يفتخر بالآباء والأجداد،
ومن أحسن من مصر في الشرف والجاه؟

(١) الأغاني ١٢: ٥٨، تاريخ دمشق لابن حماكر ١٧: ٤٣، جمهورة أنساب الرب ١: ١٩٣-١٩١، معاهد التصمين ٤: ١٧٩، الامامة ١٧٩ (ط. الشرقية). مالك الابصار ٩: ٧٢ (خطاط)، معجم الشعراء للزمياني ٢٩٩

(٢) اللان مادة (مزن)

(٣) ابن خلدون ٢: ٣٨

خلقت هذه القبيلة في الشاعر عزة النفس والبعد من الرذائل والفحش والهجر ، و كثيرا ما كان ينصح الناس أن يكونوا بعيدين عن سفاسف الأمور ويدرك الناس وينصحهم أن يقدروا أقوالهم وألفاظهم قبل أن ينطقوها ، ويقول إنه ليس كعامة الناس الذين يتكلمون عن عمي وجهل دون فهم وعلم ، بل هو من مزينة التي ورثت الفهم والعقل والقول الفصل : عزة النفس والشموخ في الطبع والوفاء والكرم :

إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تكن
 مزينة قوى إن سألت فابهض
 ولو سرت حتى مطلع الشمس لم تجد
 أسف وأوفى بالصبح فوارسا
 تقول فيرضى قولنا ونعيشه
 ونحن أناس نحسن القول والفعل
 ونحي نفينا عن همة بالقنا
 وبالجحود يمعلن الرفاق بنا معلا
 فهو يفتخر بقياته التي تتمتع بسداد الرأي وسداد القول وتتمتع بالغة
 والزنة وتعلل ما تقول لأنها تؤمن بالعمل لا بالقول فقط .

ونرى شاعراً آخر يعاصر معن بن أوس ومن نفس القبيلة وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى يشيد أيضاً بذكر القبيلة التي عرفت بقوة لسانها وحدة سنانها كما عرفت بالعزّة القسماء والشرف التليد.

يقول كعب بن زهير ويفتخر بأنه من مزينة ويرد على مزرد بن ضرار
أنني الشماخ بن ضرار:

أعيرتني عزرا عزيزاً وعشراً
هم الأصل مني حيث كنت وإنتي
هم ضربوك حين جرتم عن الهدى
كراماً بنوا لي المجد في بازخ أشم
من المزينين المصفين بالكرم
بأساففهم حتى استقتم على القيم

كما نراه أيضاً في موضع آخر يقول يوم فتح مكة وغزوة حنين:
 نَنِي أَهْلُ الْعَجْلَقِ يَوْمَ وَجَ مَزِينَةً جَهَرَةً وَبَنُو خَفَافَ
 صَبَحَاهُمْ بِالْأَلْفِ مِنْ سَلِيمٍ وَأَلْفُ مِنْ بَنِي عَمَانَ وَافَ
 هَكُنَا نَرَى هَذِينَ الشَّاعِرِينَ الْمَرْزِينَ يَذْكُرُانَ قَوْمَهُمَا وَقِيلَنَهُمَا ذَاتَ الْمَاضِ
 الْمَجِيدُ وَالْحَاضِرُ الْمَشْهُودُ.

نشأ عن بن أوس في هذه البيئة التي تتمتع بفصاحة اللسان وقوه البيان، فشب الفتى المزني قوى اللسان، متين الأسلوب، معزاً بنفسه وفخوراً بقومه وقبيلته، فأصحت هذه الخصائص في نفسه وكانت تراقه في حله وترحاله.

لذلك نراه دائماً يتبع من كل منكر وفحش وينفر من الحقاره والذلة، ويندد بسوء الخلق وقدارة النفس. فكان السماحة جبله والخلق الكريم دينه والقول السديد منطقه والعمل الإنساني طبيعته وعاداته، يقول:

تضمنت الأحساب ثم كفيتها وهل توكل الأحساب إلا إلى مثل
 وبيان أعدائي شذاقي ولم أكن لارام ذلا ما هوت قدمى نعلنى
 وإنى أخوكم عند كل ملمة إذا مت لم يلقو أخا لهم مثلنى
 تجود لهم كفى بما ملكت يدي وقت بلا فحش عليهم ولا بخل
 إذا ورث شاعرنا الحب الرفيع والشرف التليد وكان لكل ذلك كفوا.

ولم يضيع منه شيئاً بل زاده ورفمه وتحلى بما هو مفخرة لكل عربي في الجاهلية والإسلام، الشرف والكرم.

فكان الفتى المزني شريفاً في الجاهلية والإسلام وهو يقسم أنه ابتعد دائماً عن كل رذيلة وفحش ولم يتقرب إلى أى منكر ومعصية.

يقول^١ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في حلية الأولياء: إن

(١) حلية الأولياء، وطبقات الأصناف، للحافظ أبي نعيم ١٧٨:٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧:٢٤
 كتاب الصناعتين ١:٤٠

عروة بن الزبير لما قطمت رجله بعد الحادثة التي أصابته كان يتمثل بأيات
معن بن أوس المزني :

لعمرك ما أهويت كفي لزيمة ولا حلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصرى لها ولا دلتني رأسى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى
وهكذا نجد ملاعع الرشد والإنسانية عند شاعر في الصغر والشباب في
الكهولة والشيخوخة في الجاهلية والإسلام .

هو مشق على الأقرباء، وسمح في حق الأصدقاء، لا يؤخذهم على أقوالهم
وأفعالهم ، بل يتظر ويترقب أيام الخير ، ولا يتقم منهم مهما آذوه وآلوه بل
يراعي حق الصدقة في كل الظروف ، إنه يساعدهم في الملايات ، وينصرهم على
الأحداث ، ويدفع عنهم المصيبة ، ويدرأ عنهم حملات الزمان . من طبيعته أن
ينسى الأبحن القديمة والسخائن الماضية . ففي قصيدة له يذكر حال الناس معه
وحاله معهم كما يذكر معاملة الناس له ومعاملته هو للناس ، إنه يريد لهم الخير ،
وهم يريدون له الشر ، ويتمنى لهم العيش الرغد والحياة السعيدة ، ويتمنون له الفقر
والخاصة والشقاء ، فيقول عن صديق له قد نسي كل معروف أساءه إليه :

يود لو أني معدم ذو خصاصة وأكره جهدي أن يخالطه الدم
ويعد غسماً في الحوادث تكتي وما أنت له فيها سناً ولا غنم
أكون له إن ينكب الدهر مدرها أكالب عنه الخصم إن عضه الخصم
وأنجم عنه كل أبلج طامع إلا شديد الشغب غايته الغشم
يشركه في ماله بعدوه على الوجد والإعدام قسم هو القسم
بكف مفدي يكسب الحمد والندى ويعلم أن البخل يعقبه الذم
نجيب يجيب المستضاف إذا دعا ويسمو إلى كعب العلام إذا يسمو
وأحياناً نرى الشاعر كأنه حكيم قومه وفي سؤالهم، وينصح لهم ويدلهم على

طريق الخير وبين هم طريق الحياة. يقول:

إذا أنت لم تتصف أخاك وجده على طرف المجران إن كان يعقل
 ويركب حد السيف من أن تضمه إذا لم يجد من شفارة الموت مزحل
 وكنت إذا ما صاحب رام ظنني وبدل سوماً بالذى كنت أفشل
 قلب له ظهر الجن ولم أدم على ذك إلا ريشماً أتحول
 وفي الناس إن رثت جالك واصل وفي الأرض عن دار القلبي متتحول
 إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تکدر إليه بوجه آخر الدهر تقبل
 فهو يلاحظ في هذه القصيدة نفسية البشرية الصافية ، فالنفس اصافية السامية
 الحية لا تقبل الضيم والذل ، والإنسان الذى لا يراعى عواطف الناس لا يجد
 في المجتمع صديقاً ولا أئساً ، يهرب منه أصدقاؤه ، وينقلب عليه إخوانه .
 هذه صورة موجزة لحياة ونفسه وأثر بيته في حياته وشعره ، والآن
 ينتقل إلى إسلامه وأخباره .

إسلامه :

لم تذكر كتب التاريخ والأدب إلا بذلة يسيرة عن حياته و شيئاً قليلاً
 من أيامه وأخباره وأسفاره ورحلاته إلى البلاد ، وكذلك لم تذكر متى أسلم
 وكيف أسلم وأين أسلم . ولا نجد له أى ذكر مع الرسول عليه الصلاة
 والسلام . وكذلك لا نجد اسمه في الغزوات والحروب ، كما أن كتب
 التاريخ والتراجم لم تذكر أنه حضر إلى الرسول .

يذهب بروكلمان أنه أسلم قبل فتح مكة ، واشترك في غزوة حنين أيضاً ،
 واستدل على ذلك برواية في صحيح مسلم^١
 قدم وفد من مزينة على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أربعوناً رجل وقاتلوا مع

(١) صحيح مسلم: ١٧٨: ٧

رسول الله ﷺ في غزوة حنين وعدهم ألف وقد اشتركوا في فتح مكة مع خالد بن الوليد وقال رسول الله ﷺ : الانصار ومزينة وجيبة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله موالي دون الناس ورسول الله مولاه . يذهب الظن إلى أن معن ابن أوس قد أسلم في السنة التي دخلت فيها أفواج من قيله في الإسلام وكون معن أيضاً أسلم مع من أسلم .

ولكتنا لم نجد نصاً قاطعاً يرشدنا إلى أنه أسلم في هذه السنة ، ولم نجد اسمه أيينا في كتب تراجم الصحابة اللهم إلا أن الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني ذكر ترجمته في الإصابة ولكنه لم يذكر متى أسلم^(١) .

أما كتب التاريخ والأدب مثل الأغاني والشعر والشعراء وتاريخ دمشق لابن عساكر فقد ذكرت أخبار معن وجزءاً من أسفاره إلى الشام والبصرة وقالت عنه إنه من مخضري الجاذبية والإسلام^(٢) .

أما صاحب الخزانة فإنه يقول بعد ذكر البيت^(٣) :

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

أقول : قائله معن بن أوس المزني شاعر خل مقل جاهلي . قاله في ابن أخت له ، ثم صاحب الخزانة نفسه يذكر في قصة عبد الله بن الزبير لما دخل على معاوية وطلب منه أن ينشده آياتاً قاتلاً وكان عبد الله غاضباً على معاوية فأنسد :

إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
قال معاوية : قد شعرت بعذنا يا أبا بكر ، ثم لم يلبث معاوية أن دخل

(١) الإصابة ٦: ١٧٩

(٢) الإصابة ٦: ١٧٩ ، الأغاني ١٢: ٥٨ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٢ ، الشعر والشعراء ٣٩٩

معاهد التصحيح ٤: ١٨ ، نكت المحيان ٢٩٤

(٣) خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٠ و ٢: ٥٠٦-٥٠٧ ، شرح نهج البلاغة لابن الحديدة ٢: ٢٥

عليه معن بن أوس قال له معاوية: أقلت بعدها شيئا ؟ قال: نعم ، فأنشده:
 لعمرك ما أدرى وإن لازجل على أبنا تغدو المية أول
 حتى صار إلى الآيات التي أنسدتها ابن الزبير، قال له معاوية: يا أبا بكر
 أما ذكرت آفأ أن هذا الشعر لك ؟ قال: أصلحت المعانى ، وهو قد ألف
 الشعر وهو بعد ظری ، فما قال من شيء فهو لي ، وكان عبد الله مريضا في
 مزينة . ذكر الحصري في زهر الآداب هذه الحكاية .

لا نجد اسم محمد عليه السلام على شعر معن بن أوس إلا مرة واحدة في
 قصيدة الجميلة التي يتغزل في أولها به (دعد) العراقية :

جفت عين ذات الحال لما تذكرت وقالت أرى هذا الفتى قد تخددا
 ثم ينتقل بعد ذلك إلى زوجته التي تلومه وتعذله على إنفاقه المال . فيذكر
 كرمه وجوده ثم يبين لها قيمة الحياة ومصير الإنسان ، وأن المال ظل زائل ،
 وأن الموت غاية كل فرد في هذا الكون ، لا ينجو منه صغير ولا كبير
 ولا ملك ولا ملوك حتى محمد عليه السلام آخر الأنبياء وخاتم الرسل ، يقول :

إذا جمع المال البخل وأعددا	تلوم على إعطاني المال ضلة
مصلى لمن وافي مهلا ولبدا	أعاذل باهه الذي عند بيته
أرى ما ترين أو بخيلا تخليدا	أربيني جواد مات هزا لعلني
يوافق أهل الحق مني وأقصدوا	تكونين أهدى للسبيل الذي به
إلى رأى من عاتبت رأيك مسدا	وإلا فقضى بعض لومك واجعلني
رأيت المنايا قد أصابت محمدا	فإبني أرى ما لاترين وإنني
ولا الخير في الدنيا على المرء سردا	فلا تخبن الشر ضربة لازم

ولا نجد كلمة الإسلام في شعر معن إلا مرة واحدة فقط يذكرها إذ
 يتغزل بأحدى عشيقاته ويفتخر بأنها من حسب رفيع وأصل كريم ، وأن
 آباءها كانوا مصالح أبطال في الحرب ، ومطاعيم في المؤس والقطط ، يقول :

نَوَاعِمْ لَا سُودَ قَارِ وَلَا خُمْ
هُمُ الْنَّضَدُ السَّرُّ الْفَتَارَةُ الشَّمْ
إِذَا يَشْكُنُ فِي الْعَامِذِي السَّنَةِ الْأَزْمَ
بِأَمْثَالِهِمْ يَوْمَ الْوَغْنِ يَكْشِفُ الْهَمْ
إِذَا اتَّسَبَتْ مَدْتَ يَدِيهَا إِلَى الْعَلَى
وَصَدْقَهَا إِلَيْهَا إِلَى الْعَلَى

وهكذا نجد معن بن أوس المزني يذكر الإسلام من بعيد، وكانت
الإسلام لم يتغلل في كيانه، وكذلك يذكر محدثاً ^{عليه السلام} فلا يذكره كداع إلى
الخير، وهاد إلى الرشد، بل يذكره لأنّه يرى في موته حادثة عظيمة وغريبة حيث
أنّ الموت لم يتركه أيضاً، فغيره أحق أن يشرب كأس المنية. فكانَه عاش على
هاشم الحياة الإسلامية لم يدخلها كاً دخل حسان بن ثابت وكعب بن زدين،
ولم يظهر أثر الإسلام في حياته وشعره بل بقيت حياته القديمة كاً هي تجري
وتسرى. وبقي كاً كان قبل الإسلام يتردد بين البدائية والحاضرة يمدح وينشد،
يبع ويشترى، بقى إلى آخر حياته تاجراً وزارعاً كاً بقى شاعراً وراجزاً.
وظللت حياة البداوة أقرب إلى نفسه أثيره وعزيره، ونجد في كتاب الأغاني
نصاً جيلاً يكشف نفسيّة معن في صورة صادقة من بساطة النفس وسذاجة
الطبع، كان^١ معن بن أوس امرأة يقال لها ثور، وكان محباً لها، وكانت
حضرية نشأت بالشام، وكانت في معن أعرابية ولوّته فكانت تصاحك من
عجرفته، فسافر إلى الشام في بعض أعوامه فضل الرفقه عن الطريق وعدلوها
عن الماء فطوروها منزههم وساروا يومهم وليلتهم فستط فرس معن في وجار
ضب دخلت يده فيه فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله
أهل الرفقه حلاً فأنهضوا وجعل معن يقوده ويقول:

لَوْ شَهَدْتِي وَجْوَادِي ثُورَ وَالرَّأْسُ فِي مَيْلٍ وَمُورَ

(١) كتاب الأغاني ١٢: ٥٨، معاهد التصيص ٤: ٢١

لضحك حتى يبل السكور

ويذكر صاحب الأغاني أيضا خبرا من أخباره يوضع أنه بقى مجا للبادية إلى آخر حياته، وأن قلبه كان يطمئن وعينه تقر بين أشجار التحيل، وما كان يطمئن ويستريح في حضارة المدن وجمال العاصمة. إنما كان يتردد إلى المدن للحاجة والضرورة ولا يلبث إلا قليلا حتى يزداد حنينه إلى حياة البادية، فيترك المدن ويختفي إلى القرى ذات الأشجار والأزهار، وفي الأغاني^١:

«خرج معن بن أوس المزنى إلى البصرة ليتار منها وبيع إبلاته، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته فولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلي، وكانت ذات جمال ويسار، نخطبها فأجابته، فتزوجها وأقام عندها حولا كاملا في أنم عيش. فقال لها بعد حول: يا ابنة العم إني تركت ضعة ضائعة فلو أذنت لي أطلعت أهلي ورميتك من مالي، فقالت كم تقيم؟ قال سنة، فأذنت له فأتى أهله فأقام فيهم وأذمن عنها (أى طال مقامه) فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه قيل إنه بعمق^٢ وهو ماه مزينة، نخرجت حتى إذا كانت قرية من عمق منزلها كريما، وأقبل معن في طلب ذود قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبث من صوف أخضر وعامة غليظة، فلما رفع له القوم قام إليهم يستقي ومع ليلي ابن أخي لها ومولى من مواليها جالس أمام خباء له. فقال معن هل من ماء؟ قال نعم وإن شئت سويفا وإن شئت لينا، فأناخ وصاح مولي ليلي يا منهلا، وكانت منهلا الوصيفة التي تقوم على معن عندم في البصرة فلما أتاه بالقدح وعرفها وحرس عن وجهه ليشرب عرفته وأثبته فترك القدح في يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها، فقالت يا مولاق! هذا والله معن إلا إنه في جبة صوف وبث صوف فقالت هو والله عيشهم الحقى مولانى

(١) الأغاني ١٢: ٥٨، معاذن تصميس ٤: ٢١

(٢) قرية من قراما الفتنه الخصبة تاريخ ابن خلدون ٢: ٣١٨

قحول له هذا معن فأجسسه نفرجت الوصيفة مسرعنة فأخبرت فوضع معن
القدح وقال دعنى حتى ألقاها في غير هذا الزى ، فقال لست بارحا حتى تدخل
عليها فلما رأته قال هذى العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال أى والله
يا بنية عم ، لو أقت إلى أيام الريع حتى ينتبل البلد الغرامى والرخامي والكماء^(١)
فبقيت معه ليل إلى أن حجت ثم لما طلبت منه بعد الحج الذهاب إلى
البصرة خرج معها . فلما كان في منعرج الطريق وقف هناك وقال يا ليلي إن
قلبي ينبعج إلى ما هاهنا ، وطلب منها البقاء سنة أيضا فرفضت البقاء وطلبت
الطلاق ، وطلقها ، وسافرت إلى البصرة ، ورجع معن إلى بلده^(٢) .

كانت حياة الباذية قرية إلى نفسه واللوثة الأعرامية واضحة في طيّاته
وظهرت آثارها في حياته الشخصية والاجتماعية ، ونلمس آثارها أيضا في
شعره وقصائده منها كان نوع هذه القصائد مدحأ أو هجاء ، وصفا أو غزلا .

صلته بالخلفاء والولاة :

عاش معن بن أوس فترة طويلة في الجاهلية والإسلام ، وأدرك جميع
الأحداث الباذية التي مرت في تاريخ المسلمين ، ففي حياته توفى رسول الله ﷺ ،
وأبو بكر ، وقتل عمر بن الخطاب ، ومنيت الأمة الإسلامية بالفتنة المستمرة
التي صاعت فيها الأحلام وحاررت العقول .

وبقيت هذه الفتنة حامية إلى آخر حياة معن ، ولكن لا نرى أثر هذه
الفتن والأحداث في شعره . نعم كان يقول الشعر ، ولكنه لا يذكر الأحداث
والفتن بل يقول في الغزل والمدح ، في الوصف والهجاء .

وعدم ذكره الخلفاء والأحداث يدل على أمرين :

١ - إنه لم يهتم بأمر المسلمين ولم يخفق قبله بحب الخلفاء الراشدين .

(١) هي كلها أنواع من الأزماء الزاهية .

(٢) الآيات ٤٢:٦٢؛ معاذ التميس؛ ٤:٢٣.

٢ - أو إنه ذكر هذه الأحداث وذكر الخلفاء الراشدين ولكن ضاعت قصائده التي مدحهم فيها وذكراهم.

أما الشعر السياسي فعن لاشك فيه أنه ابتعد عنه وأهمله، ولنا في ذلك أدلة نذكرها فيما بعد.

يذكر صاحب الأغاني أن معنا مرح كثيرا من الصحابة وأحيانا يقول إن هذا البيت من قصيدة الطويلة التي مدح بها فلانا. ثم نرجع إلى كتب التاريخ واللغة ونبحث عن هذه القصيدة الطويلة التي منها البيت فلا نجد بعد جهد جبida إلا بيتا أو يتين. أما القصيدة فلا نجد لها أى أثر.

وهناك بعض قصائده في المديح، وهي من أقوى قصائده. وفي هذه القصائد مرح عددا من الصحابة والولاة ولكنه في هذه المدائخ يتلزم الناحية الإنسانية أو العاطفية ولا يتعرض فيها إلى القضايا السياسية أو العزيمة. فقد يمدح ثريا لأنه أكرمه بماله، وأحيانا نرى أنه يمدح صحابيا أو من أولاد الصحابة لأنه رأى فيهم الجوانب الإنسانية الكريمة فأثنى على هذه الجوانب البارزة في حياتهم، وأحيانا يمدحهم لأن صلة منهم كانت صلة صدقة، وأحيانا كانت تجمعهم صلة الجار والقرابة. فالأخوة الإنسانية تدفعه إلى مدح هؤلاء أحيانا والصلات الشخصية والفردية أحيانا، لا صلة الحزب أو الجماعة.

كان معن بن أوس مصاجبا لعبد الله بن الزبير وأخاه له في الرضاعة^١، وصديقه في الصبا والشباب، وظلت صلة به في أيام خلافته، ونعرف أن عبد الله الزبير لعب دورا هاما في التاريخ الإسلامي للأحداث الهامة التي قام بها والمعارك الحامية وقعت بينه وبين يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم. ونعرف أن معنا كان يزور عبد الله بن الزبير ومع ذلك لا يذكره

(١) مسمى الشراح، الخزانة ٣: ٥٠٦، شرح نهج البلاغة ٢: ١٢٥

كزعيم سباسي.

نعم، نجد أن معن بن أوس يذكر عبد الله الزبير، ولكنه لا يذكره بخير بل يذكره بسخرية واستهزاء، لا لغرض سياسي أو حزبي. بل لغاية شخصية فردية، لأن عبد الله بن الزبير قصر في ضيافته وإكرامه، فصب عليه جام الغضيب والعتاب في الوقت الذي كان شعراً الأمويين يهجون عبد الله بن الزبير ويشيدون بذكر يزيد ومروان بن الحكم.

يقول صاحب الأغاني^{١)}:

قدم معن بن أوس المزنى مكة على عبد الله بن الزبير فأنزله دار الضياف وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيافان. فأقام يومه لم يطعم شيئاً حتى إذا كان الليل جامهم ابن الزبير بتيس هرم هذيل، فقال: كلوا من هذا، وهو نيف وسبعون رجلاً، فقضب معن، وخرج من عنده فأتى عبيد الله بن العباس ففراه وحمله ثم آتى عبيد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل. فقال يهجو ابن الزبير ويهدح ابن جعفر وابن عباس رضي الله عنهم:

ظلنا بمستن الرياح غدية
لدى ابن الزبير جالسين بمنزل
من الخير والمعروف والرقد مقفر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة
فقلت له لا تقرننا فلما
وكن أمنا وأنفق بتيسك إنه
فلا نرى في الهجاء إلا أن عبد الله بن الزبير قصر في ضيافته ولم ينزله منزلنا
كينا فهاجت مضربيه ومزنيته معاً حتى لم يرحم أخيه في الرضاة وصاحبه

(١) الأغاني ١٢: ٥٨، معاهد التصوير ٤: ١٩.

في الصغر، ولم يأخذ هجاءً معنّى أى لون سياسي بل هو غضب وعتاب فقط.
ويمدح معن بن أوس أيضاً عبد الله بن العباس.

في الأغاني^١: مر عيد الله بن العباس على معن بن أوس المزني، وقد كف
بصره، فقال مالك: يا معن؟ فقال له: ضعف بصرى، وكثير عيالى، وغلبني
الدين، قال كم دينك؟ قال عشرة آلاف درهم، فبعث بها إليه ثم مر به من
الغد، فقال له: كيف أصبحت يا معن؟ فقال:

أخذت بعين المال حتى نهكته وبالدين حتى ما أكاد أدان
حتى سألت التفرض عند ذى الغنى ورد فلان حاجى وفلان

قال عيد الله: الله المستعان، إما بعثنا إليك بالأمس لقمة، فالكتها حتى
انتزعت من يديك فأى شيء للأهل والقرابة والجيران، وبعث إليه عشرة
آلاف درهم أخرى. فقال معن بن أوس المزني يمدحه:

إنك فرع من قريش وإنما تمج الندى منها البحور الفوارع
ثروا قادة للناس بطحاء مكة لهم وسقيايات الحجيج الدوافع
فلا دعوا لاوت لم تبك منهم على حدث الدهر العيون الدوامع

كذلك نجد أن معن بن أوس يذكر عمر بن أبي سلطة وعاصم بن الخطاب حينما يذكرهما فكان أنه يذكر أى فرد من أفراد أسرته يسلم إليهم أمور
يته دون خوف وتردد، ويثق بهم ثقة الأخ بأخيه بل أشد وأقوى، فكانت
تجتمعهم الصداقة والأخوة وحق الجوار.

يقول ابن عساكر^٢:

سافر معن بن أوس المزني إلى الشام، وخلف ابنته ليل في جوار عاصم
بن الخطاب وعمرو بن أبي سلطة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها،

(١) الأغاني ١٢: ٥٥-٥٦، معاذ التمبيص ٤: ٣٦، الخزانة ٣: ٥٥، نك المبيان: ٢٩٥

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٤، الأغاني ١٢: ٥٩

فقال بعض عشيرته : على من خلقت ابتك ليل بالحجاز وهي صبة ، وليس لها من يكفلها ؟ فقال معن رحمة الله تعالى :

لعرك ما ليل بدار مضيعة وما شيخها ابن غاب عنها بخائف

فان لها جارين لن يغدرابها ربيب النبي وابن خير الخلاف

ويقول عن عاصم بن عمر بن الخطاب أيضا :

تاوبه يغ بذات الجرائم قام رفيقاه وليس بنائمه

وهجده عوراء من ذى عداوة على ربيبة فى سالف مقاديم

تعرض للأبواب أبواب عاصم تعرض ملال لها غير لازم

ونجد أنه مدح سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان

واليا على البصرة أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكان من كبار الأغنياء ، وكان

في نفس الوقت من كبار الأسيخاء والكرماء ، والقصيدة التي مدح بها معن

ابن أوس ، سعيد بن العاص من أقوى قصائده في المدح ، بل من أقوى قصائده

كلها في القوة وحسن التعبير ، تناول فيها وصف الصحراء ووصف الناقة السريعة ،

وكيف جابت وقطعت هذه المسافة ، وكيف طوت هذه الفيافي والفقار ، يقول :

إليك سعيد الخير جابت مطيني فروج الفيافي وهي عوجاء عيبل

إليك علندة من العيس عيطل بأشعث من طول السرى عفت به

من الجد إلا حيث مانلت أطول فا بلغت كف امرئ متناول

ولو صدقوا إلا الذي فيك أطول ولا بلغ المهدون نحوك مدحة

ومدحت به تجزى بذلك وتقبل وكم من ثناء صالح كنت أهل

ثم يصف بعد ذلك أنواع الكرم والجود وما ينال الجار في جنبه من

الأمن والطمأنينة ، ومن السكون والسلوى . ثم يختتم القصيدة بهذه البيتين :

أخو العرف معروف له الدين والندى حلیغان ما دامت تعار ويدبل

برایة تعلو الروابي من عل تبحبحت في بحثحة المجد منهم

لا شك أن قصيدة معن هذه تعد من أحسن القصائد التي قيلت في المدح والثناء في الجاهلية والإسلام.

ففي هذه القصيدة مدح إنسان جواد كريم سخي، لا مدح إنسان له مذهب سياسي أو مذهب فكري، فقصائده كلها تدل أنه لم يخض المعرك السياسية بل يتعالي على دينه ودينه القديم، فهو يمدح كل من رأى فيه الخير والجود ويذم كل من رأى فيه البخل وسوء الخلق، لذلك كان محبوباً أثيراً عند جميع الناس على اختلاف مذهبهم السياسي والحزبي، وهو يدخل على معاوية ابن أبي سفيان، فيطلب منه أن ينشده آياتاً جديدة قالها، فينشده^١.

فهذا أيضاً يدل على أنه كان بعيداً عما حدث بين معاوية وعلى، لأنه في الوقت الذي يذهب إلى معاوية، يذهب إلى عبد الله بن جعفر وعيid الله بن العباس فيكرمانه، وعبد الملك بن مروان كان يحب شعر معن بن أوس ويفضله على جميع الشعراء المسلمين.

كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سرره مع ولده وأهل بيته وخاصة، فقال: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر، وليفضل من رأى من الشعراء، فأنشدوا وفضلوا، فقال بعضهم: أمرؤ القيس، وقال بعضهم: النابغة الذياني، وقال بعضهم: الأعشى، ولما فرغوا قال: الشعر واته من هؤلاء جميعاً عندى الذي يقول:

وَذِي رَحْمَةِ قَلْتُ أَظْفَارَ ضَعْنَهِ	بَحْلَمِيْ عَنْهُ وَهُوَ لِيْسُ بِحَلْمٍ
إِذَا سَمْتَهُ وَصَلَّى الْقَرَابَةَ سَامِنِيْ	قَطَعْتُهَا تَلْكَ السَّفَاهَةَ وَالظُّلْمَ
وَأَسْعَى لِكَيْ ابْنِي وَبِهِمْ صَالِحِيْ	وَلِيْسَ الَّذِيْ يَنْبَغِي كَمْ شَاءَهُ الْهَدْمُ
حَفَظْتُ الَّذِيْ قَدْ كَانَ يَنْبَغِي وَيَنْهَا	وَهُلْ يَسْتَوِيْ حَرْبُ الْأَقْرَبِ وَالْمُلْمَ

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٢٥، المزانة ٣: ٥٠٧، معاذ التميس ٤: ٥، الوساطة: بين النبي وخصومه: ١٥١، ديوان المعانى ١١٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٤: ١٧

قالوا : يا أمير المؤمنين من القائل هذه الآيات ؟ فـا أحسنها وأرضاها !
 قال : معن بن أوس المزنـي^١. ونعرف كذلك أنه كان أخ عبد الله بن الزبير في الرضاعة وكان صاحبا له ، ونعرف كذلك ما حدث بين عبد الله الزبير ويزيد ومرwan بن الحكم . ولو كان معن بن أوس مع أحد مؤلاء أو قال شيئا يدو منه انجازه إلى أحد هـما دخل عليهم جميعا على اختلاف مذاهبهم ، فعن بن أوس كان يدخل على معاوية وسعيد بن العاص كـا كان يدخل على عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن العباس .

بعد هذه الأدلة التي سقتها ، أقول وأنا مطمئن : إن معن بن أوس كان أقرب إلى الباـدية منه إلى الحاضرة ، كان شاعرا حـادـيا لا شاعرا متعـيزـا ، كان شاعرا عـادـياـ حـادـياـ لا شاعرا سـيـاسـياـ ثـائـراـ .

معنى بن أوس وحياته العامة :

نشأ معن في مـزـينةـةـ التي تـمـتـعـ بالـأـرـاضـىـ الخـصـبـةـ وـالـوـدـيـانـ الـخـضـرـاءـ والـسـهـولـ الـعـامـرـةـ . كان معن بن أوس يـمـلـكـ أـرـضاـ وـنـخـلاـ وـيـذـكـرـ أـمـلاـكـهـ كـثـيرـاـ في قـصـانـدـهـ ، وـفـيـ نـقـسـ الـوقـتـ كـانـ يـشـتـغلـ بـالـجـارـةـ .

في قـصـانـدـهـ نـجـدـ أـيـاتـاـ كـثـيرـةـ تـدلـ عـلـىـ أـنـ مـعـناـ كـثـيرـ التـجوـالـ فـيـ الـآـفـاقـ ، كـثـيرـ الـأـسـفـارـ فـيـ الـبـلـادـ ، فـيـوـمـاـ فـيـ الشـامـ فـتـعـجـبـهـ فـتـاهـ شـامـيـةـ فـيـزـوجـهاـ ، وـيـوـمـاـ فـيـ الـعـرـاقـ وـالـبـصـرـةـ فـتـقـعـ عـيـنـيهـ عـلـىـ غـانـيـةـ مـنـ الـغـوـانـيـ الـعـرـاقـيـةـ ، فـيـرـتـبـ بـهـ ، وـيـوـمـاـ فـيـ مـكـةـ يـزـورـ النـاسـ وـيـدـحـهـمـ . وـلـكـنـاـ لـنـجـدـ الصـوـصـ الـتـيـ تـحـدـدـ أـيـامـ أـسـفارـهـ وـرـحـلـاتـهـ ، إـنـمـاـ تـذـكـرـ أـسـفارـهـ بـصـورـةـ عـامـةـ . نـرـىـ أـنـ وـصـفـ الـصـحـراءـ وـالـفـيـافـيـ أـخـذـ جـزـءـاـ كـبـيرـاـ مـنـ شـعـرـهـ كـاـيـذـكـرـ النـاقـةـ وـيـصـفـهـ بـأـوـصـافـ جـمـيلـةـ وـأـسـلـوبـ قـوىـ يـصـفـ سـيـرـهـ وـجـرـيـهـ ، وـيـأـتـيـ بـالـفـاظـ تـدلـ عـلـىـ شـفـقـهـ بـالـرـحـلـاتـ وـالـأـسـفارـ . يـرـىـ بـلـادـاـ جـدـيـدةـ قـبـلـةـ رـوـحـهـ ، وـيـزـورـ أـرـاضـىـ غـرـيـيـةـ فـتـحـرـكـ قـرـيـحـهـ وـيـكـثـرـ قـرـيـصـهـ ،

(١) ديوان المعان ١ : ١٥٢-١٥٣ ، الامال للقال ٢ : ١٠٢-١٠٣ ، تاريخ دمشق لابن عاكر ٢٤ : ١٧

ويغنى غربة البلاد ومشنة الطرين فيذكر أهله ويصف حبه إلى الوطن ،
أحياناً إلى وطن الآباء والأهل ، وأحياناً وطن الأحباب والعبيبات ، ومحضر أسواق
الأدب والشعر فتبرز شخصيته ويشهـر اسمه في البلاد وينافس الشعراء ويشار إليهم ،
في الأغاني^١ :

قدم معن بن أوس البصرة ، فقعد ينشد في المربد ، فوقف عليه الفرزدق ،
قال : يا معن من الذي يقول :

لعمرك ما مزينة رهط معن بأخفاف يطأن ولا سام

قال معن أتعرف يا فرزدق الذي يقول :

لعمرك ما تيمم بأهل فلنج بأرداف الملوك ولا كرام

قال الفرزدق : حبك إنما جربتك ، قال جربت وأنت أعلم ، فانصرف
وتركه . إذن كان معن بن أوس كعامة الشعراء الذين لا يقر لهم قرار
ولا يهدأ لهم بال ، فأحياناً في الحجاز ، وأحياناً في سواد العراق ، وأحياناً في
رياض الشام . وقد تركت هذه الأسفار والرحلات أثراً في شعره ، وخاصة في
الوصف ، فقد وصف الصحراء ووصف الناقة .

تنقل بعد ذلك إلى الموضوع ثان ، وهو حياة معن من حيث العسر
واليسير ، أو من حيث الفتى والفقير .

نجد التناقض بين هاتين الحياةين . فأحياناً نراه يعيش حياة
هادئة رغدة في سعادة وهناء ، ويتزوج في الشام امرأة جميلة ، وأخرى بالعراق
ثرية فاتنة ، في الأغاني^٢ : «خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة يمتاز منها
ويبيع إبلاته ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته فتولت ضيافته امرأة منهم يقال
 لها ليلي ، وكانت ذات ذات جمال ويسار ، فخطبها ، فأجابته فتزوجها وأقام عندها

(١) الأغاني ١٢: ٥٧ ، معاهد التصوير ١٩: ٤

(٢) الأغاني ١٢: ٥٧ ، معاهد التصوير ١٩: ٤

حولا في أنعم عيش فقال لها بعد حول يا ابنة عم ! إن قد كنت تركت ضئيلة لي
ضائعة فلو أذنت لي فاطلعت أهلي ورمت من مالي .
ويذكر معن كثيرا ضعفه وأملأكه .

يقول ردا على أم حقة إحدى زوجاته التي طلبت منه الطلاق لما رأت
الشيب لاح على مفرقه ورأت المال خرج من يده :

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا بيمطان مصطفاف لنا ومرايع
وإذنخن في غصن الشاب وقد عسى
بنا الآن إلا أن يعوض جازع
قد أنكرته أم حقة خادثا
 وأنكرها ماشت والود خادع
 ولو أذتنا أم حقة إذ بنا
 شباب وإذ لما تروعنا الروائع
 لقنا لها بيني بليل حيدة كذلك بلا ذم تؤدي الواقع^١
 ويظهر أن المصائب نزلت على معن فذهب ماله وزالت أملأكه ،
 وأقرباؤه أيضا قد غصبوا جزما من أرضه وخانوه في ماله أيام غيابه
 وأوقات أسفاره ، يقول :

وقد غر أقواماً تغيب ربهـا فأسوا وقد خاذلـوا إليهم بعاعـها
 وما أن يحل لامرئ ذي قراـبة تـلـاد ابنـ عمـ أنـ يكونـ أـضـاعـها
 فـعنـ الـذـىـ كـانـ يـفـتـحـ بـالـجـدـ الـأـصـيلـ وـالـمـالـ التـلـيدـ :
 وـرـثـناـ الجـدـ عنـ آـبـاءـ صـدـقـ أـسـامـاـ فـيـ دـيـارـهـ الصـنـيعـاـ
 إـذـ الحـبـ الرـفـيعـ تـواـكـلـهـ بـنـاءـ السـوـهـ أـوـشـكـ أـنـ يـضـبـعـاـ
 بدـأـتـ حـالـهـ المـالـيـ تـسوـهـ وـتـحـطـ إـلـىـ أـنـ قـالـ عـلـىـ لـانـ إـحـدـاهـنـ :

تـبـدـلـتـ مـنـ لـلـيـ وـدـسـكـرـةـ هـاـ شـعـوبـاـ وـمـالـاـ مـدـبـرـاـ وـعـجـارـفـاـ
 وـإـيـضـاعـكـ الـعـصـرـينـ تـبـغـيـ نـزـيـعـهـ
 وـمـاـكـنـتـ ضـيـافـاـ وـمـنـ يـكـ رـبـهاـ

وفي كل يوم تزداد حاته المالية سوًما على سوًم إلى أن قال حين سأله عبيد الله بن العباس كيف حالك يا معن؟ فأجاب:

أخذت بعين المال حتى نهكته وبالدين حتى ما أكاد أدان
وحتى سألت القرض عند ذوى الغنى ورد فلان حاجتى وفلان^١
وكثير عياله، وقل ماله، شبلته الديون، وثقلت عليه الحياة، وضاقت به الأرض، وفي آخر حياته ضعف جسمه، وكف بصره أيضاً، فقد لذة التمتع بجمال الكون كأنه فقد لذة العيش بعد ذهاب المال وضياع الأموال.

وفاته:

لا تذكر كتب التاريخ والترجم متي وأين توفي معن بن أوس المزني، أمات في العراق أو مات في الشام أو في المدينة أو مات في قبيلة مزينة، وتذكر هذه الكتب أنه عاش إلى فتة عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم.^٢ ولكنني أعتقد أنه توفي بالمدينة لأنه توفي في آخر حياته استوطن المدينة، وأنه لما سافر إلى الشام وخلف ابنته ليل في جوار عاصم بن الخطاب، وعمر بن أبي سللة، فقال بعض عشيرته: على من خلفت ابنته ليل بالحجاز وهي صبية، وليس لها من يكفلها؟ فقال:

لعمرك ما ليل بدار مضيعة وما شيخها إن غاب عنها بخائف
 وإن لها جارين لن يغدوا بها ربيب النبي وابن خير الخلاف^٣
إذن كان معن مجاوراً لعاصم بن عمر، وعمر بن أبي سللي، وكلاهما كانا يسكنان المدينة، وكانت صلة معن بهما صلة قوية.

(١) معاهد التصيص ٤: ١٧ ، الاصابة ٦: ١٧٩ ، الأغاني ١٢: ٥٧ ، الخزانة ٢: ٢٠٥ ، نك المحيان ٢٩٥ ، معجم الشراح ٣٩٩

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٢ ، معاهد التصيص ٤: ١٧: ٦ ، الاصابة ٦: ١٧٩ ، الأغاني ١٢: ٥٧
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٤ ، الأغاني ١٢: ٥٩

وأغلبظن أنه ترك الإقامة في مزينة بعد ما هلكت أمواهه وذهب
أملأ كهوضاقت به الحياة في بلده ، فاضطر أن يغادره ، ويسكن في المدينة ، ويطلب
العطايا والهدايا من سراة المدينة وأغنيائها ، ويدهب أحيانا إلى مكة أولا في
ليل العطايا من سراتها من أبناء الصحابة . وقد ذكرنا أنه سافر إلى مكة في
أيام خلافة عبد الله بن الزير ، وغضب منه لما قصر في إكرامه وضيافه ومدح
عبد الله بن جعفر لما أكرمه بمال وثياب ، وقد مرت القصيدة التي مدح بها
عبد الله بن جعفر وهجا عبد الله بن الزير .

محمد راشد الندوى

علي گزه (الهند)



الطابع المحلي في القصة المصرية الحديثة

إذا أردنا أن نبحث عن التقاليد القدمة للقصة المصرية الحديثة في أي شكل من أشكالها، فعلينا أن نرجع إلى القرون الوسطى من تاريخ مصر. ولا شك في أن القصة كان لها وجود في مصر القديمة ولكن المصريين قد اقطعوا صلتهم بلغتهم القدمة، وربما ذلك قبل قرون من دخول العرب في مصر، فكانت اللغة الهيروغليفية قد أصبحت لغة كنابات أثرية فحسب لا يتكلّمها الناس، وبانقطاع صلة المصريين العامة بذلك اللغة لم تبق فيهم التقاليد القصصية القدمة التي يرجع تاريخها إلى مصر فراعنة. ثم ان غلبة العرب على المجتمع المصري جعله ذا طابع عربي حتى أن السكان الذين لم تكن لهم صلة نسلية بالعرب أصبحوا عرباً في لغتهم وفي تقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية. وبذلك فإن التقاليد القصصية المصرية الحديثة لا تجد لها جذوراً إلا في القصة العربية من القرون الوسطى. وعلى ذلك نرى أن اللعبات الأولى في أرهاص القصة المصرية الحديثة قد وضعت على يد أولئك الذين ألفوا القصص في المجتمع العربي التقديم الذي ساد الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ثم استمر متطوراً ومتأثراً بالعوامل الاجتماعية المختلفة إلى يومنا هذا.

فإذا ألقينا نظرة على تسلسل القصة العربية، وجدنا أن العرب قد اتجهوا منذ القدم إلى نسج قصص ذات هدف يقصد بها فائدة أخلاقية أو حكيمية، الغرض منها توجيه الناس إلى ما فيه خير لهم ولآدمائهم، وقد استمر هذا الهدف حتى الآن. وتحا معظم الكتاب العربي في أعمالهم القصصية نحو هذا الاتجاه، وقد أشار إلى ذلك الكاتب الشهير محمود提مور يقوله «وثمة خصلة في قصتا العربية لا يعوز الناقد جهداً إلى أن يلحها في كثير من أعمالنا القصصية تلك هي أنها توثر من القصة أن تتطوى على الموعدة الحسنة والعبرة النافحة، ونحن

نعبر عن هذه الخصلة تعبيراً من مؤثراتنا في القصص العربي، فتساءل دائماً عن المغزى^١.

إذن كان هذا النوع من الأدب العربي دائماً أدباً هادفاً يقصد به عرض المسائل الاجتماعية، وحل المشاكل الخلقية. وظل ذلك في الأدب القصصي المصري خلال العصور ممثلاً في بعض القصص التي كانت تحكى في مسامراتهم وندواتهم؛ وكذلك نجد بعض الإشارات الواضحة تارة والغير الواضحة أخرى، في القصص التي اشتملت عليها «الليلالي»، ولا سيما الجزء الذي يمثل الحياة المصرية. قد اشتمل هذا الجزء على نمط خاص من القصص تمثل الحياة الشعبية في فترة من الزمن، نجد فيها شخصيات من عامة الشعب تتحرك وتطور.

ثم جاء دور مظلم على الحياة العربية عامنة نظارات مصر وسائر البلاد العربية زهاء ثلاثة قرون في ظلام حalk وجهل شائع، تحت نير الظلم والاستبداد. بترف الأدب من التقدم والتطور، وساد الجمود على الحياة الأدبية إلى ما قبل القرن التاسع عشر، فكان النثر قد توقف على فن المقامات، وحتى هذا النوع لم تقدم عما كان عليه من ذى قبل.

ثم نرى في القرن التاسع عشر نهضة واسعة شاملة، كان لا بد للأدب أن يتأثر بها. كاد المؤرخون يتفق رأيهم على أن الحملة الفرنسية (١٧٩٧-١٨٠٢م) كانت نقطة هامة لوضع بداية هذا التأثير في العصر الحديث^٢، لتنا هنا في صدد نقاش هذا الرأي أن كان صح أم هناك مبالغة في إثبات تأثير هذه الحملة على الحياة الاجتماعية في مصر، ولا سيما الأدب القصصي، حيث ظهرت نزعات جديدة لم تكن لها سابقة في الأدب ولو أنه قد سبق هذه

(١) القصص في أدب العرب : ١٥

(٢) محمود حامد شوك، *الفن القصصي في الأدب العربي* : ١٦، الدكتور ماهر حسن فهمي، الأدب والحياة : ٧، رجا، نقاش، في أزمة الثقافة المصرية : ١٢٠.

النهاية الأدية رجل من مشائخ الأزهر وهو الشيخ محمد المهدي الحفناوى حيث ألف قصصا ذات طابع محلى من حيث الفن ، وطابع ألف ليلة وليلة من حيث الموضوعات الاجتماعية والشخصيات الشعية^١، ولكن للأسف لا يوجد حالياً أثر لهذا المؤلف في المكتبات المصرية أو في مكتبات عربية أخرى .

إن نقطة التحول الحقيقي في الحياة المصرية كان اليوم الثالث من شهر مايو سنة ١٨٠٥ حينما اجتمع علماء الدين والأعيان تحت قيادة الزعيم الشعبي السيد عمر مكرم ، وقرروا خلع الوالي القديم خورشيد باشا وتعيين محمد على باشا والياً على عرش مصر . وكان من أثر هذا التحول أن ظهر رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك فى روایاتهم وقصصهم ، فألف أول الذكر كتابه «تخلص الاوريز فى تخلص باريز» (سنة ١٨٣٤م) كا ترجم روایة فرنساویة سماها «وقائع تلياك» (سنة ١٨٦٧م) . وظهرت روایة «علم الدين» لعلى مبارك سنة ١٨٨٣م) . ولكن هذه المؤلفات الثلاثة لم يكن لها طابع شعبي في موضوعاتها أو في شخصياتها ، وإنما هي نوع من ذلك الأدب الذى نسميه الأدب التعليمى . ولكن في نفس الفترة التي ظهرت فيه روایة «علم الدين»، كان هناك اتجاه إلى خلق نوع من الأدب جديد لم يكن لمصر سابق عهد به ، قام به أحد أعلام الأدب العربى الذى اشتراك فى حركة تحرير الوطن من سلط الآجانب ذلك هو خطيب الشعب المصرى عبد الله نديم . انه أنشأ في سنة ١٨٨١ مجلة «التنكية والتنكية» نشر فيها بعض ما يشبه الأقصوصة الفنية الحديثة في شكلها وفي موضوعها ، نستطيع أن نعتبر هذه الأقصوصات خطوة أولى إلى الاتجاه بالقصة إلى أن تكون محلية حيث تشتمل على شخصيات من صميم الشعب المصرى وتعرض موضوعات تختص بالرجل العام من الشعب ، فمعظم هذه الأقصوصات تعرض لداء شاع ، أو أخذ يتسرب في صفوف الشعب أو في صفوف بعض طبقاته ، كما تظهر من أقصوصاته تحت

(١) الدكتور عبد الرحمن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة : ٤٩

عنوانين «كم في زوايا من خبابا^١»، و«الجنون فتون^٢»، و«محتاج جاهل في يد محتال طامع^٣»، و«عربي تفرنج^٤».

وأهم شيء في قصص عبد الله نديم أنه استعمل اللغة الدارجة للحواريين أشخاص القصة، ومن هناك يمكن القول بأنه أول من توجه إلى إعطاء القصة المصرية شكلًا حلياً، ليس في موضوعاتها فحسب وإنما في لغتها وتعبيراتها أيضًا. ويظهر هذا الاتجاه واضحًا جلياً في قصة «عربي تفرنج»، عند قوله «فلا خرج من الفلوكة قرب أبوه ليحتضنه ويقبله شأن الوالد المحب لولده فدفعه في صدره وجرت بينهما هذه العبارة:

زعيط: سبحان الله عندكم يا مسلمين مسألة الحضن دي قبيحة جداً.

معيط: أمال يا ابني نسلم على بعض ازاي؟

زعيط: قول بونزيفن وحطوا يدك في أيدي مرة وخلاص.

معيط: هو يا ابني أنا بقول منيش ريف:

زعيط: مش ريف يا شيخ أنت يا أبناء العرب ذى البهائم.

هذا ما كان في القرن التاسع عشر من الحركات الإصلاحية في الأدب القصصي المصري. ثم كان لهذا النوع من الأدب، بعد زيادة الاتصالات بين الشرق والغرب أن يأخذ طابعاً جديداً متطرفاً في م.أ. القرن العشرين، وكان أول ثمرة لهذا الاتصال في صورة الأدب القصصي ظهور رواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل سنة ١٩١٤م، فقد ألف هذه الرواية وهو في باريس في بعثة علمية. وفي صدد ذكر الدوافع لهذا العمل الأدبي يقول المؤلف في

(١) مجلة التكثف والتباكيت المدد ٢

(٢) المرجع السابق المدد ١٠

(٣) المرجع السابق المدد ١١

(٤) المرجع السابق المدد ٧

آخر المقدمة «زينب اذن ثمرة حنين للوطن وما فيه، صورها قلم مقيم في باريس علوه من حنيه لمصر إعجابا ياريس وبالأدب الفرنسي»^١.

ظهرت هذه الرواية اذن نتيجة الازدواج بين الأدب الأوربى والتفكير العربى المصرى، ولذلك نرى فيها تحليلا واقعيا لما في الريف من طابع وصفات كامنة، من صبر واستسلام وتامع وحجاب وكبت، حيث تشمل الرواية على نماذج مختلفة للحياة الريفية المصرية مع بعض الإشارات إلى الوضع الاجتماعى للشعب المصرى متفرقة هنا وهناك في طيات الكتاب.

لم يكن قد مضى على ظهور هذه الرواية وقت طobil حتى ظهرت أول أقصوصة عربية حديثة كتبها واحد من أوائل الرواد للقصة العربية الحديثة، وذلك سنة ١٩١٧م^٢، وهو الأستاذ محمد تيمور، فقد كتب للأقصوصة المصرية الحديثة ان تبدأ حياتها على يد هذا الشاب الذى نشأ في أسرة استقراطية منحدرة من أصل تركى اشتغلت بالعلم والأدب العربى. انه أول أديب تسرب إلى ذهنه كثير من الاتجاهات الأدبية الحديثة بشكل واضح، منها رغبته الشديدة في إصلاح الأدب المصرى وإعطائه صورة مصرية محلية. فان أهم فكرة اختمرت في رأسه وظلت تكبر وتنسع هي فكرة تصوير الأدب بحيث يكون ذا صبغة مصرية وألوان محلية بحثة^٣.

وقد أخذ هذا الاتجاه في معظم قصصه نافدا فيها القيم والتقاليد الحالية دون أن تخطر البلاد إلى ما هو نافع لتقديمها ورقيها، من تلك القصص قصة تحت عنوان «القطار»، انه عرض في هذه القصة نماذج بشرية من مختلف الفئات المصرية، من موظف إلى طالب في المدرسة إلى رجل من رجال الدين

(١) رواية زينب ، المقدمة : ١١

(٢) عباس خضر ، القصة القصيرة في مصر : ٨٠

(٣) مؤلفات محمد تيمور : ١٦: ١

إلى الباشا من نسل شركسي وإلى غير هؤلاء. وله قصص أخرى قوية في عرض ومعالجة المشاكل وتحليل الشخصيات تذكر منها «عطفة ... منزل رقم ٢٢»، وقصته «سارق وسارق»، وقصته «بن بجهوة وبن بالتراب». نرى محمد تيمور في هذه القصص وفي غيرها يصور النماذج البشرية تصويراً واقعياً تقرأها فتحس أننا أمام أشخاص حقيقيين وأحداث وقعت بالفعل لأنها كلها من واقع الحياة الحقيقة.

ومن هنا يمكن أن نوافق محمود تيمور في قوله أن أخيه محمد تيمور «هو الذي نادى بالتجديد في الأدب القصصي، فكان يحيط الأديب على خلق أدب يعبر عن الشخصية المصرية ويصور المجتمع المصري ويمثل استجابة للحياة من حوله، وقد جرى على ذلك الرواد الأول للدراسة سميت بالمدرسة الحديثة^١»:

فكان محمد تيمور هو الرائد الأول للاتجاه الجديد في الأدب التصصي، وانه هو الذي وضع اللبنة الأولى في أساس هذا البناء الضخم الذي اشتراك في إنشائه عدد كبير من الأدباء والمؤتمرين بالقضايا الأدبية. وقد اعترف بذلك ركناً هاماً من أركان هذه المدرسة الحديثة، فهذا الأستاذ يحيى حتى يقول: «كما أسلنا هيكل إلى محمد تيمور فكذلك يسلنا محمد تيمور إلى المدرسة الحديثة، فقد نشأت بين يديه في قصر صغير مطل على شريط سكة حديد حلوان^٢ بالمنيرة^٣ هو قصر آل رشيد أصهار بيت تيمور»^٤

ان محمد تيمور حينما بدأ يبث روح هذه الفكرة الحديثة، فكرة إعطاء القصة المصرية طابعاً محلياً وجعلها تعبيراً للشخصية المصرية، وجد عرنا كيرا

(١) نزداد دواراً، عشرة أدباء يتحدثون: ٥٠

(٢) مدينة صناعية على بضعة كيلومترات من القاهرة.

(٣) من أحياء القاهرة.

(٤) يحيى حتى، ثغر القصة المصرية: ٧٤

من الأدباء الشبان في تلك الفترة ، في العقد الثاني والثالث من القرن العشرين ظهر جيل من الشباب المثقف أخذ على عاتقه قيادة حركة النهضة الفكرية الحديثة على صفحات المجالس والجرائد مثل «السفور» و«الفجر» و«السياسة»، الأسبوعية و«البلاغ» الأسبوعي . فقد تولى بعض هذه المجالس نشر القصص والروايات في صفحاتها ، وفي مقدمتها مجلة «السفور» لعبد الحميد حمدي ، التي ظهرت فيها أول قصة فنية ، قصة «القطار»، الآتف الذكر ، ومجلة «الفجر» لأحمد خيري سعيد ، وكانت الثانية هي اللسان الناطق لهذه المدرسة الحديثة التي طالبت وقامت بجعل الطابع المحلي للأدب القصصي .

كان بعض رواد هذه المدرسة يجتمعون في بيت آل رشيد مع الأستاذ محمد تيمور لقراءة الإلإذاعة وعيون الأدب الأوروبي يناقشون في أغلب الأوقات فيما يختلج به قلوبهم بأن يكون مصر أدبها الأصيل متحرراً من التقاليد القديمة في أسلوب جديد على أن يوافق الطبيعة المصرية ومقتضيات الشعب المصري . وكان بين هؤلاء الجماعة الدكتور حسين فوزي ثم انضم إليهم الأستاذان أحمد خيري سعيد ومحمود طاهر لاشين ، واتفقوا على إنشاء مجلة صدرت باسم «الفجر»، صحيفة الهدم والبناء ، وتولى رئاسة تحرير المجلة الأستاذ أحد خيري سعيد . لم يكتب لهذه المجلة حتى العمر الاستثنائي (١٩٢٧-٢٥) ولكن في هذه المدة القصيرة أتّبع هؤلاء إنتاجاً ضخماً من الأفاصيص اشتراك فيه كثيرون ، ترك البعض هذا الميدان بعد مدة قصيرة ، وأخذ البعض شوطاً كبيراً ثم انقطع عن مواصلة الكتابة ، وواصل الآخرون عملهم الأدبي إلى الآخر . أخذت هذه الجماعة من الشبان على عاتقها تطوير الأدب القصصي وجعل موضوعاتها تحوم حول القضايا المصرية الصرفة وتطعيمها بالنماذج البشرية من صيم الشخصيات الشعبية المصرية .

وكان محمود طاهر لاشين من أولئك الذين دعوا في أعمالهم الكتابية و

لم يتوقفوا في الطريق. له إنتاج حسن في الأفاصيص الاجتماعية. كان لاشين من أسرة متوسطة الحال، اشتغل مهندساً في مصلحة التظيم بالقاهرة، لذلك كان يعتبر من بين أصحاب هذه المدرسة أكثر الاتصالاً بالشعب. فاستطاع لاشين بحكم هذا الاتصال القوى أن يكتب قصصاً عن موضوعات تتعلق بالشعب المصري، وكان يعتمد في كتابة معظم هذه القصص على خبرته وتجربته كـ يقول الأستاذ يحيى حتى: «رأيته ذات يوم يهرب من عمله ليقضي نهاره في المحكمة الشرعية ليجد الجو الصادق لقصته يكتبه وتدور وقائعاً في تلك المحكمة، تلك هي قصة «بيت الطاعة»، في مجموعة سخرية الناي».^١

كاتب آخر من أفراد هذه الأسرة، الأستاذ يحيى حتى، قدم للجتماع قصصاً حاول فيه عرض القضايا المحلية. انه اشتهر في دنيا القصة بقصته «قديل أم هاشم»، انها قصة تحوم حول صراع داخلي في نفس الإنسان بين القيم الغربية التي أخذها أثناء دراسته في أوروبا وبين القيم الشرقية المحلية التي نشأ عليها، صور فيها الكاتب العذاب الروحي الذي لقيه في فترة سابقة، جيل من المثقفين المصريين الذين اتيحت لهم فرصة أن يقتبسوا من نور العلم، ويأخذوا شيئاً من الحضارة الغربية المتقدمة، ثم يعودوا إلى البلاد فيحسوا بذلك الفرق الكبير بين تقدم تلك البلاد وبين تأخر بلادهم. عاد شباب من هؤلاء الطلائع بقبسات من نور العلم وقد ثبتت أرواحهم ونقوسم بشيء من القيم المدنية والحضارة الغربية فأنكروا كل شيء ورفضوا كل تراث وعاملوا شعبهم كأنهم ذوو فضل عليه وإحسان. فوجدوا أنفسهم في صراع مرير بين ما تلقوا بها من القيم الجديدة وبين ما هو كائن في البلاد على أساس متينة من تراث الشعب وأسلوبه في الحياة، فأدرك البعض أن العلم الذي جاء به إلى البلاد لن يتأق بثاره إلا إذا لون بلون اليثة المصرية وقامت الأيدي المصرية بالافادة

(١) يحيى حتى، طبع قصة مصرية: ٨٥

منه بطرق مصرية حتى إذا جاء بتاجه وثمره يكون في الطابع المحلي القوى. انه حاول معالجة ذلك كله في قصته «ونديل أم هاشم» ولو أنه خالفه الحظ في إثبات ما أراد ومعالجة ما حاول.

إلى جانب هؤلاء أركان المدرسة الحديثة، هناك كتاب كثيرون قدموه وأعمالاً أدبية هامة تعرضا فيها لمسألة تقديم القيم الشرقية على المدينة الغربية، وتقدم شخصيات محلية من الشعب المصري. في مقدمة هؤلاء الأستاذ توفيق الحكيم في روايته «عودة الروح»، التي ظهرت في العقد الثالث من القرن العشرين، قد تعرض فيها توفيق الحكيم لل موضوع في اشكال.

ان الفترة التي نشأ فيها لاشين كانت فترة تبلور فيها الأفكار المختلفة، ولكن الغلبة كانت لمبدأ لاصريين أي ان الفكرة الوطنية كانت غالبة على المبادئ الأخرى. ان التجارب التي مر بها الشعب المصري من تسلط الحكم الأجنبي، ثم سيطرة أسرة محمد علي، وفي خلالها الاحتلال الإنجليزي، وإلى جانب ذلك عدم نفعية النعرات التي ظهرت في الأيام السابقة مثل المناداة بتكتل الشعوب الإسلامية أو الشعوب العربية، كان من متطلبات ذلك كله أن تتجه الأفكار في مصر إلى ضرورة القيام بالدعوة إلى الوطنية المصرية للتخلص من كابوس الاحتلال واستغلال الأجنبي. ظهرت الحركة الثورية العظيمة عام ١٩١٩م. ومن معالم هذه الدعوة الوطنية ظهور بنك مصر عام ١٩٢٠م^(١) على يد طلعت لإنشاء رأس مال وطني يمكن تخليص البلاد من السيطرة الأجنبية على اقتصادياتها، ثم ظهور التغيرات الكبيرة في السياسة المحلية منها صدور الدستور في سنة ١٩٢٣م^(٢).

في هذا الجو من النعرات والهناقات المدوية للوطنية المصرية نشأ طاهر لاشين

(١) عبد الرحمن الرافنى، ثورة سنة ١٩١٩م، ٢٥٩:٢

(٢) عبد الرحمن الرافنى، في اعتقاد الثورة المصرية ١١٣:١

وانضم إلى المدرسة الحديثة التي أخذت أعضاؤها على عرواقهم تهضير الأدب الفصحي. ويظهر من أقصاصه أن له اتجاهًا خاصاً في الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية في البيئات المتوسطة، نرى ذلك واضحاً في قصته «يمكى أن»، أولى قصص المجموعة بنفس الاسم. وقد استطاع لاشين أن يتناول في أقصاصه معظم المشاكل التي تتعلق بهذه الأوضاع الاجتماعية، وما يسود الأسر من الهموم والمستعصيات الاجتماعية، مثل تعدد الزوجات وما يحاب ذلك من المصادب، والزواج الغير المنكافي ونتائجها من الخيانات الزوجية وانهيار الأسرة، ومشكلة الخنز وجنايه على الحياة العائلية، والمحاولة من بعض الأفراد من الطبقة المتوسطة للوصول إلى الحياة الراقية المنعمة التي دائمًا تؤدي إلى هاوية لا مخرج منها، وأعمال أولئك الفاسدين الذين تعمدوا رداء رجال الدين.

ولكن اهتمامه الشديد بالمواضيعات الاجتماعية لم يعجب زميله في المدرسة الحديثة الأستاذ يحيى حقي حيث يقول: «وكان الكاتب وقع فسقية سهلة لإرهاب الفكرة الفائلة بأن الأدب مرآة للجتماع ورسالته، فكلف نفسه عمداً بفرد قصة لعلاج كل عيب من عيوبنا الاجتماعية، فهذه قصة عن بيت الطاعة، قصة عن تعدد الزوجات، قصة عن هدم الخنز لكيان الأسرة، قصة عن الزوج بالاجنبيات وجنايه على الأولاد، قصة عن البخل وأخرى عن أولياء الله الرائعين وخطفهم. ولذلك لم تسلم هذه القصص عن الخطأ، المنبرية واللهم خطأ ونفحة الوعظ والإرشاد».

لا أدرى من أين جاءت فكرة هذا الإرهاب في ذهن الناقد الكبير ولا أدرى كيف أصبحت فكرة الأدب مرآة للجتماع ذات إرهاب، إن هذه الفكرة قد وجدت في الأدب العربي منذ القدم فإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي نجد الشعر الذي كان يجري على كل لسان يصور الحياة القبائلية سواه أكانت

بدوية أو حضرية، كما نظم كثير من الشعر في الحاسة والأخذ بالتأثر. فكان الشعر يصور حياة العرب حتى في ذلك العصر الذي يعتبر عصر الجود والركود في الحياة الأدبية، ان هذا الجود نفسه يعطيها فكرة عن ذلك التدهور الذي وصل إليه المجتمع العربي في ذلك العصر؛ ومن المسلم أن المجتمع السليم لا تكتمل عناه «إلا إذا كان فيه من رجال الأدب من يوجهه إلى الطريق المستقيم» فان «المجتمع السليم هو الذي تضامن وحداته في حياته، فيكون لكل وحدة دورها في كيانه وجوده وتكليفه وواجباته». ولا يوجد الأدباء في الأمة عبثاً، فهم لها هداة الطريق، وهم مرآتها الصافية النقية التي ينبغي أن تصور آلامها وأمالها ومواقفها وكل ما حللت به في الماضي وتخلم به في الحاضر. وان الأديب من أمنته ولها، يذيع أفكارها ومشاعرها وكل ما هزها وأثر فيها من أحداث ظاهرة وباطنة مستترة»^١.

وهذه الأشكال مختلفة بالرمزية تارة بحيث يتدرج إلى الموازنة بين شخصيات مصرية وغير مصرية من توطنوا في مصر من الأتراك وغيرهم، وبصراحة تارة كما كان أثناء الحديث الذي دار بين مهندس الرى الانجليزى وخبير الآثار الفرنسي حول الشعب المصرى، حول القوة النفسية التي هي منبع الفكر والإحساس في نفس هذا الشعب منذ قديم الزمان.

وأخيراً أخذ هذا الاتجاه يتسع ويرسخ في الأعمال القصصية للأدباء المصريين، ظهرت بعض قصص طه حسين التي جمعت في مجموعة باسم «المعدبون في الأرض».

ان هذه القصص نشرت متفرقة في مجلات مصرية، ثم صدرت في مجموعة قبل ثورة ١٩٥٢م، ف逡ودرت فنشرت في لبنان، ثم في مصر بعد قيام الثورة^٢.

(١) شوق ضيف، في النقد الأدبي: ١٩١ (مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٢٦)

(٢) مقدمة المعدبون في الأرض: ١٠-٩

أن هذه القصص تشمل على هذه «الأحاديث»، التي أملأها عبد الأدب. ولكنها ليست مجرد أحاديث بل أنها تعبّر عن حوادث وشخصيات في شكل قصص حكاها الكاتب على نمط السرد، أودعها خواطره وأحساسه عن الحياة الاجتماعية في مصر وعن البؤس والشقاء الذي كان يعيشه منه معظم الشعب المصري، لذلك نراه يقدم هذا الكتاب إلى أولئك الذين يحرقون الشوق إلى العدل، وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل، إلى أولئك هؤلاء جميعاً وإلى الذين يجدون ما لا ينفقون، وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون.

وقد أردف الدكتور طه حسين هذا الإهداء بمقدمة شرح فيها ما كان يقصد بهذا الإهداء قال فيها «لا أجد تصوير الحياة في مصر أثناء الأعوام الأخيرة من العهد الماضي أرق من هذين الإهدائين الذين يقرؤهما كل من تناول هذا الكتاب». قد كان المصريون في تلك الأعوام القريبة البعيدة فريقين، أحدهما يصور الكثرة الكثيرة البائسة التي تحرق شوقاً إلى العدل مصباحة وعيسية، وفيما بين ذلك من آناء الليل وأطراف النهار، والآخر يصور القلة القليلة التي تشفق من العدل حين تستقبل ضوء النهار، وتفرغ من العدل حين تجدها ظلة الليل، وكان فريق الكثرة لا يجد ما ينفق في رزق نفسه ورزق من يعول، فيشقى بما يجد من الحرمان ويشقى أشد الشقاء وأعظمه نكرا بما يجد عياله من الحرمان^١.

فجاءت قصصه كلها تصور هذا الحرمان، ونرى أقوى صورة لها في قصته الأولى التي يصور فيها هذا الحرمان في شخص صالح ذلك الصبي الذي لم يجد من الأكل ما يشبعه ومن الملبس ما يستره.

إلى جانب هؤلاء هناك علاق من العملاقة الفن التصني، ذلك هو الأستاذ محمود تيمور، انه حمل لواء الأدب التصني بعد وفاة أخيه الأكبر

(١) مقدمة المذمرون في الأرض: ٥

محمد تيمور، وأخرج إنتاجاً غزيراً من أقاصيص، وبعض القصص الطويلة، والروايات، وبعض التمثيليات يبلغ عدد مجموعها أكثر من ثلاثين كتاباً. كان أكثر اهتمامه - كأبيه الأكبر - بالطبقة الفقيرة الكادحة من الشعب المصري، فأخذ في قصصه يعطف على البائسين عطفاً شديداً كما أنه قام بتصوير الشخصيات الشعية في الريف والمدن، كانت له في البداية حماسة بالغة في عرض قضايا اجتماعية. وقد حمل راية الاتجاه الواقعى في الأقصوصة مع نزعة قومية محلية في إبراز العيوب الاجتماعية في البيئة المصرية على اختلاف طبقات شعبها. كان يعتمد في عرض هذه العيوب على إطار من الأحداث واستعراض شخصيات أكثرها ريفية ويعرض كل ذلك عرضاً واقعياً، ثم بدأ يتناول موضوعات كثيرة تصور أشكالاً مختلفة من الريف والمدينة تعبر سذاجة الناس أو وفائهم أو ضعفهم في فهم وحل مشاكلهم، بصورة تثير العطف في كثير من الأحيان، وكان كأبيه يهتم بالقراء ويتعنى بأمورهم، وتارة يخصص منهم أهل القرية وال فلاحين، ومن هاجر منهم إلى المدن طلباً في الرزق والكسب. وقد استطاع تصويرهم تصويراً حقيقياً مع أنه لا يمت إليهم بصلة، فهو من الطبقة الغنية الارستقراطية، وربما أعاذه على ذلك اتصاله الوثيق بالريف المصري، وذكرى طفولته التي قضتها متقللاً في مجتمعات الفلاحين «يسمع إلى أحاديثهم ويطرأ لغانيهم ويلعب بالكرة في يادرهم^١».

ثم بدا له أن إصلاح العيوب في تظواهر الاحتماعية واجب أول، وأنزل عنده هذا المفهوم الإصلاحي يعمق ويأخذ مجالاً جديداً لإصلاح نفس الفرد في ميولها ونزاعاتها الخاصة، فأخذ في بعض قصصه يعرض التحليلات النفسية لزياراتها. ثم تطور هذا الاتجاه إلى إيمان منه بأن من واجب الأديب أن يكون معيراً صادقاً عن عواطف ونزاعات مجتمعه، يصف

(١) مقدمة المجموعة «نرعن الصغير».

التقاليد والعادات التي تؤثر في خلق نفسيّة الإنان العائش في بيته خاصة، يقول في ذلك «عَارُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي بَدْءِ نَهْضَتِنَا الْأَيْكُونَ لَنَا أَدْبُرُ مَصْرِيٌّ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِنَا وَيَعْبُرُ عَنِ الْأَخْلَاقِنَا وَعَوَاطْفِنَا وَيَصْفُ عَوَانِدِنَا وَيَسْتَأْذِنُنَا أَصْدِقُ وَصَفَّ، هَذَا الْأَدْبُرُ فِي نَظَرِي أَمْ شَيْءٍ يَجُبُ أَنْ تَلْفَتَ إِلَيْهِ وَنَعْبُرُهُ بِجَهْدِنَا الْكَبِيرِ فِي نَهْضَتِنَا الْجَدِيدَةِ لَأَنَّهُ الْمَرْأَةَ الصَّادِقَةَ الَّتِي تَعْكَسُ عَلَيْهَا صُورَتِنَا الْحَقِيقِيَّةَ، بَلْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْثُلُنَا جَسِيًّا وَنَفْسًا وَعَوَاطِفَهُ. هُوَ نَحْنُ لَا أَقْلَى وَلَا أَكْثَرٌ».

معظم هذه الأعمال الأدبية ظهرت في فترة بين الحريين العالميين ، الفترة التي رسمت فيها الأفكار وتنظم فيها الأدب القصصي وتوطدت أركانه . ثم ظهر جيل جديد من الأدباء تقدموه بركب هذا الأدب إلى منازل جديدة وفي طريق آخر ، ولكنهم لم ينسوا تلك الفكرة وذلك الاتجاه . فنرى مثلاً نجيب محفوظ على المسرح الأدبي بشكل جديد وأفكار جديدة من المسائل السياسية والمشاكل الاجتماعية ، ولكنه لم ينحرف عن جعل رواياته مطعمة بالشخصيات من الطبقات المختلفة من الشعب المصري وبالقضايا المحلية ، وبالأخص في رواياته الثلاث الشهيرة بثلاثية نجيب محفوظ ، وفي رواياته الأخرى أمثل «القاهرة الجديدة» و«خان الخليلي» و«زقاق المدق» .

لن يكتمل الكلام في هذا الصدد لو لم نذكر تلك الرواية الشهيرة عن الريف المصري وعن كفاح أهلها من أجل صون أراضيهم وأملائهم ، هي رواية «الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوي أو تلك الأفاصيص التي بدأ بعض الأدباء الشبان كتابتها وعرضها عن العمال وعن الطبقة الكادحة من الفلاحين وصغار المؤظفين ، معظم هؤلاء الأدباء ظهروا على منصة الأدب بعد الحرب العالمية الثانية ، وتناولوا موضوعات تتعلق بصيم حياة عامة الشعب المصري ،

منهم عبد الرحمن الخنisi في قصصه القصيرة ويوسف ادريس الذى ألف روايات ومتسلقات وأفاصيص ، وصلاح حافظ ، وابراهيم عبد الحليم ، ولطفى الغولى ، ومحمد صدقى الذى نرى فى أعماله هذه الظاهرة أكثر وضوحا ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى اتصاله المباشر بهؤلاء الكادحين من طبقة العمال بحكمه واحدا من افراد هذه الطبقه .

وأخيرا أستطيع أن أقول ان القصة المصرية منذ عهد قديم كانت تعنى بالمسائل المحلية وكانت تعرض فيها شخصيات تمثل أفراد المجتمع المصرى ، ولكنه لم يكن ذلك واضحا في القصص القديمة كما انه لم يكن هناك اتجاه واضح إلى ذلك في أوائل النهضة الحديثة ، ولو كان يوجد بعض التمثيل لهذا الاتجاه . ثم جاء القرن العشرين ، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت جماعة من الساسة المحليين طالبوا يجعل المسائل السياسية مختصة بالقطر المصرى ، وكانت الفكرة الوطنية في نظرهم أمضى وأقوم للحصول على استقلال البلاد وحريتها ، من الدعوة إلى القومية العربية أو التكتمل الدينى . فتأثير الأدب بهذه الدعوة ونشأت جماعة من الأدباء نادوا بتمصير الأدب يجعله أدبا محليا يمثل الشخصية المصرية تمثيلا حقيقيا بإعطائه صبغة محلية بحيث يشتمل على نماذج من أفراد الشعب المصرى ، فصار هذا الاتجاه إدراكيا بعد أن كان تلقائيا وأصبح مبدأ وهدفا مقصودا للأدباء والكتاب .

الدكتور محمد مهدي الأنصاري

علي گزه (المهد)

نسخة لكتاب نهج البلاغة

«نهج البلاغة» مجموعة خطب وتوقيعات وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، جمعها الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاھر أبي أحمد الحسين بن موسى (٩٦٩-٥٤٠ھ/١٥١٥-٩٦٩م) وتوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية بعلی گڑھ نسخة لهذا الكتاب، وهي من نسخ العالم القديمة، فقد نسخت بعد وفاة الجامع باثنتين وثلاثين ومانة سنة، أى في سنة ١١٤٣/٥٥٣٨م.

والإمام علي رضي الله عنه، الذي بني هذا الكتاب على ظلاته، قال في النبي ﷺ «أتنا مدينة العلم وعلى يابها». وكان في جماعة الصحابة على منزلة الإمامة والاجتهد في فهم القرآن واستبطاط المسائل، وهذا هو السر لما نرى في كتاب نهج البلاغة من بحر زاخر لعلوم البلاغة والبيان والفلسفة والكلام والحقائق والمعارف.

وقد احتل هذا الكتاب في القرون التسعة الماضية مكانة مرموقة في العلوم الإسلامية من الناحية الأدبية والدينية، يقول ابن يوسف الشيرازى: «يرى علماء الإمامية، رضوان الله عليهم أجمعين، هذا الكتاب تاليا للقرآن، ويسمونه أخاه له^١».

وكان جامعاً لهذا الكتاب الشريف الرضي من العلامة البارزين في عصره، وكان الخليفة القادر باهه معتقداً ومحباً له. ومن مؤلفاته الجديرة بالذكر سوى نهج البلاغة ما يأتي:

١ - خصائص الآئمة

٢ - مجازات الآثار النبوية

(١) نهرس مكتبة مارة عالى په سالار ١١٢:٢ (مطبعة مجلس، طهران، ١٣١٥)

- ٣ — تخلص البيان عن بجازات القرآن
 - ٤ — حقائق التأويل في متشابه التزيل
 - ٥ — سيرة والده الطاهر
 - ٦ — رسائل الرضي
 - ٧ — مدار ينه وبين أبي إسحاق الصابي
 - ٨ — كتاب الزيادات في شعر أبي تمام
 - ٩ — مختار شعر أبي إسحاق الصابي
 - ١٠ — منتخب شعر ابن الحجاج باسم «الحسن من شعر الحسين»
 - ١١ — أخبار قضاة بغداد
 - ١٢ — تعليق خلاف الفقهاء
 - ١٣ — حاشية على إيضاح أبي علي الفارسي
 - ١٤ — معانى القرآن
- وقد جمع شعره أبو الحكيم الخبرى في أربعة أجزاء.

ويرى بعض الباحثين أن الخطب التي يشتمل عليها كتاب نهج البلاغة ليست جيئها صحيحة النسبة إلى الخليفة على رضي الله عنه، يقول ابن خلkan:

«قد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل هو جمه أم جمع آخوه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم».

ويزيد هذا الاعتراض أهمية ما نرى من الخلافات الأساسية في نسخ هذا الكتاب. وقد دل آفانيه منزوى على بعض هذه الخلافات في فهرس مكتبة

(١) ونبات الأعيان لابن خلkan ٣: ٣، طبعة محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٨م

جامعة تهران^١.

وقد أجاب مولانا امتياز على عرشى في مقالة عن اعتراض ابن خلkan وغشيه من العلام إجابة علمية، وفند مزاعم كثيرة حول كتاب نهج البلاغة (وقد نشرت المقالة مع الترجمة الأردية للكتاب ، طبعة الشيخ غلام على وأولاده ، تجارت الكتب ، لاہور).

وتوجد نسخ خطية لنهج البلاغة في مكتبات أوربا والشرق الأوسط ، ونسخة جامعة تهران تجدر بالذكر من بين النسخ ، فإنها نسخت في سنة ٥٩٩٤ ولكن النسخ التي استفاد منها الناسخ في المقابلة والتصحيح كانت بينها نسخة ترجع إلى سنة ٤٠٠هـ (أى بعد وفاة الشريف الرضي بست سنوات) ، وثانية ترجع إلى سنة ٥٥٨هـ ، والثالثة هي نسخة ابن أبي الحميد^٢ ، وقد أفاد بروكلمان أيضا عن بعض نسخه^٣ . ونسخة جامعة على گزه أقدم من جميع هذه النسخ . وقد قام أعلام العلامة في كل عصر بشرح كتاب نهج البلاغة ، وقد ذكر له ابن يوسف الشيرازي ٦٦ شرعا ، ومن بينها شرح ابن أبي الحميد (٥٨٦-٥٦٥٥هـ / ١١٩٠-١٢٥٧م) الذي يحظى بأهمية خاصة^٤ .

وقد حظى هذا الكتاب بالقبول في الهند في القرن الثالث عشر الميلادي ، وكان الشيخ حيد الدين الناگوري خليفة الخواجة معين الدين الأجيرى يشتى عليه خاصة^٥ .

(١) نهرست کتابخانه دانشگاه تهران ٢: ٢١٢-٢٢٢

(٢) راجع نهرس مکتبة الجامعة ٢: ٢٢٢-٢٢٣

(٣) Rاجع G.I.P. 405, S. 1, 132, 705

(٤) Rاجع نهرس مخطوطات جامسة برنسن Descriptive Catalogue of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts, No 239. British Muslim Catalogue Supp. No. 527 وأيضا

(٥) راجع مخطوطة سرور الصدر ،

وقد ظهرت للكتاب طبعات عديدة في مصر وتبيرز وبيروت وطهران ، وقد شرحه باللغة العربية عالم مصر الشهير الشيخ محمد عبده .

وطبعة طهران تحتوى على ترجمة فارسية قام بها العلامة علي نق فيض الاسلام مجتهد العصر لايران . وله ترجم باللغة الاردية أيضا مترجمها السيد ظفر مهدي والسيد محمد صادق والحكيم ذاكر حسين . وبالمراجعة إلى هذه الترجم والحواشي نشر الشيخ غلام علي وأولاده ترجمة له من لاهور . ونسخة جامعة على گزه هذه تحتوى على مجلدين ، في الأول الخطب وفي الثاني التوقيعات وغيرها ومن الكتابات على الصفحة الأولى من المجلد الأول :

«من فضل الله السكري الوهاب دخل في نوبة فقير ربه الغنى
رمضان بن علي الجزائري ساكن محروسة البحرين عني عنهم بمنه
وذكره وشفاعته محمد وآل الأطهار عليه [السلام]» .

«ثم اتقل إلى خزانة الحاج الجليل ... الأئل الحاج اسماعيل بن
المرحوم الحاج ابراهيم بن ... بمحمد وآل الطاهرين» .

«استنقذ هذه النسخة العتيقة من الملائكة قاصداً للذى لا يحيطه
الملائكة متصرفها أهل عباد الله الغنى محمد كاظم بن حبيب الله
عفا الله عنهم فى سنة ١٠٢٤» .

«من عوادى الزمان» ، وأنا العبد الجانى طيفور بن سانان محمد
البساطى ، أؤتيا كتابهما يمينهما بالنبي وآل الطاهرين صلات
الله عليهم أجمعين . «قد اشتريت هذا الكتاب فى شهر رمضان
(٤) المبارك بعرض سبعة (رويات) المبالغ الراجح فى دار السلطة
سمى لكهنتز (و) أنا العبد الأحقن سيد أبو جعفر عني عنه» .

ثُمَّ بعد ذلك عارة فارسية تفيد بأن الكتاب قد دخل في مكتبة

أبي جعفر هذا في ٢٢ من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٥٤.

وهذا كله من كتابات الصفحة الأولى، أما الصفحة الأخيرة من هذا الجزء فتوجد فيها العبارة التالية من يد الناشر «تم الجزء الأول» ثم عبارة «عورض بالأصل والحمد لله وحده» وهذه العبارة تدل على أن النسخة قد تمت معارضتها بالأصل المنقول عنه. وتوجد العبارة التالية على الصفحة الأولى من المجلد الثاني :

« بتاريخ اليوم الثاني من شهر ربيع الأول اتقل هذا الكتاب المشتمل على ... الهمام خليل الرسول وزوج البطل ... على بن أبي طالب عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل ... إلى ملك الشيخ الجليل والعالم النبيل ... والظلل الظليل الشيخ مبارك بن الشيخ عبد الله بن المرحوم المدعى (؟) مبارك النجراوي ... كاسمه وزيد في فمهه وعلمه وحضر لذلك راقم المطبعة وراسم العبارة المذكورة الأشرف إلى رحمة ربه الصمد عبده الأذل مظفر بن حسن بن محمد عني الله عنه». وقد كتب الناشر في نهاية المجلد الثاني :

«وفرغ من تحريره الفقير إلى رحمة الله تعالى العبد المذنب على بن أبي القاسم بن علي الحاج في المتصرف من شعبان ، عظم الله بركته ، من شهور سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة من السنة هجرية (؟) التي حج في الكاتب».

وقد قارن هذه النسخة على بن أبي القاسم بنسخة عالم هو أفضل الدين الحسن ، وقد كتب فيها جملة «طول الله عمره» لأفضل الدين ، وهذا يدل على أنه كان حيا وقت كتابة النسخة.

وعلى نسخة الجامعة الإسلامية هذه أختام وتوقيعات وكتابات لعلماء

عديدة ، منها كتابة تدل على أن هذه النسخة كانت في البحرين لمدة لا سيل إلى معرفة قدرها . والكتاب الأولى ترجع إلى سنة ١٠٢٤هـ ، والأخيرة إلى سنة ١٣٤٤هـ ، وهذه الكتابة للأستاذ عبد العزيز الميعرفى ، يقول :

«طالع هذه النسخة العادية معترفاً بقيمتها عبد العزيز الميعرفى
الراجحوى السلى المقرى بالجامعة الإسلامية فى على گزه فى جمادى
الأولى سنة ١٣٤٤هـ».

الأستاذ خليل أحد النطامى

على گزه (المهد)

نسخة تاريخية لمجمل اللغة لابن فارس

أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا القزويني الرازى (٥٣٩٥-٣٢٩) يعد من أئمة اللغة والأدب. كان من سكان قزوين، وأقام في همدان مدة ثم انتقل إلى الرى وتوفي هناك. ويدل على فضل مرتبته وعظم قدره أن الإمامين في الفنون بديع الزمان الحمداني (٥٣٩٨-٣٥٨) والصاحب بن عاد (٥٢٨٥-٣٢٦) كانوا من تلاميذه. ومن مؤلفاته التي تجدر بالذكر «مقاييس اللغة»، و«الصحابي»، و«النيروز»، و«الحاسة المحدثة»، و«الفصيح»، و« تمام الفصيح»، و«فقه اللغة»، و«ذم الخطأ في الشعر»، و«مجمل اللغة».

والأخير يعد من كتب اللغة المهمة. وقد ورد ذكر نسخه العديدة في تاريخ آداب اللغة العربية ببروكلان^١. وجاء فيه ذكر طبعة واحدة لهذا الكتاب التي صدرت سنة ١٩١٣/٥١٣٣٢ م. أما طبعة الأخرى التي صدرت من مصر نفسها في سنة ١٩٤٧ م فلم يذكرها بروكلان.

وتوجد نسخة مهمة جدا لمجمل اللغة في مكتبة جامعة ليدن^٢، وقد يتسرت لى مطالعتها. وقد ذكرها بايجاز كل من «دى خويه»، و«ث. هوتسما» في فهرست المخطوطات لمكتبة ليدن^٣ ولكن بحيث لا تظهر أهمية هذه النسخة، وكذلك لافت به على الأعلام الذين كانت هذه النسخة في مكتباتهم ووقعوا عليها أسمائهم، ولا على الناسخ الذى نسخا بخطه. ويرى كاتب هذه السطور، وقد

(١) Brockelmann, GAL Suppl. i, 197

(٢) p. Voorhoeve, Handlist of Arabic Manuscript. (Leiden, 1957)
p. 222

(٣) De Goege, Th. Houtsma, Catalogus Codicium Arabicorum
(Leiden, 1888) p. 4

أيد هذا الرأى الدكتور س. م. استرن^١، أن هذه النسخة بأسرها قد نسخت يد ابن ميمون البغدادى.

أما محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادى^٢ فلا نعلم زمان مولده ووفاته ولكنه من المحقق أنه عاش إلى سنة ٥٨٩هـ، لأنه في هذه السنة قد أكمل كتابه «متهى الطلب من أشعار العرب» في بغداد. وقد جمع فيه ألف قصيدة منتخبة من أشعار شعراء العرب الذين يستشهد بكلامهم ويستند إلى أشعارهم، وتوجد نسخة في تركيا ومصر. وقد كتب عنه الدكتور معظم حسين بجامعة داكا مقالاً مفصلاً. وقد طبع أخيراً الجزء الأول من هذا الكتاب في القاهرة.

وكان ابن ميمون تليداً للنحوى الشير ابن الخشاب البغدادى^٣ (٤٩٢-٥٦٧هـ). وقد درس عليه مع الكتب الأخرى بحمل اللغة لابن فارس. وكانت هذه النسخة بخط ابن ميمون لدى القراءة أمامهما، وبعد الاختمام قد كتب ابن الخشاب السند بأن ابن ميمون قدقرأ عليه هذا الكتاب.

وقد كتب ابن القسطى نقاً عن عماد الدين الأصفهانى في أهمية خط ابن الخشاب: «وإذا كتب كتاباً بخطه يشتري بالثمين». ويقول ابن خلkan: «وكان خطه في نهاية الحسن». ولكن لم يصل إلينا أى كتاب بخط ابن الخشاب، ولم أطلع على نموذج من كتابه. وقد نشر خير الدين الزركلى نماذج مصورة لخط مئات المؤلفين والشعراء في الطبعة الثانية من كتابه: «الأعلام»، الذي صدر

(١) S. M. Stern, "Some manuscripts of Abul-'Ala al-Ma'arri" ORIENS, Vol. 7 (1954) p. 328

(٢) Brockelmann, GAL Suppl. i, 494

(٣) S. Mu'azzam Husain, JRAS (1937) p. 433

(٤) ابن القسطى: إباه الرواة (٩٩:٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (٤:٢٨٦):

Brockelmann, GAL Suppl. i, 493

عن مصر في عشرة أجزاء سنة ١٩٥٩م ، ولكتا لم نجد فيها نموذجا لخط ابن الخطاب أو توقيعه ، ونظرًا إلى ذلك تكون صورة خط ابن الخطاب التي نشرها مع هذا المقال موضع اهتمام القراء وعنايتهم^{١)} . وخط ابن الخطاب يحمل معه طابع الخبرة والجودة والكمال . وهنا ثبت ما كتبه على غلاف «بحمل الآية» :

«قرأ على هذا الجزء من أوله إلى آخره الرئيس الأجل العالم الولد شرف الرؤساء أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون تفعه الله بالعلم قراءة ضبط وتصحیح وإنقان في مدة آخرها في حرم سنة ست وأربعين وخمس مائة . وكتب عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخطاب بخطه في التاريخ حامدا الله تعالى ومصليا على سيدنا محمد النبي وعلى آله ومسلاه .

وفي ختام هذه النسخة لجمل اللغة نجد العارة الآتية بخط ابن ميمون :

«قابلت من ترجمة «رقده» في الثلاثي إلى هذا الموضوع سوى مجلس فاتي وهو من باب الراه والجيم وما يليهما إلى ترجمة «ذبن» بهذه النسخة خط شيخنا وسيدنا وعلمنا وأوحدنا أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخطاب أدام الله حياته في مجلسه وهو يسمع بذلك في سنة تسعة وأربعين وخمس مائة وكتب قرأت جميع هذا الجزء عليه قراءة ضبط ومقابلة في مدة آخرها حرم سنة ست وأربعين وخمس مائة وخطه حرسه الله في أوله بذلك وكتب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون حامدا الله ومصليا على عده ونبيه محمد وعلى آله» .

(١) والكاتب مدین بالفضل للدكتور فورهونه (Dr. Voorhoeve) والدكتور هويسمان (Dr. Huisman) بكلية جامعة ليدن اللذين قد ساعدا في الحصول على هذه الصرفة الفرتغانية .

وتحت هذه العبارة يوجد بخط ابن الخطاب ما يأتى:
«هذا صحيح وكتب ابن الخطاب بخطه».

وقد كُل «بجمل اللغة» في جزئين. وكانت نسخة ليدن أيضاً في مجلدين، وكانا يوجدان إلى سنة ٥٥٦٥ ولكن الآن يوجد المجلد الأول فقط وهو يحتوى على ٣٠٩ ورقة، ولا يعلم شيئاً عن المجلد الآخر. ومن المصادقة العجيبة أن الكاتب قد اطلع على نسختين مطبوعتين لهذا الكتاب ولكن ينقصها المجلد الثاني. والجزء الأول وفق النسختين المطبوعتين يتنهى على «باب الدال واللام»، في حين أن الجزء الأول لنسخة ليدن يتنهى على «كتاب الصاد»، ويبدأ الجزء الثاني من «كتاب الضاد».

ونسخة ليدن نسخها ابن ميمون في سنة ٥٤٦^١. وقرأ هو هذا الكتاب على ابن الخطاب في سنة ٥٥٤٦. وكانت هذه النسخة قد بقيت لديه إلى سنة ٥٥٤٩ على الأقل، ولكنه يدو أثر هذه النسخة الثمينة قد فارقه في حياته، لأنه من المحقق أنه عاش إلى سنة ٥٥٨٩، ونرى أن النسخة المذكورة قد وجدت لدى عز الإسلام أبي على الحسن بن محمد الملكي العادلي قبل سنة ٥٥٦٥، وإنه بدوره يهب هذه النسخة في العام المذكور (٥٥٦٥) لمرهف (٥٢٠-٥٦١٣) وهو ابن شاعر شيزر ومصنفها الشهير أسامة بن منقذ الشيزري (٤٨٤-٥٥٨٠). وكان مرهف هذا أديباً شاعراً مولعاً بجمع الكتب. ونجد بخط مرهف بن أسامة على الورقة الأولى من الكتاب ما يأتى:

«صار هذا الكتاب هبة وإنعاماً من المولى بدر الدين عز الإسلام
أبي على الحسن بن محمد الملكي العادلي أدام الله أيامه إلى أصغر
خدمه مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكنافى
المالكي في شهور سنة خمس وستين وخمس مائة بحلب المحروسة».

(١) والدكتور ب. نورهونه قد أثبت هذا العام نسخها ولكنه أيضاً قد سُكّت عن الناشر.

وكان الحاكم الرسولي الشهير لليم السلطان الملك المؤيد هزير الدين داود بن يوسف بن عمر بن رسول (المتوفى سنة ١٣٢٢/٥٧٢١ م) أديباً كبيراً مجاً للعلم، وكان قد ألف متنياً لكتاب «البهرة في البهرة»، وزاد فيه باحث نافعة من عنده. ثم إنه قد جمع مكتبة يقال إنها كانت تحتوى على مائة ألف كتاب.

ونجد على غلاف النسخة المذكورة بحمل اللغة العبرية التالية بالخط البارز من يد الملك المؤيد المذكور:

«من كتب العبد الفقير إلى الله تعالى داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول عفا الله عنه».

ويبدو أن هذه النسخة قد بقيت بعد خروجها من المكتبة الملكية باليمن لدى بعض علمائها إلى أن وصلت إلى رجل مولع بجمع الكتب وهو أمين المدى^١. ونحن لا نجد كتابته أو توقيعه على الغلاف ولكن توجد العبرية التالية في موضع من الغلاف، والمظنون أنها من خطه:

«أما ترجمة أسامة وكيفية إعطاء هذا الكتاب له من العادل فهو مفصل في تاريخ ابن خلكان في الجزء الأول في حرف الهاء فليراجع».

وهذه العبرية عارية عن الصحة، فاتنا لا نجد أى ذكر لنسخة بحمل اللغة هذه في ترجمة الأمير أسامة بن منقذ الشيزري ولا في ترجمة غيره في الطبعات المتداولة لوفيات الأعيان. ثم إن هذه النسخة لم تكن عند أسامة بل كانت لدى ابنه مردف بن أسامة، وكذلك لم تكن من هبة الملك العادل بل من هبة أحد المنرسلين إليه وهو الأمير عز الإسلام حسن بن محمد الملكي العادلي. وللوصول إلى موضعها الحالى قد سارت هذه النسخة مسيراً طويلاً نحمله

(١) مركب: معجم المطبوعات التورية: ١٧٢٠ (انتاجرة، ١٩٤٩ م)؛ الزركلي: الأعلام (١: ٣٥٨).

فيما يأتي :

قد فرغ ابن ميمون من نسخها في بغداد سنة ٥٥٤٦هـ، وفي هذه السنة قرأها لدى ابن الخطاب. وبعد أن بقىت مدة لدى ابن ميمون في بغداد وصلت إلى عز الإسلام بحلب، وهناك يتسللها مرهف بن أسامة موهوبة في سنة ٥٥٦٥هـ ثم وصلت إلى الحاكم الرسولي في اليمن. وجميع هؤلاء المذكورين قد وقعوا على غلاف هذه النسخة.

ووهناك كتابة أخرى في أسفل الصفحة لم تتمكن من قرامتها. وهذه الكتابات كلها ترجع إلى بداية القرن الثامن الهجري، والظنون أن هذه النسخة قد اختفت بعد ذلك في مكتبة من المكتبات واستراحة هناك مدة ثم خرجت منها لستائف سيرها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، وحيثندلت التقت بالمالكين الجدد وصاحب أصحاب العلوم والفنون، وهؤلاء أيضا قد زينوها بكتاباتهم وأختامهم، وتتمكن من قراءة توقيع عبد اللطيف بن إبراهيم، وأبي بكر بن أبي العز بن (؟) الانصارى (؟)، وخط أحد بن إبراهيم وختمه المؤرخ بسنة ٥١٢١٩هـ، أما التوقيعان الآخران والأختام الأربع الأخرى فقد شطبت بحيث لا نستطيع قرامتها. وقد وقع أبو بكر على هذا الكتاب في سنة ٥١١٥هـ.

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وصلت هذه النسخة إلى أمين الخلواني المدفني المتوفى سنة ١٨٩٨هـ / ١٣١٦م، وفي سنة (١٨٨٢هـ / ١٣٠١م) وصلت جميع ذخيرته الكتبية التي تحتوى على نفس الكتب وأثنائها وأطرافها إلى هولندا، وهناك بقىت أولاً لدى إ. ج. بريل (E. J. Brill) ثم تم شراؤها لكتبة ليدن. وهكذا سارت النسخة التي كتبها ابن ميمون بخطه ودرس فيها والتي كتب عليها كل من ابن الخطاب ومرهف بن أسامة والملك المؤيد داود ابن يوسف بن عمر بن علي بن رسول في البلاد المختلفة وقضت أياماً - قلت

أو كثُرَتْ - لدى العلَّام الأعلام إلى أن استراحت في مكتبة ليدن بهولندا. ومع أن الأستاذ خير الدين الزركلي لم يضمن كتابه «الأعلام» صورة لخط ابن الخطاب أو توقيعه ولم يدل عليه ولكنَّه يوجد خطه في كتب أخرى سوى نسخة ليدن لكتاب «بِحَمْلِ اللُّغَةِ». وكاتب هذه السطور لم يكن يعرف وقت كتابة المقال كتاباً كتب بأسره بخط ابن الخطاب.

وفيما يلي تناول بالذكر كتاباً نسخة ابن الخطاب بخطه.

تُوجَد في المتحف البريطاني نسخة لكتاب «بِحَمْلِ اللُّغَةِ»، كُتِبَتْ بخط نسخ واضح جلي، والكتاب بأسره مشكول، والناسخ هو العالم الشهير ابن الخطاب النحوي (المتوفى سنة ٥٦٧هـ). وفي خاتم النسخة تُوجَد العبارة التالية بخطه:

«كتبه عبد الله بن أحمد بن الخطاب وهو يسأل الله عفوه وغفرانه».

وفي الصفحة الأولى من الكتاب أثبت سند كتابه ابن الخطاب:

«قرأ على هذا الكتاب من أوله إلى آخره الشيخ الأجل السيد الأولد العالم جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعري أدام الله تأيده وتقعه بالعلم قراءة عرض وضبط وإنقان وقرأته كله على الشيخ الإمام الزاهد أبي دلف بهه الله بن محمد بن علي بن الحسن المقرئ رحمه الله... عن المصنف إذنًا وكان يقرأ على شيخنا الإمام أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر الجواليق رحمه الله قراءة تصحيح وأنا حاضر.. وكتب عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن الخطاب بخطه حامداً الله تعالى.. في صفر من سنة خمسين وخمس مائة».

ومن الناسخ قد أضاف وأصلح بخطه في حواشى الكتاب، وبعد معظم الكتابات أثبت حرف «خ»، والأغلب أنه رمز بها إلى «ابن الخطاب». و

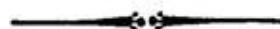
لم يثبت على السخة تاريخ نسخها ولكن الغن أن نسخت في عام ٥٥٥ أو قبله .
وورد ذكر هذه السخة في فهرس المخطوطات العربية بالمتاحف البريطاني.^١
وبصرف النظر عن المصادر التي ورد ذكرها فيما سبق عن صحة نسخ
ابن الخطاب وجودة خطه ثبت هنا المصادر التالية الجديرة بالذكر ، وقد
دلّ عليها الأستاذ شارل ريو (Charles Rieu) :

١ - صلاح الدين الصدّى : الواقي بالوفيات (British Museum. Add. 23, 358 f. 16)

٢ - الذهبي : تاريخ الإسلام (Br. Mus. Or. 51 f. 2)

٣ - السيوطي : بقية الوعاء

وكتاب «مجمل اللغة» في حاجة إلى طبعة عليه ، وفي إعدادها تكون
أهمية بالغة لنسخة ليدن ونسخة المتحف البريطاني ، الأولى منها بخط
ابن ميمون البغدادي ، والثانية بخط ابن الخطاب التحوى .



(١) Charles Rieu, Supplement to the Catalogue of the Arabic MSS. in the British Museum, (London, 1894) pp. 574-575.

قرابة أم مسطح من أبي بكر الصديق

أم مسطح رضي الله عنها صحابية جليلة من المبايعات، أسلت فسن إسلامها وشاركتها في ذلك ولداتها عوف بن أثاثة - المعروف بمسطح - وهند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنهما. لقد مات زوجها أثاثة وكان ابن عمها، فتركها وذينك الولدين منها تنظر وحدها في شأنهما وتقوم عليهما بواجبات التربية.

إنها قريبة صميمة، وكانت كا تقتضي الظروف حازمة، رابطة الجأش فأكسبها التوفيق فرصة الاشتراك مع المهاجرين الأول في فضيلة السبق. وكفاحها حظوة أن تعرض نفسها وذريتها للخطر والشدائد، تقاومها قريرة العين بما في سيل الله ورسوله من سعادة الأبد والطمأنينة. فعاشت مع ولديها عيادة الحرائر، تدور مع الحق حيثا دار.

ولعل أبي بكر الصديق رض منذ أول يوم قام يشلها برا وكفالته مقام أخبار. إلى أن هاجرت فيمن هاجروا إلى المدينة واستمر الصديق يمدّها باحتمال مؤونة الكفالة، حتى إذا صار ابنها مسطح رض يذهب مذهب الخائضين في الإفك، وكانت أم مسطح من أشد الناس على مسطح وإن كان هو فلذة كبدتها. وكانت اطلعت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها - على هذه الفريدة الدينية قبل كل أحد. وانقذ ذلك ليلة خروجهما معاً تلقاه المناصع.

كانت بين الصديق رض وبين أم مسطح رض قربة غير بعيدة، إلا أنهم اختلفوا في يانها، فلذلك رأيت أن أوضح، فيها بلي، أمر هذه القرابة النوع خاص.

ينبئ قبل كل شئ أن نعرف اسمها . قد ورد ذكرها في حديث الافك بالكنية دون الاسم واسمها فيما يقال سلمي . وبذلك أفاد العلامة السهارنفورى في حواشيه الممتعة على الجامع الصحيح^١ . وسيأتي بقية الكلام على ذلك .

أما نسبها فهو مذكور ، بقدر ما يحتاج إليه ، في الجامع الصحيح ، حيث ورد في غضون حديث الافك في كتاب المغازى : « وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف . وأمها بنت صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق » ، فأعلمتنا الفقرة الأولى نسبها ، كما عرفتنا الفقرة الأخرى بنسب أمها . ثم وردت الفقرة الأولى فقط بمحذف « المطلب » جدها في أبواب التفسير وهذا نصها : « وهي ابنة أبي رهم ابن عبد مناف » ، وهذا الحذف من نسبها لا غبار عليه ، فقد كانوا ينسبون تارة إلى الجد .

واما يجب التنبيه عليه ، أن طائفة من المصادر المتدولة ورد فيها بتصدر نسب مسطح أو أمه ، عبد المطلب بن عبد مناف ، وهو غلط ليس إلا ، ولكنه في معظم الأماكن ، فيما أعتقد ، من سوء الناسخين دون المؤلفين الأعلام^٢ . والمطلب بن عبد مناف هذا ، عم عبد المطلب بن هاشم وقد عرف بالإضافة إلى عممه كا هو معروف .

كانت أم مسطح رض ، فيما يظهر ، واحد أيها أبو رهم - بضم الراء وسكون الهاء - يوصف بالأصغر واسمها أنيس - بفتح الميمزة وكسر النون ، هكذا ضبطه ابن ماكولا ثم ابن الأثير ، وتبعهما الحافظان العيني في العمدة

(١) البخاري: الجامع الصحيح: ٣٦٤ (طبعة المدى)

(٢) نفس المصدر: ٥٩٥

(٣) نفس المصدر: ٦٩٢

(٤) انظر نسب قريش: ٩٥ (طبعة القاهرة) الاصابة: ٤: ٩٦٣ (طبعة كلكتا) ، تاج الروس: ٢: ١٩٤ ، تفسير ابن كثير على مامش فتح البيان للنواب: ٧: ٥٥ ، جامع البيان لابن جرير: ١٨: ٦٤ (طبعة بولاق) .

والعقلاني في الإصابة^١.

والظاهر من سياق نسبها - على ما تقدم - أنها قوشية مطلية، كما ذكر صاحب أسد الغابة وليست قوشية تيمية، كما زعم الحافظ في الإصابة مع تحريره للصواب في الفتح^٢.

و كذلك أفادنا النص المتقدم أن أمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وأن أم مسطح نفسها ليست خالته ولكنها كانت بنت خاله.

ومن هنا يتوضّح أن مسطح بن أثاثة البدرى - رضى الله عنه - ابن بنت خالة للصديق رض وليس ابن خاله. غير أن صاحب الحواشى على الجامع الصحيح أفاد في كتاب الشهادات بما نصه: هو ابن خالة الصديق؛ وأشار إلى أنه نقل ذلك عن الزركشى^٣.

فإنه هذا خلاف ما ثبت آنفاً بواضح البرهان. ولا بأس أن نعيد ما ثبت مرة أخرى فنقول إن أم مسطح رض كانت بنت أبي رهم بن المطلب ابن عبد مناف، ولم تكن هي بنت صخر بن عامر من بني تميم، ولكن أمها كانت بنت صخر بن عامر، فكانت أم مسطح رض لا خالة، بنت خالة الصديق رض ولم تكن خالته، فضلاً عن أن يقال في ولدها إنه ابن خالة الصديق.

وللقاتل أن يقول: إن هذا التول المحکى عن الزركشى قد جرى عليه كثير من الأعلام منذ قديم.

وأقدمهم في ذلك أبو عمرو خليفة بن خياط البصري المتوفى سنة ٥٢٤٠ هـ

(١) نسب قريش: ٩٢، الانذنفان: ٨٤ (طبعة مصر)، أسد الغابة: ٥، ٩١٨، عددة القاري: ٨: ٣٧٣،
الإصابة: ٤: ٩٦٣.

(٢) فتح البارى: ٨: ٣٢٦.
(٣) الجامع الصحيح: ٣٦٤.

فإنه ساق نسب مسطح بن أنانة رضي الله عنه ثم قال: أمه سلمى بنت صخر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وهي حالة أبي بكر الصديق^١.

ووجه محمد بن حبيب الأخاري (م سنة ٢٤٥) صاحب كتاب المحر والمنتقى، فذكر مسطحاً، إلى أن قال: هو ابن حالة الصديق^٢، فهذا القول يساند ما قال خليفة. وإدخال المسعودي تبعهما في كتاب التبيه والإشراف^٣.

ومن واقعهم ابن حزم الاندلسي حيث قال في جهرة أنساب العرب: وأمه ربيطة بنت صخر حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي من المبايعات^٤ والخلاف بينه وبين خليفة في اسمها فقط.

وأما ابن عبد البر القرطبي فإنه اختار - فيها يظهر - ما ساقه خليفة في ترجمة مسطح، ومع ذلك لم يسلم من الخلط يسير، حيث قال: وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي ابنة حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه^٥، فقوله (وهي ابنة حالة أبي بكر الصديق) كما ترى.

ثم إنه ترجم مسطح، مرة أخرى، في باب من اسمه عوف، فقال: وأمه فيها قال ابن شهاب في حديث الإفك أمه مسطح بنت أبي رهم بن المطلب ابن عبد مناف، واسمها سلمى، وأمهها ربيطة بنت صخر بن عامر حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه^٦. وهو فيها أعتقد، لقد أصاب هنالك تماماً فيها أثبته، إلا

(١) كتاب الطبقات ١ : ٢١ (طبعة دمشق ، ١٩٦٦)

(٢) كتاب النتق : ٤٩٥ (ط . دك)

(٣) ص ٢١٥ (طبعة مصر ، ١٩٣٨)

(٤) الجهرة : ٧٣ طبعة عبد السلام محمد هارون ، (مصر ، ١٩٦٣)

(٥) الاستياب ١ : ٢٨٥ رقم ١٢٦٢ (ط . دك ، ١٩٣٦)

(٦) نفس المصدر ٢ : ٤٩٨ رقم ٢٠٨٧

أن المختار لديه ما تقدم آنفاً.

ويظهر من صنيعه هذا، كيف أنهم ظلوا يمرون بما ورد من نسبها ونسب أنها في ضمن حديث الإفك، دون أي اهتمام بما يفيد ذلك بصدق الثبت من هذه القرابة بين الأسرتين.

و قبله بكثير ألقينا الإمام الكبير ابن جرير الطبرى (م سنة ٤٢١٠) يسرد حديث الإفك في تاريخ الأمم والملوك^١. وتفسيره جامع البيان، ويسوق في ضمن هذا الحديث نسبها على ما حكاه الزهرى، ثم إنه عند تفسيره لقوله تعالى (ولَا يأتل أولوا الفضل منكم والسعـة - الآية ٢٢ ، سورة النور) يقول: كـطح وهو ابن خالة أبي بكر الصديق^٢.

ثم العجب من ابن كثير رحمه الله فإنه ينقل الحديث بطوله من مسند الإمام أحمد ولكنه مع طريقته المثلى في النقد والتبيين، يمر بلا اتباه لما اشتمل عليه الحديث من تفـة مفيدة في تحرير نسبها، حتى أنه يفسر الآية الكريمة الآنفة الذكر فيقول: .. هو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكنـاً لـاماـل له^٣.

وذهب هذا المذهب الإمام الغوى في معلم التزيل^٤. وتبعه الخازن في ذلك حذو القذة بالقذة^٥.

ثم إن الإمام العيني أيضاً رمى فأشوى^٦.

(١) الطبرى ٣ : ٦٨ (المطبعة الحسينية المصرية)

(٢) جامع البيان ١٨ : ٧٢٠ ٦٤ (طبعة بولاق)

(٣) تفسير القرآن العظيم ، على هامش فتح البيان للزوابع صديق حسن ٧ : ٥٥ ، ٦٧

(٤) البغوى ٥ : ٥٣ على هامش الخازن

(٥) نفس المصدر ٥ : ٥٣

(٦) انظر عصـة القارى ٨ : ٣٧٣

وقال الإمام السيوطي في دره : وكان مسطح من المهاجرين الأولين وكان ابن خالة أبي بكر وكان يتها في حجره قغيراً.

فلا غرو إن تلا تلواه القاضى ثنا الله¹ والعلامة الآلوسى² إلا أن الآلوسى زاد عليهم قولًا استضعفه إذ قال : وكان ابن خاله وقيل ابن أخيه.

ونقلوا عن الإمام الكشميرى في أماله الموسومة بفيض البارى : وهو ابن خالة أبي بكر³.

وهناك آخر ونعت لهم نحواً منحى هؤلاء الأعلام . ولنا فيما أشرنا إليهم كفاية .

لا غرو أن أقدم هذه الأقاويل ما انحدر إلينا عن الإمام ابن شهاب الزهرى في ضمن سرده لحديث الإفك وقد أثبته ابن اسحق في السيرة كما نمر به في تهذيبها لابن هشام⁴ وتقدم نصه تلواه عن الجامع الصحيح للإمام البخارى . ويشهد له ما حکى ابن عبد البر في حرف العين من كتاب الاستيعاب ..

وهذا الذي ثبت في السيرة والجامع الصحيح وما إليهما من جوامع كتب الحديث والسير ، يساعدك كتاب نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى (مهسنة ٢٣٦هـ) فإنه قال عند ذكر مسطح وأمه - رضى الله عنها - «وأم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب» - كما ذكر - إن أمها ربيطة بنت صخر بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة⁵ - ثم قال : إن أم أبي بكر هي

(١) الدر المثود ٥: ٢١

(٢) التفسير المظہری ٦: ٤٨١ (طبعة دلهى)

(٣) روح المعانی ١٨: ١٣٥ (طبعة مصر)

(٤) فيض البارى ٤: ١٠٥ (طبعة مصر).

(٥) السيرة ٢: ٣: ١ على هامش زاد المعاد (طبعة مصر ١٣٢٤هـ)

أم الخير سلی بنت صخر بن عامر ، وكان أبو بكر يصل مسطحاً بهذه القرابة والرحم^١.

وما أثبته مصعب ، أبنته ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير في ترجمة أم مسطح ثم في ترجمتي ولديها^٢.

وكانى بالسهيل يتو تمامًا بما ثبت من نسبها في أثناء حديث الإفك فذلك لا يعد قول من خالف هذا السياق خليقاً بأن يشار إليه^٣.

لا يشير مصعب ولا ابن سعد إلى اسمها ، كما لم يرد ذلك في الحديث . ولكن ابن عبد البر يقول فيها يحكي عن الزهرى : واسمها سلمى^٤ . وقال صاحب الفتح : قيل اسمها سلمى وفيه نظر ، لأن سلمى اسم أم أبي بكر . ثم ظهرلى أن لا وهم فيه . فإن أم أبي بكر خالتها ، فسميت باسمها^٥.

وأما خليفة البصري فإنه - فيما أرى - لما وجد أم مسطح وحالها سبتين ، التبس عليه الأمر خاطئ ينها حتى ساق نسب الحالة حيث أراد أن ينسب بنت أخيها . ثم عمّ هذا الوهم وطمّ إذ تناقلوا عنه.

وأمها ربيطة بنت صخر حالة الصديق رضى الله عنه ، كذلك سماها مصعب وابن سعد ثم صاحب الاستيعاب فيها عزا إلى الزهرى . ونقل المخاتف عن أبي نعيم الأصفهانى (رائحة) بalf بعد الراء^٦ . وكذا ورد بالألف عند

(١) نسب قريش : ٩٥

(٢) الطبقات لابن سعد ٨: ١٦٦-١٦٥ : ٣٦: ٣ (طبعة لبنان ، ١٩٢١)

(٣) انظر الروض الألف ٢: ٢٢٠ (طبعة إنجازية ، مصر ، ١٩٣٢)

(٤) الاستيعاب ٢: ٤٩٨

(٥) نفح البارى ٨: ٣٢٦ (طبعة الحجيبة)

(٦) نفس المصدر ٨: ٣٢٦

ابن عبد البر في ترجمة مسطح^١. و وهم ابن حزم مع جلاله قدره إذ ذكرها
مكان بتها .

ويتلخص مما نقدم أن سلمى وريطة اختان لأب ، وهو صخر بن عامر
التيامي ، وعلى هذا كانت ربطية بنت صخر خالة أبي بكر الصديق رض
وهي التي ولدت لأبي رهم المطابي أم مسطح . وكانت سلمى بنت صخر خالة
أم مسطح وهي أم أبي بكر الصديق رضى الله عنه . فليست أم مسطح خالة
أبي بكر الصديق بل هي بنت خالته - وكان مسطح ، إذن ابن بنت الخالة
الصديق ، وكانت أم المؤمنين الصديقة بنت ابن الخالة لأم مسطح ، وبناه على
ذلك ، ما نقل الآلوسي بصيغة التريض أعني قوله : «وقيل ابن اخته»^٢ يمكن
حمله على أن أم مسطح كانت اخت الصديق من جهة الخالة .

أقول في الختام إن القائلين بكون مسطح ابن خالة الصديق تأثر بعضهم
بما حكى عن خليفة ، كما ذهب البعض الآخر فيما أرى ، مذهب التجوز ومعنى
ذلك أنهم أضافوا مسطحا إلى جدته لأمه ، ومن هنا عدوه ابن خالة الصديق .
فينبغي لنا أن نحمل كلامهم على ذلك . ولكن الأخذ بما هو حال عن التأويل
وبعيد عن التخلط أخرى والمصير إليه أولى ، والله أعلم .

(١) الاستباب ١: ٢٨٥

(٢) روح المانى ١٨: ١٣٥

ديوان شعر بشار بن برد

تأليف: الأستاذ بدر الدين العلوى المحاضر (سابقا) بالقسم العربى
والدراسات الإسلامية على كرسي الإسلامية ، عدد الصفحات ٣٠٢ ،
ورق جيد ، طبعة ممتازة ، الناشر: دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
سنة ١٩٦٥ م. الثمن ٥ ج. ل.

ليس شاعر العصر العباسي بشار بن برد (٩٥-١٦٧هـ) في حاجة إلى التعريف ، فالكل يعرف قدره ويعرف من أدبه . وكان ديوان شعر بشار مفقوداً منذ مدة طويلة ، وكان ضخماً ، فقد ذكر بشار نفسه أنه قال نحو إثنى عشرة قضيدة . وبناء على قول المرزباني كان ديوان بشار مرتباً موجوداً بعد وفاته . ولكنه مفقود منذ زمن طويل . وقد ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعانى (٥٦:٢) ديواناً برواية محمد بن حبيب الذي عاش في القرن الثالث الهجري .

أما ابن النديم (المتوفى سنة ٤٣٨هـ) فإنه لم يجد ديوان بشار مؤلفاً ، بل وجد نحو ألف ورقة مبعثرة فطالعها^١ . والذى يلاحظ أن هذا الحجم كان للديوان الناقص ، فكيف إذا وجدناه كاملاً؟ ويقول الأستاذ كرينسكي: إنه لا يوجد أحد بعد القرن السابع الهجرى يدعى بروبيا الديوان . ولكن هذا القول ليس بصحيح ، فقد وجد الخناجي (المتوفى ١٠٦٩هـ) ديوان بشار^٢ . وقد استفاد منه الخالديان أيضاً ، وهذا الأخران قد قاما بجمع منتخب جيد لشعره ، ولكنه صار اليوم مفقوداً مثل الديوان . وكان منتخب الخالديين لدى

(١) النهرس: ١٥٩ طبعة ليزج ١٨٧١ م.

(٢) شرح درة الغواص: ٢، طبعة الجواب، ١٢٩٩ م.

العالم المغربي أبي طاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التنجيبي البرقي فشرحه ، ونسخة قديمة ناقصة وجيدة لهذا الشرح توجد في حيدر آباد . وقد قام الأستاذ السيد بدر الدين العلوى بتشجيع من الأستاذ عبد العزيز الميمنى (على گزه) وموافقة من البروفسور نيكلسن (كمبردج) بتصحیح وتهذیب هذا الكتاب فنشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في سنة ١٩٣٤ م باسم «المختار من شعر بشار ، اختيار الخالدين». وكان ذلك أول مجموعة جديرة بالذكر لأشعار بشار لدى العالم العربي . وكان الأستاذ الميمنى وبعض أफاضل أوربا قد شاوروا على أستاذى المخترم السيد بدر الدين العلوى بجمع شعر بشار من المراجع العربية ، فكان يقوم بجمعه أثناء اشتغاله بتصحیح كتاب «المختار». وبعد نشر كتاب المختار وجمع مئات من شعر بشار قد أبلغه الأستاذ كرينسون (كمبردج) بأنه يوجد في المكتبة الخاصة لوزير العدل التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أجزاء من نسخة عتيقة لديوان بشار ، وإنه يريد أن ينشرها مع شرحه . وفعلا قد ظهرت ثلاثة أجزاء لديوان بشار بن برد من دار التأليف والترجمة بالقاهرة في سنة ١٩٥٠ م . وتوجد في هذه الطبعة أبيات من ردیف الآلف إلى ردیف الدال وأکثر قطعات ردیف الراء . وبما أن أصل نسخة زيتونة ناقص مست الحاجة إلى نشر الأشعار التي جمعها الأستاذ بدر الدين العلوى .

وكان كاتب هذا المقال قد أخذ منه في سنة ١٩٦٠ م بعض أجزاء هذا الديوان المؤلف لشرها في «مجلة العلوم الإسلامية»، وكان القصد أن يتم هذا بالتقسيط نشر الديوان بأسره . وبقيت هذه الأجزاء عندي مدة طويلة ولكن الفرصة لم تسع بشرها . وقد اقترح في أثناء ذلك مؤسسة بيروت الشهيرة بدار الثقافة بنشر الكتاب ، وقد تم ذلك في سنة ١٩٦٥ م ووصلت المجموعة إلى أيدي الناس .

وبقي ذلك كانـ أحدـ حسينـ القرنيـ صاحـبـ المكتـبةـ العـربـيةـ بالـقـاهـرةـ قدـ

جمع شعر بشار ونشره من مصر في سنة ١٣٤٣هـ ضمن كتاب باسم «بشار ابن برد: شعره وأخباره». ثم نشر الأستاذ حسين منصور المصري كتاب «بشار بن برد بين الجد والجنون» في سنة ١٣٤٨هـ من المطبعة الرحمانية بمصر، وقد ضمته مع طرائف ونوارد بشار كثيرة من شعره. ولكن مجموعة الأستاذ بدر الدين العلوى قد ألفت^١ على طريقة علية وهي جديرة بأن توصف بالجمع والكمال.

وقد أعطى الأستاذ بدر الدين هذا الكتاب في الجمع والترتيب قسطاً كبيراً من حياته، أى نحو عشرين سنة، فجمع شعر بشار من المصادر العديدة بجهد ودقة، وأحياناً احتاج إلى تفليب أوراق الكتب الضخمة وتصفحها للبحث عن شعر واحد خسب، وزد على ذلك العمل المتعب للتحقيق والتخرج. وتميزت هذه الطبعة بميزات عديدة، منها أنها تحتوى على شعر كل قافية من قوافي المهرة والألف إلى اليماء، وبذلك يمكن القول بأنها كاملة نظراً إلى وجود جميع القوافي فيها. وقد اهتم المؤلف بجمع شعر بشار من المصادر الميسورة، ودلّ على مصدر كل قطعة ويت مع الإشارة إلى الأجزاء والصفحات، ثم ذكر الخلافات التي توجد بين النسخ المختلفة.

وقد وضع في آخر الكتاب فهارس لقوافي والأعلام والقبائل والأصنام والأماكن والبقاء والأمثال والحكم والمواعظ ثم المراجع. ثم الحق بعد الفهارس «زيادات واستدراكات على ديوان بشار»، بقلم أحد أصحاب دار الثقافة (الدكتور صلاح الدين المنجد؟) وهي نافعة جداً، وفيها ٤١ بيتاً وقطعتان وجيزتان من الكلام المثير لشار.

ومن سن الطبيعة أنه لا يوجد في العالم عمل كامل لا نقص فيه ولا حاجة له إلى التغير والزيادة، ولو أعادت دار الثقافة طبعة هذا الكتاب فالأمل أن الملاحظات التالية ستكون نافعة جديرة بالعناية:

- 1 -

إن الديوان يشتمل على ٣٩٠ قطعة، ومنها قصائد طوال، ومنها قطعات
تشتمل على يتيين فقط ، وفي بعض الموضع يت واحد خسب . وفهرس
المصادر يتضمن نحو ١٤٠ كتابا قد جمع منها المؤلف أشعار بشار بعد البحث
والتقيب ، ولو استمر البحث فن المتوقع أن توجد أبيات أخرى لبشار .
والشعر التالي في قطعة رقم ٥٥ نادر جدا بحيث لا يوجد في ديوان
نسخة تونس ولا في أي مصدر أدبي آخر، وقد ذكر في هذه الطبعة ٥٤ يتنا
من هذه القصيدة بعد جمعها من المصادر المختلفة ، ولكن لا يوجد فيها
هذا الشعر :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَفِظَ وَمُضِيَعٌ وَمَا الْعِيشُ إِلَّا مَا تَطَبَّعَ عَوَاقِبَهُ
 (الْحَمَاسَةُ الْبَصَرِيَّةُ (٢٥) تَحْقِيقُ مُخْتَارِ الدِّينِ أَحْمَدٍ، طَبْعَةُ حِيدَرَ آبَادُ، ١٩٦٥م).
 وَكَذَلِكَ الْفَطْعَةُ التَّالِيَّةُ مِنَ الْبَيْتَيْنِ الَّتِي تَوَجَّدُ فِي الْحَمَاسَةِ الْبَصَرِيَّةِ (٣٧١:٢)
 لَا نَزَاهَا فِي بَحْرِهِمَةِ الْأَسْنَادِ يَدِرِ الدِّينِ:

وأمرت فقلت متي نلتقي
فهش اشتياقا إلها الخير
فقلت إليك يساق الحديث
وكاد يمسق سرباله
كما لا توجد فيها الآيات التالية:

اغرس فسلاً تناهه فيوشك أن ترى فيشك إن عمرت عيادنا
 فالعرق يسرى إذا ما نام صاحبه ولا ينام إذا ما كان يقضانا
خطوط الخيزران يربك لينا ويأب الكسر من عطفيه آب
 فأنت كمثل النخل يسرع شوكه ولا يمنع الحراف ما هو حامل
 (التبيل والمحاضرة للتعالبي : ٢٦٨ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة ، ١٩٦١م).

- 1 -

وهذاك آيات يقال إنها لبشار ولكنها قد نسبت إلى شعراء آخرين ،

وبعد مضى هذه القرون الطويلة لا يمكن لنا القطع بشيء في نسبة هذه الآيات ، ولذلك نرى الباحثين المحققين أنهم يشيرون في الموسوعات إلى الشعراء الذين نسبت لهم هذه الآيات . وقد التزم هذا المبدأ في «ديوان شعر بشار» ولكن مع ذلك بقيت مواضع بدون التبيه .

قطعة رقم ١٢٢ :

الشيب كره وكره أن يفارقني أُعجب بشيء على البعض مودود
قد نسبت هذه القطعة في سبط اللآل (ص ٣٣٤) وتاريخ الخطيب (٩٧: ١٣)
إلى مسلم بن الوليد ، وفي «الفاضل والمفضول» إلى أبي العناية (ص ٧٥) .
وتوجد هذه القطعة في تكملة «ديوان أبي العناية» نقلًا عن «زهر الآداب»
للحصري (٩٠١ ، طبعة الجاوي) والمعاهد (١٨٧: ٢) وديوان المعانى
لأبي هلال العسكري (١٥٨: ٢) . راجع ديوان أبي العناية : ٥٣٠ تحقيق
شكري فصل ، دمشق ، ١٩٦٥ م .

قطعة رقم ٩٩ :

كتمت عوادلى ما في فرادي وقلت لهم لبئهم البعيد
قد نسبها الآمدى في المؤتلف والمختلف (ص ١٠٤) وابن السيد البطلوسى .
في الاقضاب (ص ٢٩٢) إلى عروة بن أذينة .

قطعة رقم ١٠٠ :

ظل اليسار على العباس مددود وقلبه أبدا في البخل معقود
قد نسبها القالى (الأمالى ٢: ١٣٩) إلى العتاي ، وابن عبد ربه (العقد الفريد
١: ١١٧) وابن قتيبة (عيون الأخبار ٣: ١٧٨) إلى حماد عجرد ، والخطيب
البغدادى (تاريخ بغداد ١٢: ٤٩١) وصدر الدين على بن أبي الفرج البصرى
(الخاتمة البصرية ٢: ٦٣) إلى كلنوم بن عمرو التغلبى .

قطعة رقم ١١١:

على آلة ما دمت حياً أمسك طائعاً إلا بعد
قد نسبها الاصفهاني في الأغاني (٣: ٢٢٨ ، طبعة بيروت) إلى أبي العباس
الأعمى السائب بن فروخ.

قطعة رقم ٣٣٩:

خليلي من كعب أعينا أخاكا على دهره إن الكريم معين
قد نسبت في كتاب العدة لابن رشيق (٢: ٣٢) إلى دعبد الخزاعي.

قطعة رقم ٣٠٠:

لـ حيلة في من يـ سـ وليس في الكذاب حيلة
قد نسبت في الكامل للبرد (٢: ١٧) لبعض المحدثين ، وفي طبقات الشافعية
للسبكي (٢: ٣٢٠) لأبي الحسن التميمي ، في حين أن المرزباني قال في معجم
الشعراء (ص ٥٠٢) إن قاتلها أبو مروان يحيى بن مروان ، وقد وافقه في
ذلك ابن الجوزي في المنظم (٧: ٩٧) والوطواط في غرر الخصائص
(ص ٤٩) وصاحب الذخائر والأعلاق (ص ١٠٦) راجع إعجاز القرآن
للياقلاني : ١٥٤ تحقيق أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٥٤ م.

- ٣ -

وقد ذكر المؤلف المصادر التي نقل منها القطعات في الامثل ، وإن
أذكر هنا عن مصادرها التي لم يدل عليها المؤلف:

قطعة رقم ٩٩:

كنت عواذل ما في فزادي وقلت لهم ليتهم البعيد
توجد أبيات من هذه المقطوعة في وفيات الأعيان (١: ٢٩٢) والممؤلف
والختلف (ص ١٠٤) وأعمال القالى (١: ٥٠) وسخط اللالى (ص ١٩٧) وكذا
يراجع لها المختار من شعر ابن الدمية (ص ١٧) تحقيق مختار الدين أحد .

قطعة رقم ١٠٠ :

ظل اليسار على العباس مددود وقلبه أبدا في البخل معقود
توجد أبياتها أيضا في «كتاب الكرماء» لأبي هلال العسكري (ص ١٦) والعقد
الفرد (١١٧: ١) وعيون الأخبار لابن قيبة (٣: ١٧٨) وتاريخ بغداد
(٤٩١: ١٢).

قطعة رقم ١٢٢ :

الشيب كره وكره أن يفارقني أعجب بي على البعضاء مودود
توجد بعض أبياتها في سط اللآل (١: ٣٣٤) والختار من شعر بشار (ص ٣٣٧)
وأحسن ما سمعت للشعالي (ص ١٤٥) وبمجموعة المعانى (ص ١٢٦) وكتاب
الفاضل والمفضول للبرد (ص ٧٥) تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمى
(القاهرة، ١٩٥٦م).

قطعة رقم ١٥٣ :

رأيت صاحبى بختارات حولا بعد ما متع النهار
يراجع لها كتاب الحيوان (٥: ٢٤١).

قطعة رقم ٢٤٢ :

يت ٢ يراجع له المقصى للزمخنرى (١٠٧: ١) طبعة حيدرآباد.

قطعة رقم ٢٦٥ :

يت ١ يوجد في الأشيه والنظائر للخالدين. راجع «الختار من شعر ابن المدينة»
(ص ١٠) تحقيق الدكتور مختار الدين أحد، على گزه، ١٩٦٢م.

قطعة رقم ٣٠٥ :

صاحب نافع لي طول صحبه لا ينفع الدهر إلا وهو محوم
توجد هذه القطعة في مجموعة المعانى (ص ١٤٧) والشريشى (٢: ٢٤٤) أيضا،
راجعا الفاضل للبرد (٤٦).

قطعة رقم ٣٠١:

يوجد منها اليتان ٣، ٤ في طبقات ابن المعز (ص ٦). وقد ذكر المؤلف في مصادر هذه القطعة بمجموعة المعانى، ولكن فاته التبيه على أمر مهم وهو أن أبا هلال العسكري (المتوفى ٢٩٥هـ) قد نسب في حاسته — الذي يعد الآن مفقودا — هذه الآيات إلى قحيف بن حمير.

— ٤ —

إن جامع الديوان قد عنى عناية كبيرة بالدلالة على الخلافات التي توجد بين النسخ فجمعها من جميع المصادر الموجودة، ولكنها قد فاتته في بعض الموضع. فقد وجد اختلاف الكلمات في رواية الأشعار بين الديوان الذي جمعه الشيخ الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم، تونس (طبعة القاهرة) وبين هذا الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوى (طبعة بيروت) ولكن الأخير لم يتبه عليه، ونذكر على سبيل المثال شطرا من القطعة الأولى التي توجد في الطبعتين وهو:

ومنيتا جودا وأنت بخيلاً

وقد روى في طبعة القاهرة هكذا:

ومنيتا جودا وفيك تافق

ولكن طبعة بيروت تخلو من التبيه عليه. وهناك أمثلة أخرى مثل هذه الملاحظات، ولكتنا نصرف النظر عنها ونذكر هنا اختلاف الروايات الذي يوجد في المصادر الأخرى:

فرواية اليت الآتى من قطعة رقم ٢٠٩:

قد قلت إن أبا حفص لا يكرم من يمشي خالقى في ذاك إفلاسي
قد وردت في عيون الأخبار لابن قتيبة (١٦٢: ٣) بلحظة «أبا بكر» موضع

«أبا حفص» وكذلك وردت «وكذبني» بدل «مخالفني» في بعض الروايات.
وهكذا يوجد بعض الخلافات في الرواية في قطعة رقم ٣٠٥ راجع
الفاضل للبرد (ص ٤٦) تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني.
وفي قطعة رقم ٣٣٩ -

على دهره إن الكريم معين
ولكن في الحسنة البصرية (٢: ٢٧٥) «على نصره» بدل «على دهره».
كأن عيد الله لم يدر ماجدا
جاء في الكامل للبرد (ص ٢٢٤) «لم يلق ماجدا» وفي الحسنة البصرية
(٢: ٢٧٥) «لم يدر ما الندى».

فلم تلقه إلا وأنت كين
وفي طبقات ابن المعز (ص ٤) «فلا تتخل».
وفي قطعة رقم ٣٦٤ يت جامت فيه كلة «نجر» قال فيها الجامع : إنه
لصحيف «بكر». وأنى يكون مثل هذا تصحيفا ؟

- ٥ -

والاعلام التي وردت داخل الآيات تنقصها التعليقات الايضاحية:
متى تعرف الدار التي بان أهلها بسعدى فان الدمع منك قريب
و«سعدي» هذه هي بنت صقر بن ققاع المالكية، وأحيانا يقول لها بشار
«سعاد» لفروط حبه إياها (ديوان بشار ١٦٢: ٢ ، طبعة القاهرة).
«ويعقوب» الذي ورد ذكره في قطعة رقم ٥٠ هو أبو عبد الله يعقوب
ابن داود كاتب وزير الخليفة المهدى (المتوفى ١٨٧هـ).
أما «خشاشة» التي ورد ذكرها في قطعة رقم ٧٤ فهي امرأة فارسية كانت
تحضر مجلس بشار ، وكان هو يميل إليها كثيرا . وقد كتب فيها قطعة طويلة

أخرى توجد في طبعة القاهرة للديوان (٢١٠: ١).

قطعة رقم ٤١:

لعمري لقد دافعت موت محمد لو أنَّ المانيا ترعى لطيب
وـ محمد، هذا هو ابن بشار، توفى صغيراً بفزع عليه بشار كثيراً، والقصيدة التي
رثى بها بشار ابنه هذا توجد كاملة في طبعة القاهرة للديوان (٢٥٤: ١).
أما «عبدة» التي ورد ذكرها مرات عديدة في هذه المجموعة هي أم العلاء
عبدة الباهلية التي كانت بشار معها علاقات وثيقة جداً، وقد ذكر صاحب
الأغاني هذه العلاقات مفصلاً (ديوان ١١٥: ١) طبعة القاهرة.

قطعة رقم ٢٨٧:

وفي نافع عن جفاه وإتني لأطرق أحياناً وذواللب يطرق
وـ نافع، هذا هو نافع بن عقبة بن مسلم الذي قيل في مدحه هذه القصيدة.
أما قطعة رقم ٣٣٩ فهي في هجاء ابن قزعة، وهو عبد الله بن قزعة
أبو المغيرة، أخو الملوى المتكلم، ويكنى أيضاً أبو يحيى، والقصيدة التونية
الشهيره بشار قيلت في هجائه (ديوان ٣: ١٤ طبعة القاهرة). وكذلك كان
من الأحسن إعادة ما قاله بشار في «أبي مجلز» و «ابن قنان».

ومن الأمثال: أخلف من صفر، أفسى من الظربان، الحر يلحى والعصا
للعبد، وكان من الممكن أن يكتب عليها تعليقات بالمراجعة إلى كتاب الأمثال
لليداني وغيره من الكتب الخاصة بالموضوع.

- ٦ -

والمؤلف قد دلَّ على أسماء المدحوبين في بداية القصائد، وهذا مجهد
قيم نافع، ولكن هذه الدلالة قد جانبها الصواب في بعض الموضع.
ففي القصيدة رقم ٤٥ قيل إن الذي مدح بها هو المهلب، ولكن ورد

اسم المدوح في طبعة القاهرة داود بن حاتم، والمهلب من أجداده، نعم قد ورد ذكره في القصيدة ولكن المدوح حقا هو داود، وكان من الواجب التيه عليه في التعليق.

وكذلك جعل المدوح بالقطعة رقم ٥٥ عمر بن هبيرة، ومن المعلوم أن صاحب الأغاني ذهب إلى ذلك، ولكن رواية الديوان في طبعة القاهرة هي رواية يحيى بن الجون العبدى الذى يعد أشهر الرواية السبعة لشار، وهى أصح من غيرها، وفيها أن المدوحين بهذه القصيدة هما مروان بن محمد بن مروان (آخر خلفاء بنى أمية) وقيس عilan.

والمدوح بالقطعة رقم ٧١ ليس خداش بن زيد المهلبي، بل هو خداش ابن يزيد المهلبي.

والقطعة رقم ٩٢ حالية من تحديد اسم المدوح بها، وهو روح ابن حاتم.

والمدوح بالقطعة رقم ٩٤ ليس خالد بن برمك، بل هو خالد بن جبلة ابن عبد الرحمن الباهلى. وذلك ترجحا لرواية بشار على رواية الأغاني.

وقيل في المدوح بقطعة رقم ١٠٥ إنه مسلم بن قيبة، ولكن الشيخ الطاهر بن عاشور يقول إنه قيبة بن مسلم الباهلى.

والجامع قد ذكر في الهاشم اختلاف النسخ ودلل على مصدر كل قطعة ويت، وكذلك أشار إلى طبعة القاهرة للديوان إن وجدت فيها، ثم إلى الآيات التي لا توجد في طبعة القاهرة وجمعها المؤلف من المصادر الأخرى، وعلى سبيل المثال نعرف من التعليقات على قطعة رقم ٥٥ أن ٢٣ يتنا من هذه القصيدة لا توجد في الديوان وقد جمعها المؤلف من المصادر الأخرى، وذلك كله يدل على أهمية المجموعة ومجهود الجامع وتفحصه.

وفي نهاية الكتاب أثبت المؤلف خمسة فهارس للقوافي وأسماء الرجال والأماكن والأمثال والمراجع. وهذه الفهارس قد أعدت بجهد بالغ ومتنازع بكتونها نافعة. وفي فهرس المراجع لم تثبت سنوات الطبع لبعض الكتب مثل مفتاح العلوم للسكاكى وفتح الطيب والواسطة بين المتبي وخصومه وغيرها. وقد بذلك عناية كبيرة في طبعة الديوان، ولكن الاختفاء والطاعة كأنهما متلازمان، ففي الفهرست (ص ٢٦٣) «سيوه» وال الصحيح «سيبويه». وفي (ص ٢٧٠) «والعصا للعبد» وال الصحيح «والعصا». وقد وضع على ما بعد القطعة رقم ١٥٥ الرقان ١٥٤ و ١٥٥ بدل الرقم ١٥٦. وفي فهرس أسماء الرجال والنساء لا نجد بعض الأسماء في الصفحات التي أثبتت أرقامها بازانها، فثلا في صفحة ٢٥ تولب، وفي ص ٢١ خرزيمة، وفي ص ٦٥ سليم بن سالم، وفي ص ١٢٥ رحمة الله، وفي ص ١٤٣ ابن حفص، عمر، هزار مرد العنكى، وفي ص ١٤٥ حماد عجرد، ولكنها لا توجد فيها، ومن ناحية أخرى وردت أسماء في الكتاب ولا نجد لها ذكرًا في الفهرس، ففي ص ٢٨ واصل بن عطاء، وفي ص ٩٢ أم حماد عجرد، وفي ص ٢٧١ حماد عجرد، وفي ص ١٤٥ خالد بن برمك.

ومن الديوان مشكول مضبوط، ونلاحظ بهذا الصدد أن اليت الثاني من قطعة رقم ٣٦٣ قد ضبط هكذا:

ينسيك المني نظر إليها ويصرف وجهها وجه الزمان

على أن «وجه الزمان» مرفوع على الفاعلية، و «وجهها» منصوب على المفعولية. ولكتنا نرى أن الصحيح:

ويصرف وجهها وجه الزمان

على أن الفاعل «وجهها»، و «وجه الزمان» مفعول.

وهذه القطعة في النسب، ونذكر هنا اليتين قبله لايضاح رابطة الكلام:

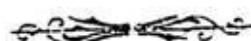
وحوراء المدامع من معدَّ
كأنَّ حديثها قطع الجحان

إذا قامت لسبحتها تشتَّت
كأنَّ قوامها من خيرزان

ونشر «ديوان بشار بن برد» قد ملاً فراغاً هائلاً في مكتبة الأدب العربي، ونخن على يقين أنَّ هذا الكتاب سيحظى بالقبول والعناية لدى أرباب النظر.

الدكتور محترم الدين أحمد

علي كزه (الهندي)



الدكتور سمويل استرن

قد فوجئ بالموت الدكتور سمويل استرن في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٦٩ م بأكسفورد، وبذلك قد وقع فراغ هائل يصعب أن يملأ، لا في الحياة العلمية بأكسفورد فحسب بل في أوروبا كلها.

وكان قد وصلتني رسالة الدكتور ريتشارد والزر من أكسفورد قال فيها: «يسري أن أكتب إليكم أن الدكتور سمويل استرن قد فارقنا ورحل عنا. إنه كان يتناقضو من أعضاء أسرتنا منذ نحو عشرين سنة، وكان متمنعاً بالصحة الجيدة، ومشغلاً بأبحاثه العلمية حتى فاجأه مرض التفس الشديد وقضى على حياته. إنه كان يحبنا حب الآب لابنه، وأظنك تقدرون الخسارة الفادحة التي لحقتنا بوفاته، وشاركتي في هذا الحزن الذي تقطع له قلبي».

وكانت صلتني بالدكتور الراحل قديمة جداً. وإن كنت رأيته أول مرة في شقة الدكتور هيلن جب حينها كان مديرًا مساعدًا لدائرة المعارف الإسلامية (القسم الإنجليزي)، ولكنني لم أتمكن هناك من التعرف إليه والتalking معه. والنظرة الأولى إليه أرتى إياه ساكنًا حيًا فزعاً إلى حد ما، دخل فعرض على الدكتور جب ملازم مطبوعة في مطبعة برييل وشاور معه ثم خرج بنفس السرعة التي دخل بها.. أما فرصة التعرف إليه فقد ستحت بعد أسابيع عديدة، فـ.. توطدت صلتني بالسيدة صوفية والزر والدكتور ريتشارد والزر (أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة أكسفورد) في نوفمبر سنة ١٩٥٣ م، وصوفية هي التي قدمتني إلى الدكتور استرن الذي كان يقيم في بيته. وكان الدكتور استرن أكبر مني سناً، وأقدم مني وصولاً إلى جامعة أكسفورد، وقد احتل مكانة عالية في العلم والفضل ولكنه مع ذلك كان يقابلني بحفاوة ويعاملني معاملة الصديق مع الصديق،

والزميل مع الزميل . كان طالبا في نفس كلية (St. Catrines) ، وتليدا للدكتور جب حيث عمل بحثه عن المنشآت تحت إشرافه . وكانت تجسّعه وإياه مطالعة المخطوطات العربية القديمة ، ومحاولة القراءة الصحيحة للكلمات الفريدة المجهولة التي مسحت ، والأختام التي احترت ، والملبيات والاجازات لقراءة والبحث عن الأشخاص والمذكورين المجهولين في التاريخ الإسلامي ، وغير ذلك من الأمور .

وما يدل على إخلاصه وجبه للعلم أتي قضيت في أكسفورد نحو ثلاثة سنوات احتاجت فيها إلى مساعدته العلمية مرات ، فكان دائماً يساعدني بطيب خاطره ، يفتح لي باب بيته بدون شرط واستثناء ، وكان كثيراً ما يزورني في شقتي ويحل مشاكل البحث والتحقيق التي كنت أوجهها ، وكلما استشرته في سيل مقالاتي قبل عرضها على الأستاذ هولتن جب فقرأها وقدم إلى توجيهات ومشورات نافعة صائبة . وقد استمرت المراسلة بيني وبينه منذ أن رجعت إلى أوروبا ، وكان يرسل في الأغلب صوراً لمقالاته ، واستمرت هذه الصلة متواتدة بيني وبينه إلى أن اختطفته منا يد الموت . إنه كان مجاًناً لمجلة « العلوم الإسلامية » ومقدراً لها ، وكان مقاله عن شاعر في المنشآت فاتحة المقالات في العدد الأول من المجلة .

ولم يكن الدكتور استرن عالماً فحسب بل مجاًناً للعلم وأدله أيضاً ، وكان يرى مساعدة الطلاب والباحثين من الواجبات عليه . وكان نطاقه العلمي قد اتسع بفضل مواهبه وتوقد ذهنه ورسوخ علمه . فلم تبق من الميسور إحاطة جميع التواحي لآثاره العلمية بالتعريف والتعليق إلا للقليل .

ولد سمويل مانكولوس استرن في المجر سنة ١٩٢٠ م في أسرة دينية يهودية ، وتعلم العبرانية من مه التي كان يذكرها بحب واحترام . ومع أنه كان قد ترك الاهتمام بالمعتقدات اليهودية فيما بعد ولكن ارتباطه الوثيق بطائفة اليهود

مازال قائماً إلى الأخير. وبدأت دراسته العليا تحت إشراف ح. بينث (H. Beneth) في الجامعة العبرية في يروشلم حيث ذهب في سنة ١٩٤٠، وهكذا قد سلم من الاضطراب السياسي الذي ساد المجر وأوروبا الوسطى في ذلك الوقت. وفي يروشلم قد درس اللغة العربية ولغات فرنسا والأندلس القديمة وآداب هذه البلاد في القرون الوسطى، وقد تركت هذه الدراسة آثاراً ملؤها على الشاطئ العلمي في حياته كلها. وكان أثناء الحرب العالمية الثانية موظفاً في مؤسسة الرقابة البريطانية ببغداد وبورسودان لمدة ستين. وفي سنة ١٩٤٨ م رجع إلى إنجلترا وأقام في بيت الدكتور ريتشارد والزر وصوفيا والزر حيث كان مصاحباً وصديقاً لها. وفي سنة ١٩٥٧ م عين زميلاً بكلية «آل سولز» بأكسفورد، ثم أستاذاً للحضارة الإسلامية بالجامعة في سنة ١٩٦٤ م. وأرى أن ية أكسفورد العلية لها تأثير كبير في تكوين شخصية استرن، وإنه يتجلى إلى هنا قد شعر براحة وثقة وتعرف إلى جماعة كبير للعلماء الذين بدأت صداقته معهم مزينة بعواطف الحيرة والسرور حيث كانوا يشعرون أنه يوجد بين ظهرانיהם عالم يمتاز بالعمق والرسوخ في العلم ولا يعرفه في الخارج إلا القليل.

ولكن بعد أيام قليلة بدأت شهرته تصل إلى العالم الخارجي أيضاً، وكان السبب الرئيسي لعدم اطلاع الناس عليه في الخارج هو طبيعته الصالحة الساذجة، فكان لا يرضي باستخدام آية وسيلة – ولو صغيرة – للدعاية والشهرة، وكذلك لم يوجد فيه نوع من الإدعاء العلمي الذي قلما ينجو منه العماء المتواضعين. اهتم بطلب الصدق واستهدف طوال حياته لإبرواه ظمنه، كان يشغل دائماً بمطالعة الكتب فهُبَّ عليه نام العلم بهولة ويسراً كيلاً أحدها صدره بالأوكسيجين بالتنفس.

وقد حصلت لي فرص كثيرة للالتقاء معه أثناء إقامتي في أكسفورد، وإن وجدته في الأغلب ساكناً، ولكن ينبوءه العلي كان ينفجر حينما يحضر ندوة علمية حيث يظهر جالساً في عزلة ثم تعود إليه الحركة والحماس فينطلق لسانه بالحقائق والأفكار والشواهد بحيث يندفع له المستمعون، ومن سعة علمه أن كان مطلعاً على ثقافات كل دولة من الدول المتعددة من الأندلس إلى الهند عبر القرون، وكان عليه مستحضرًا يستفاد منه في أي وقت بدون صعوبة. وكان الدكتور استرن متعدد الذوق وواسع المطالعة، ولكن الموضوعات التي اختارها لنفسه هو الشعر الاندلسي القديم المعروف بالموشحات، والفلسفة الإسلامية، وعبد الفاطميون وتاريخهم. وكانت له مقدرة فائقة على جميع هذه الموضوعات فيكتب عنها بدون تكلف ويتكلم عليها بدون توقف شأن المهرة والكلم.

وأذكر أصيلاً من آصال شهر أبريل سنة ١٩٥٥م، كنا نشرب الشاي في ضاحية (Trout Inn) من ضواحي أكسفورد ونتجاذب أطراف الأحاديث الممتعة، وقد حضر المجلس الدكتور استرن وريشارد والزر والسيد تصوفية والزر والدكتور بنسنر ولسن (المتحف البريطاني) وأخرون، فتجمعت حلقه المثقفين حول مائددة الدكتور استرن وجرت بيننا الأحاديث العلمية إلى أن غربت الشمس، وإن قد ذكرت في هذا المجلس زعيم الإماماعية السيد آغا خان، بعد أن سمعت من إذاعة لندن (B.B.C.) تعليقاً على كتاب جديد عن حياة آغا خان، وقرأت تعليقاً آخر على نفس الكتاب في الملحق الأدبي لمجلة تايمز (Times) وهكذا كنت أحفظ ما يحتوى عليه الكتاب من المطالب، فبدأت الكلام عن آغا خان (الذى كان وثيق الصلة بالهند وبعلى گڑھ) وكانتى أرى نفسى ملزماً بالاطلاع عليه، ولكن لم يمض إلا قليل من

الوقت ودخل الدكتور استرن في الموضوع وتناوله بالكلام والتعليق فألقى عن آغا خان وسلفه والطائفية الإسماعيلية حديثا علميا أخذ بجماع القلوب واندهش له المستمعون.

ومرة كان قد دعانا أستاذ باكسفورد إلى كلية بناية مجيء أستاذ فاضل من إسبانيا، وقد جرى أثناء الكلام حديث عن الشعر الأندلسى. وكان الدكتور استرن حاضرا فبدأ الكلام على الموضوع وأتقى بعلومات مدهشة للأستاذ المذكور وللآخرين.

وبما أنه كان مضطلا بالآداب العربية والرومية والعبرية قد اطلع على الشعر الأندلسى في جميع عصورها ومراحلها، وقام بالبحوث والدراسات القيمة في هذا المجال، وقد نشر على هذا الموضوع أول مقال على جدير بالتقدير في المجلة المعروفة بالأندلس (Al-Andalus) في سنة ١٩٤٨م، وكان يبحث في نفس الموضوع أثناء إقامته باكسفورد. وقد أعد أولا رسالة علمية حصل بها على درجة الدكتوراه، ثم ألف في نفس الموضوع كتابا مفصلا باسم (Les Chansons Mozarabes) طبع ونشر باكسفورد، وفي هذه المدة قد توجه إلى موضوعات أخرى فألف في سنة ١٩٦٤م (Fatimid Decrees) واسفداد في تأليفه لأول مرة من عهود مكاتب الفاطميين والوثائق الخطية، ونشر صورها باستخدام ٤٨ لوحة. وقد عرض في هذا الكتاب وثائق النظم يبصر في القرن السادس الهجرى التي تعد وسيلة للعلوم الثمينة عن التاريخ الإسلامي، والتي لم يعرفها الناس إلا قليلا. وفي سنة ١٩٦٤م ألف ونشر الدكتور استرن مجموعة لست مقالات باسم (Documents from Islamic Chancery) وفيها مقالاته الجديرة بالمطالعة «وثيقتان للعهد الأيوبي». وفي سنة ١٩٦٨م طبع (Arestotteam the World State) ولعله هو آخر الكتب التي

طبعت في حياته . وهناك كتب لم تطبع بعد ، ومسودات لم تكمل . وأرى أنه لو جمعت مقالاته المطبوعة وغيرها بلغت إلى نحو أربع مجلدات . أما رسائله باللغة العربية التي أرسلها باسمي في أوقات شتى فلا زلت محفظاً بها ، وبودي أن أنشرها في عدد من أعداد هذه المجلة . وينوى الدكتور والزرن بعض من أصدقاء الدكتور استرن ومقدريه تأليف آثاره العلمية ونشرها ، ولو تم ذلك لكان أكبر خدمة علية وخير وسيلة لتقدير حياته الحافلة بالبحث والنشاط .

مختار الدين أحد

علي گڑہ (المندى)



الدكتور طه حسين

فakan قيس هلك واحد

توفى إلى رحمة الله تعالى الكاتب المصري العظيم وعديد الأدب العربي الشهير الدكتور طه حسين في يوم ٢٨ من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٣م ، عن عمر يناهز الرابعة والثمانين . كان صاحب المدرسة الأدبية الرفيعة في العالم العربي ، وترك خلفه تراثاً قيماً في الأدب والنقد ، تراثاً ينسم بالحيوية والخلود ويتميز بالنزعة الإنسانية القوية ، ولذلك رأينا العالم كله وخاصة العالم العربي قد اهتز لموت هذا الأديب ، وتزعزع لهذه الكارثة العظيمة ، كل يقدر موقفه وجموده ويشيد بما قام به هذا العبقري الفذ في مجال الأدب واللغة . وقد غمرت موجة من الحزن والكآبة الجو على الهند فأسف لموت عديد الأدب جميع المشتتين باللغة العربية وآدابها في الهند شأن الكثيرين في أقطار العالم العربي وغيره . ومجلة الجمع هذه – وهي عضو الأسرة الأدبية الهندية – شارك الجميع في الحزن والألم وتعبر خسارتها أعظم وأفصح من الآخرين ، وذلك أن هذا الأديب الكبير قد رحل وما يصدر العدد الأول من المجلة ، مع أن المسؤولين عنها كانوا عاقدين عزمه على الاستفادة من إنتاج هذا العقل الخصب ، وعلى تدعيم الصلال الثقافية بين الهند وبين البلاد العربية بنشر مقالاته وبمحوثاته التي تعد أحسن ما أنتجته القراءات العربية في العصر الحديث . ولكن الأسف أنه قد رحل عن دينانا هذا الركن الأدبي العظيم وحرمت المجلة – وبالتالي قرائتها – في سنها المبكرة من إنتاج علم شائع في الأدب المعاصر ورائد النزعة الإنسانية في الفكر العربي الحديث .

ونظرة عابرة إلى حياة الدكتور طه حسين وإنجازاته العلمية والأدبية

ترىنا كيف أن هذا الأديب الكبير قد بخرج إلى الدنيا العربية نوراً يفسح الطريق أمام الذين يصررون وهو لا يصر، وفتح للأدب العربي آفاقاً عالمية، كما أشار إلى ذلك فضيلة الدكتور مختار الدين أحمد في كلمته التي القتها بعد وفاة الدكتور طه حسين حيث قال: «إن الدكتور طه حسين كان مصرى المولد، ولكن الحق أن تأثيره لم يقتصر على مصر فحسب بل وصل إلى العالم العربي كله وتعداه إلى الخارج، فقد كان بعد أدباء نادراً ومفكراً حراً في البلاد العربية وغيرها».

ولد الدكتور طه حسين في قرية صغيرة من ضواحي مركز مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد. وكان ميلاده في أول سنة ١٨٨٩ م. وكان والده رجلاً فقيراً رزق سبعة أبناء أصغرهم طه حسين.

أصيب طه حسين وهو في الثالثة من عمره بمرض الجدري فقد فيه بصره ولم ير من الدنيا إلا صوراً بسيطة، صورة القرية وهو طفل في الثالثة، وكانت هذه الصورة الريفية الفقيرة هي كل زاده من عالم الرؤبة من دنياه حتى يوم وفاته.

ولقد بدأت الآفاق تفتح أمام الأديب الكبير عند ما قدم رسالته عن أبي العلاء المعري، لينيل درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة، وكانت هذه الرسالة نموذجاً لكل الباحثين من بعده، وبلغت زماناً طويلاً يختذل أثرها كل من حاول عبر السنوات الطويلة الخمسين أن يساهم في مصر والبلاد العربية في الارتفاع بالتاريخ الأدبي للبلاد الشرقية، ولا عجب فعل تفرق طه حسين هذا مصدره وجود الشابه والتراويف في وحدة تصور الحياة وفي الاحساس والمشاعر لدى الإثنين، مع فارق بسيط هو أن المعري كان شاعراً حزيناً حاتراً فلقاً ييناً كان طه حسين أدبياً بناءً الفكر متفاصل الرأي مستقبل الاتجاه محباً الحياة. وهدت هذه الرسالة عن المعري السيل أمام

طه حسين فافر في بعثة حكومية إلى فرنسا للدراسة واستكمال المعرفة التي توهله لمستقبل أفضل يمكنه من خلق أنواع من التفكير الأدبي وأساليب الكتابة وطرائق البحث على صورة لم تكن معروفة من قبل، وتم ما أراد طه حسين، فلقي في باريس إلى جانب اللغة الفرنسية دراسات في الأدب اليوناني يسرت له امتلاك الزمام في علوم المنطق وأكبه الدقة في مجال الكتابة وعمقت فهمه في دراسة التاريخ الإنساني للأدب العالمي.

وعاد الدكتور طه حسين في سنة ١٩١٩م إلى مصر فعين مباشرة أستاذًا للتاريخ القديم (اليوناني والروماني) واستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥م، وفي هذه السنة عين أستاذًا للتاريخ الأدبي في كلية الآداب. وفي سنة ١٩٢٨م عيدها لها، وفي ١٩٤٢م مستشارًا في وزارة المعارف، ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية واستمر في هذين المنصبين حتى أكتوبر ١٩٤٤م.

وفي سنة ١٩٥٠م عين وزيراً للعارف واستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٢م، وفي أثناء توليه وزارة المعارف قرر مجانية التعليم الثانوي والتعليم الفني منذ البداية، وحاول أن يجعل التعليم العالي مجانيًا هو الآخر، فأبى الملك آنذاك، وكان شعاره أن التعليم ضروري للناس ضرورة الهواء والماء.

كان عضواً في «جمع اللغة العربية» بالقاهرة، و«المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية»، و«المجمع المصري»، وعضوًا مراسلاً لعدة جامعات وهيئات علمية في الخارج. وحصل على البشوية سنة ١٩٥١م، وعلى وسام اللحىون دونير من طبقة جراند أو فيسيه، وعلى الدكتوراه الفخرية من جامعة مدرييد وجامعة كبردرج.

إن إحصاء المجالات التي عمل فيها أدينا الكبير كثير، وال المجال يضيق أمام ما أتجزه العبقري العظيم، وتكتفي الإشارة إلى أنه قدم للكتبة العربية حوالي ٥٧ كتاباً، بين تأليف أو ترجمة أو تحقيق، وهو في مؤلفاته متوع

الآراء ومتعدد الاتجاهات ، نراه يكتب كتاباً تاريخية ونقدية وثقافية ويولف الروايات والقصص القصيرة والمقالات السياسية ويشتغل في الصحافة والتعليم والترجمة والسياسة .

ومن أشهر كتبه : في الأدب الجاهلي ، الأيام ، أدب ، مع أبي العلاء في سجنه ، مستقبل الثقافة في مصر ، الفتنة الكبرى ، حافظ وشوق ، مع المتبي ، حديث الأربعاء ، على هامش السيرة ، ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ، مرآة الإسلام ، فتنة عثمان ، على وبنوه .

ورغم أن أدينا الكبير كان رائعاً في كل مؤلفاته إلا أن كتابه « الأيام » الذي صور فيه على الطبيعة بؤسه وشقائه وكفاحه في طفولته ورجولته يعد من أروع الترجمات الذاتية التي كتبها الأدباء العرب في العصر الحديث . وهذا الكتاب نموذج فيها يسمى بالأدب الواقعي ، الأمر الذي وضع طه حسين في صف واحد مع عباقرة الفكر العالمي أمثال : استدال ، وتولstoi . والدكتور طه حسين في كتابه هذا يمتاز بالجرأة والصدق في تصوير المشاعر والأحاسيس لطفل ضرير محروم من العطف والرعاية ، وفيه نقد لاذع للأوضاع الاجتماعية والثقافية في مصر وخاصة في الريف . فهو يتحدث عن طفولته وفقدمه لبصره والمصائب التي حلت بعائلته ودراسته في الكتاب وفي الأزهر ، كل ذلك بأسلوب موسيقى رائع بضمير الغائب ، عن صراعه مع القدر والمجتمع .

ونكن عظمة طه حسين في كونه شخصية فريدة في تاريخ الأدب العربي لا تضاهيها سوى شخصية أبي العلاء المعري . وفي كفاحه القوى وعزيمته العظيمة التي مكنته من أن يتبوأ مكانة عالمية في دنيا الثقافة والفكر والأدب رغم قدمه نعمة الإبصار ورغم ظروف الفقر الذي نشأ فيه . فقد استطاع بذلك أنه يحقق شخصيته القوية أن يحصل على أول دكتوراه في الأدب في أول جامعة في مصر ، وأن يرسل في أول بعثة دراسية لهذه الجامعة إلى أوروبا

وأن يتفوق في دراسته ويعود إلى بلاده بعد أن درس لغات أوربية حديثة وقديمة، ثم شغل المناصب العلمية وخاصة معارك فكرية وسياسية وأدبية ودافع بصلابة لا تعرف اللين عن آرائه حتى بلغ منصب وزير المعارف، والأهم هو منصب عميد الأدب العربي، كل هذه الأمور جعلت المثقفين يتعاطفون معه ويقدرونه ويحترمونه. فهو الذي أدخل منهج النقد التارخي الوثيق في دراسة الأدب الجاهلي، وهو الذي ناضل بقلبه وعمله وعمله من أجل رفع لواء الحرية الفكرية في مختلف مراافق الحياة الروحية، وهو الذي أضاء تاريخ صدر الإسلام بنظارات نافذة، وهو الذي استطاع أن يرسم للأدب طريقه الصحيح، وأن يوجه الأدب والنقد في الاتجاه الأصيل الخصب الحى الذي من شأنه أن يدفع الاتجاه الأدبي العربي في صدر الركب العالمي وأن يرفعه إلى المستوى الإنساني، ولهذا أصبح الموقف الأكبر للعقل العربي، وقد رأى فيه الشباب العربي الناهض دليلا على مقدرة الإنسان المصرى والعربي على التفوق في مجال العلوم الغربية وتقطيع التراث العربي بها، دون الشعور بالنقص أمام الغرب. وبعد فرحيل الدكتور طه حسين عن دنيانا كان لوعة أصابت المثقفين في صميمهم، لقد كان عقريا خالدا في دنيانا، وبعد رحيله المفاجئ لا نملك إلا أن تمني له الخلود في رحاب صانع الخلود.

الدكتور مقتدى حسن

علي گزه - الهند

حفلة التأبين

كانت وفاة الدكتور طه حسين في نهاية شهر أكتوبر الماضي مفاجأة محرقة للأوساط العلمية والأدبية، والموت أمر طبيعي للإنسان ، ولكن هناك شخصيات يود لها العالم الخلود ويتنى أن تظل مروبة للأفكار ، مغذية للعقل ، مذكية للعواطف . وشخصية عبد الأدب العربي كانت من هذا النوع . وما نشر في العالم بألا وفاته إلا أن اهتز له المثقفون وبكت عليه العيون ورثاء الشعراء وتأسفوا عليه الجرائد والمجلات ، وكذلك انعقدت حفلات التأبين إشادة بما ذرأه وتقديرًا لجهوده التي بذلها في سبيل خدمة الأدب العربي .

ويمتاز قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة على كثره الإسلامية بأنه قد تجمع فيه عدد من الأساتذة الذين سنت لهم فرصة المقابلة مع الدكتور طه حسين شخصيا فاستفادوا من عليه مباشرة ، والذين لم تسنح لهم هذه الفرصة فقد استقوا من نبعه الفياض بواسطة مؤلفاته القيمة التي يعرفها الجميع . ولا يدأب أسفهم على ذكر عبد الأدب العربي قد عقد هؤلاء الأساتذة — وفيهم المسؤولون عن المجمع العلمي المجرى — حفلة تأبين في جامعة على كثره تحت رئاسة فضيلة الدكتور مختار الدين أحمد رئيس قسم اللغة العربية وأدابها . وقد أبدى المشاركون مشاعرهم نحو الدكتور طه حسين وأثاره العلمية الخالدة وأشاروا بمحياه الأدبية الحافلة وأعربوا عن حزنهم العميق على هذه الرزية مؤكدين بأن الفراغ الذي حدث بموته فراغ كبير يصعب أن ينسد .

وقد قال فضيلة الدكتور مختار الدين أحمد في كلته التي ألقاها في هذه الحفلة التي انعقدت في الجامعة بعد وفاة الدكتور طه حسين : قد جئنا في مدة وجيزة برجل عديد من علماء العربية وأساتذتها وسلنا يد القدر

شخصيات علمية كبيرة كانت لنا عوناً ومخيرة . ومن أبرزها شخصية عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .

وقد استطرد فضيلة الدكتور قائلاً : إن الدكتور طه حسين كان مصرى المولد ، ولكن الحق أن تأثيره لم يقتصر على مصر فحسب بل وصل إلى العالم العربى كله وتعداه إلى الخارج ، فقد كان يعد - حقاً - أديباً نادياً ومفكراً حرراً في البلاد العربية وغيرها ، وقد أحدث بآرائه وكتاباته ثورة في مجال الأدب والنقد ، وأنشأ شرعة قيم جديدة ، وابنده موازين للنقد النافذ إلى عماق الآثار الفكرية والأدبية بحيث امتد تأثيره إلى أجيال .

ثم ذكر الأستاذ مختار الدين أحد أن الفرصة ستحت له للالتقاء بالدكتور طه حسين حينما كان في طريقه إلى أوروبا في عام ١٩٥٣م للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد . وقد أفاد الدكتور أن هذه المقابلة كانت مهمة ممتعة ، وأنه قد تأثر كثيراً بشخصية عميد الأدب العربي ولمس فيه روح العلم والتحقيق وحب البحث والنظر وثقة العلامة المتقنين وفراستهم .

وجامعة على كثرة الإسلامية إذ تعرب عن حزنها وأسفها على موت الدكتور طه حسين تسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان ، وتشارك مصر والعالم العربي في هذا الحادث الأليم ، والبقاء لله وحده .

